



قسم: اللغة والأدب العربي

معهد: الآداب واللغات

الرقم التسلسلي:

www.centre-univ-mila.dz

رقم التسجيل: L24/2018

استراتيجيات الخطاب في كتاب: واسطة السلوك في سياسة الملوك

لأبي حمو موسى الزياني الثاني
مقاربة تداولية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د.)

تخصص: الأدب العربي القديم

شعبة: الدراسات الأدبية

إشراف الأستاذ الدكتور:

مسعود بن ساري

إعداد الطالبة:

آسيا عميهور

رقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	مؤسسة الانتماء	الصفة
1	شهيرة بوخنف	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي عبد الحفيظ والصوف -ميلة	رئيسا
2	مسعود بن ساري	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي عبد الحفيظ والصوف -ميلة	مشرفا ومقررا
3	كريمة نوادرية	أستاذ محاضراً	المركز الجامعي عبد الحفيظ والصوف -ميلة	مدعوا
4	حميدة سليوة	أستاذ محاضراً	المركز الجامعي عبد الحفيظ والصوف -ميلة	ممتحنا
5	سليم بوزيدي	أستاذ محاضراً	المركز الجامعي عبد الحفيظ والصوف -ميلة	ممتحنا
6	فائزة زيتوني	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	ممتحنا
7	لزهر مساعدية	أستاذ التعليم العالي	جامعة خنشلة	ممتحنا

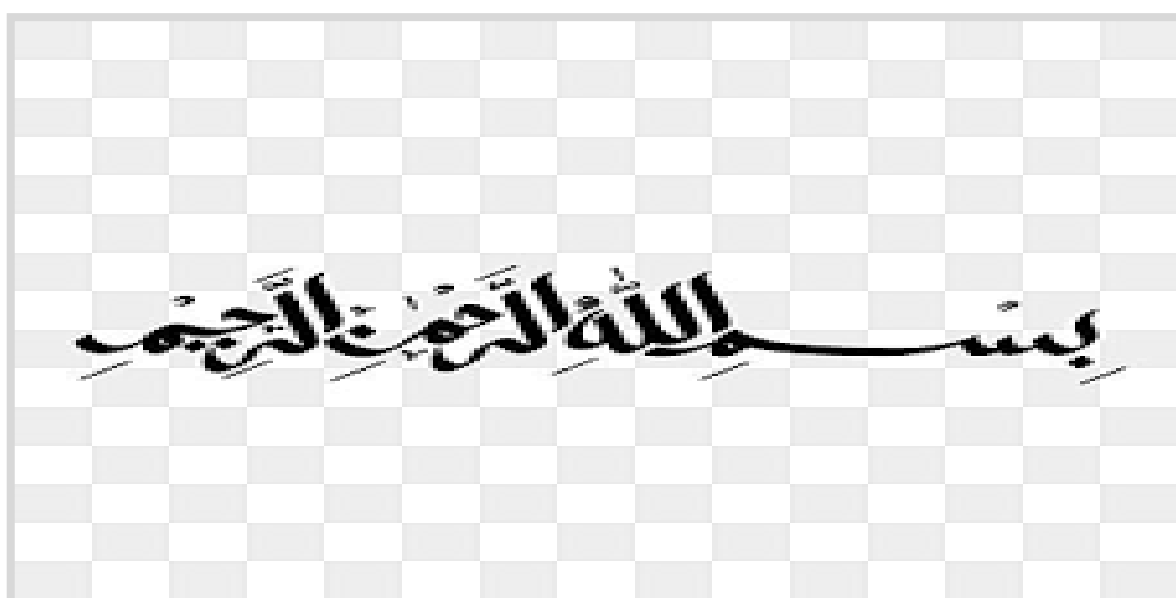
السنة الجامعية: 2024-2025

Centre Universitaire Abdelhafid BOUSSOUF-
MILA

BP 26 RP Mila 43000 Algérie
☎ 031 450041 ☎ 031 450040

ميلة -المركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف

43 الجزائر 0 ميلة RP ص.ب رقم 26. ☎
☎ 031 450040 ☎ 031 450041



اهداء

ما أجمل أن يجودَ المرءُ بأجمل ما لديه والأجمل أن يهدي الغالي للأغلى، أهدي ثمرة جهدي التي طالما تمنيت أن أقطفها إلى:

✓ من لا تمل من الدعاء لي وكان دعاؤها سر نجاحي وفلاحي، وكان مسعاي يصب في سبيل نظرات الفخر بعيونها...أمي الغالية أدامك الله تاجا فوق رأسي.
✓ إلى من كلله الله بالوقار وإلى من أحمل اسمه بكل افتخار... أبي الغالي طاب بك العمر وطبّت لي عمرا.

✓ إلى من شهد معي متاعب الدراسة وسهر الليالي، وكان الداعم الأكبر والمشجع الرئيس لأحقق طموحاتي العلمية... زوجي العزيز رعاك الله وحفظك.
✓ إلى من أبصر في عيونهم الألم والأمل، وانتظروا قطاف ثمرة جهدي طويلا، فكانوا شركاء معي في كل بسملة ودمعة وحسرة ... أحباب قلبي إخوتي وأخواتي حفظكم الله وجعلكم في أعلى المراتب.

✓ إلى من وجودهم أعظم نعم الله علي؛ فلذة قلبي أبنائي الأعزاء، اللهم ارزقني وإياهم العلم النافع والرزق الواسع والقلب الخاشع والعمل الصالح وارزقني برهم وارض عني وعنهم.

✓ إلى من أعطاني من ينابيع معرفته وخبرات حياته الكثير... مشرفي الفاضل أدامك الله منارة للعلم.

✓ إلى كل من أعانني ولو بكلمة طيبة والدعاء لي بتيسير أمري، ربي يسر أمرهم وارزقهم كل خير.

آسيا عميور

مقدمة

مقدمة:

التداولية من الدراسات النقدية التي أعطت أهمية لتواصلية اللغة، فقد امتد نشاطها من وصف البنى اللغوية السطحية وأشكالها الظاهرة إلى دراسة الخطاب ضمن سياق التواصل الإنساني، مع التركيز على عنصر التداول والمقصدية من وراء الخطاب، فشكل بذلك هذا الأخير الاهتمام الأكبر لمجال التداولية.

ويتجلى البعد التداولي للغة من خلال انتقاء المرسل وسائل تواصلية مناسبة لسياقه الخطابى، تساعد على إيصال مقصده، وتعيّنه على إدارة دفعة الحديث، ويطلق عليها اسم "استراتيجيات الخطاب"، والتي يبقى الخطاب - من دون التعرف عليها ومقاربتها - يخفي خلفيات إنتاجه، وليس من الغريب أن ينصب اهتمام العديد من الباحثين حول هذا الموضوع درسا وتحليلا وبحثا، لما له أهمية كبيرة في عملية التواصل، وعلى هذا الأساس كان عنوان البحث "استراتيجيات الخطاب في كتاب: واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى الزباني الثاني مقارنة تداولية".

الحافز الأول الذي دفعني إلى تناول هذا الموضوع جدته في حدود علمي وبحثي، أما الدافع لاختياري كتاب "واسطة السلوك" مدونة للدراسة؛ اشتماله على العديد من الاستراتيجيات الخطابية المتنوعة والتي تُمكننا من قراءة خلفية المرسل ومقصده الخطابى، أضف إلى ذلك البحوث القليلة التي تناولت الأدب الجزائري القديم مقارنة بغيره، فعلى الرغم من وفرة مادته الأدبية، فأردت مساهمة في هذا السبيل البحثي، للتعريف به وكشف مكنوناته، وفي هذا لا أدعي السبق.

وفي حدود اطلاعنا نجد أن من **الدراسات العربية** التي تناولت موضوع استراتيجيات الخطاب بشكل عام؛ الدراسة التي قام بها بن ظافر الشهري والموسومة ب: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، إذ سعى من خلاله إلى تقديم رؤية تأصيلية لهذا الموضوع في الدرس التداولي العربي، وما ضمنه من تحديد مصطلح الاستراتيجية الخطابية بصفة عامة، ومعايير انتقائها وكذلك تصنيف الاستراتيجيات التي يتوخاها المرسل في خطاباته مع الآخر، إضافة إلى بعض الشواهد الخطابية لآليات كل استراتيجية.

ومن **الدراسات السابقة** التي اهتمت بالمدونة أطروحة الدكتوراه التي بعنوان "واسطة

السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى الثاني الزياني (دراسة أسلوبية) "للباحثة" سهيلة بالعيدي"، وكذلك الدراسة التي بعنوان "التدبير السياسي في كتب الآداب السلطانية للمغرب الأوسط - واسطة السلوك لأبي حمو الزياني (723-719هـ/1323-1379م) أنموذجاً للباحثين "بوشيبي فهمية" و "بوسعد الطيب"، وعلى الرغم من تطابق المدونة إلا أن الدراسات المذكورة بعيدة كل البعد عن دراستنا من حيث المنهج، والأهداف، والعنوان والنتائج، ذلك أننا نهدف لكشف أوجه استراتيجيات الخطاب وفق المنهج التداولي، في حين أن الدراسة السابقة تناولت المدونة من زاوية أخرى، والتي أضاء هي الأخرى جانباً مهماً منها.

وانطلاقاً من الموضوع حاولت أن أجيب عن الإشكالية الرئيسة التالية: ما هي الاستراتيجيات الخطابية التي وظفها "أبو حمو" في كتابه "واسطة السلوك"؟ وقد تمخضت عنها إشكاليات فرعية الآتية: كيف تتجلى كل من الإستراتيجية الخطابية التضامنية والتوجيهية، الإقناعية و الحجاجية في كتاب "واسطة السلوك"؟ وما هي الآليات والوسائل التي اعتمد عليها الكاتب في كل إستراتيجية؟ وهل وُفِّقَ تداولياً ومقصدياً في خطابه؟

متوخية من خلال هذا البحث مجموعة من الأهداف، لعل أهمها؛ إعادة إحياء التراث العربي الجزائري من خلال كتاب: واسطة السلوك، ودراسته دراسة بالاعتماد على أحد المناهج الحديثة.

ولبلوغ هذه الغاية بنيت خطة الدراسة على خمسة فصول، وخاتمة، وملحقين، أخذ الفصل الأول المعنون بـ "التداولية واستراتيجية الخطاب" بعد الطابع التعريفي، والذي تضمن مبحثين؛ خصصت المبحث الأول لمفهوم التداولية ونشأتها، أما الثاني تطرقت فيه للمفاهيم النظرية المرتبطة بإستراتيجية الخطاب، وبعض المفاهيم ذات العلاقة بها، كالخطاب والسياق، بالإضافة إلى معايير تصنيفها، وأهم العوامل المتدخلة في انتقائها وأما الفصول الأربعة المتبقية ذات الطابع التطبيقي.

فجاءت مرتبة كالاتي: 1- الاستراتيجية الخطابية التضامنية، 2- الاستراتيجية الخطابية التوجيهية، 3- الاستراتيجية الخطابية التلميحية، 4- الاستراتيجية الخطابية الإقناعية. يحتوي كل فصل منها على مبحثين، خصصنا المبحث الأول لكل فصل

للتعريف باستراتيجيته وأهم عناصرها ودواعي استعمالها، أما **المبحث الثاني** فجعلناه لدراسة وسائلها وآلياتها التي استعان المؤلف بها، وقد تم اختيار النماذج الخطابية من المدونة وتحليلها، انطلاقاً من آلية كل استراتيجية خطابية، مهيمنة على نموذج خطابي معين، ثم **ختمنا** بحثنا بأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال عملية البحث والتحليل، ولم نغفل تذييله بملحقين؛ تعلق الأول بترجمة المؤلف والثاني بتعريف الكتاب، وذيلنا الدراسة بفهرس للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات.

ومن أجل بلوغ هذه الغاية تم اختيار **المنهج التداولي**، لكونه منهاجاً حياً يحيط بجميع جوانب الخطاب، كما أضحت مجالاً غزيراً ومهماً في حقل اللسانيات؛ بل هو أداة لتحليل الخطاب، يوفر إطاراً متكاملًا له، من خلال الربط بين البنية اللغوية والعوامل السياقية المختلفة.

وكأي بحث علمي لابد له من **مصادر ومراجع**، التي تمدّه بالمادة العلمية وتعينه على الإجابة عن الإشكالية المطروحة وتثري جوانبه، أذكر على سبيل المثال؛ كتاب "استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية" للباحث "عبد الهادي بن ظافر الشهري" المصدر الأول للبحث، وقد اعتمدنا عليه في الكثير من الجوانب النظرية الخاصة بموضوع الاستراتيجيات الخطابية، كما جسد كتاب "التداولية عند العلماء العرب" للباحث "مسعود صحراوي" المصدر الثاني وكان خير معين لنا خاصة فيما يتعلق بالمنهج التداولي.

وإذا كان البحث العلمي لا يخلو من **الصعوبات** التي تعترض سبيل الباحث، فإن أهمها؛ اضطراب العديد من مصطلحات التداولية ومفاهيمها، باستثناء بعض البحوث والدراسات الجادة، كما أن بعض النماذج الخطابية من المدونة تهيمن عليها أكثر من استراتيجية بآلياتها المختلفة، مما يصعب من تحديد الاستراتيجية واختيارها، غير أن هذا لم يثن من عزيمتي فقد تم تجاوز الصعوبات والعوائق - بفضل الله عز وجل -.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بأسمى عبارات **التقدير والاحترام**، إلى من رعى البحث وأشرف عليه الأستاذ الدكتور: مسعود بن ساري؛ وشكري الجزيل كذلك للجنة المناقشة، على قبول مناقشتي، وتحمل عناء السفر والقراءة والتقييم والتقويم لإخراجه في حلة علمية مشرفة.

الفصل الأول

التداولية واستراتيجية الخطاب

المبحث الأول: التداولية
المبحث الثاني: استراتيجية الخطاب

الفصل الأول: التداولية واستراتيجية الخطاب

المبحث الأول: التداولية

إن التحكم في استخدام المصطلح يُعد مدخلاً لضبط المعرفة المراد إيصالها، والتحكم في بنيتها ومضامينها⁽¹⁾، وعلى هذا الأساس يجدر بنا أن نعرّج على بعض حيثيات الاتجاه اللساني الجديد-التداولية- من ناحية المفهوم والنشأة.

1. مفهوم التداولية:

1.1. الدلالة المعجمية:

جاء في لسان العرب لابن منظور ضمن مادة "تَوَلَّ" أن الفعل يدل على تعاقب الشيء بين أطراف متعددة، فيقال مثلاً: "تداولنا الأمر" أي تبادلته القوم فيما بينهم، و"دالت الأيام" أي تعاقبت، و"تداولت الأيدي" تعني أن الشيء انتقل من يد إلى أخرى، مما يعكس مفهوم التناوب أو التغيير المستمر في الحال أو الملكية⁽²⁾، وجاء في معجم "أساس البلاغة" للزمخشري: "دالت له الدولة، ودالت الأيام وأدال الله بني فلان من عدوهم جعل الكثرة لهم عليه [...] وأدبل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأدبل المشركين على المسلمين يوم أحد [...]، والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما"⁽³⁾، وعند "الجوهرى": "الدولة بالفتح في الحرب، تشير إلى النصر أو الغلبة، فيقال: كانت لنا عليهم الدولة، و(الدولة) بالضم تستعمل للدلالة على المال الذي يتداول بين الناس"⁽⁴⁾.

كما وردت لفظة التداولية بمعناها اللغوي في "القرآن الكريم" في بعض الآيات الكريمة من ذلك ما جاء في قوله تعالى: {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} [سورة آل عمران: 140]، فسرها ابن كثير بأنها إشارة إلى تعاقب النصر والهزيمة، فحينما تكون

(1) ينظر: علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، دار البيضاء- المغرب، ط1، 2000، ص11.

(2) ينظر: ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990، مج11، ص252-253.

(3) الزمخشري محمود بن عمر: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، د.ت.ط، ج1، ص303.

(4) ينظر: ابن منظور: المرجع السابق، ص252.

الغلبة للأعداء، وأحياناً للمؤمنين⁽¹⁾ تعبيراً عن سنة التغير والتداول بين الأمم.

لا يكاد يخرج معنى التداولية عن التحول، والتبدل، والانتقال، وعدم الثبوت، سواء من مكان إلى آخر، أو من حال إلى حال أخرى، مما يقتضي وجود أكثر من شخص يساهم في عملية التحول والتبدل والانتقال، مما يستلزم أكثر من مشارك في إنجازه، كما هو الأمر بالنسبة للغة منتقلة بين المتكلم والسامع في سياق ما يمكن أن يفهم أو يؤول إلى عدة معاني، وبذلك يكون المعنى غير ثابت ومتحول وغير مستقر بينه وبين متلقيه.

2.1. الدلالة الاصطلاحية:

* عند الغرب:

أصل المصطلح مشتق من "الكلمة اللاتينية Pragmaticus المبنية على الجذر Pragma، ويعني العمل أو الفعل Action"⁽²⁾، ويعرفها الباحث اللساني "فرانسوا ريكانتي" "Francois Récanti" بأنها دراسة تعنى باللغة في الخطاب، وتتنظر في الوسميات الخاصة به⁽³⁾، إذ تكشف عن القدرة الفعلية التي تحققها العبارة اللغوية فتأخذ بعين الاعتبار المعنى الدلالي، دون إهمال بعض الأشكال اللسانية، التي لا يظهر معناها إلا من خلال استعمالها، الأمر الذي ذهب إليه "فرانيس جاك" "Francis Jacques" وذلك في قوله "تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا"⁽⁴⁾، فتتجاوز بذلك دراسة الجملة على أنها مجرد كلمات، إلى دراستها في سياق استعمالها مراعية بذلك كل الظروف المحيطة بها، بما في ذلك مقاصد المتكلم، كما يعرفها "فيليب بلانشيه" "Philippe Blanchih" بأنها الدراسة التي تهتم باستعمال اللغة، وتعنى بقضية التلاؤم بين

(1) ينظر: عبد الحكيم سحاية: التداولية، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة- الجزائر، ع5، 1999، ص88.

(2) باديس لهويميل: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة- الجزائر، ع7، 2011، ص157.

(3) ينظر: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سورية ط1، 2007، ص18.

(4) فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط- المغرب، دط، 1986، ص5.

التعابير الرمزية والسياقات المتنوعة⁽¹⁾.

إذن تتفق التداولية على أن المعنى شيئاً ليس متأسلاً في الكلمات وحدها ولا مرتبطاً بالمتكلم وحده ولا السامع وحده، بل صناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي، أو لغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما.

* عند العرب:

لا تكاد تختلف تعريفات علماء العرب عن الغرب، فها هو "طه عبد الرحمن" المغربي أول من اصطلح "التداولية" في البحث العربي المعاصر حسب قوله: "إنّي وضعت هذا المصطلح - يعني التداولية- منذ سنة (1970)، في مقابل (Pragmatique) ولو أن التداوليين الغربيين علموا بوجود هذه اللفظة في العربية لفضلوها على لفظة (Pragmatisme) لسبب واحد، وهو أنّها توفي بالمقصود من علم التداول، فلفظة التداول تفيد في العلم الحديث الممارسة [...] وتفيد أيضاً التفاعل في التخاطب [...] ثم بالإضافة إلى ذلك أنّها من مادة واحدة ولفظة الدلالة نفسها.

يعني أن التداول سوف يرتبط بالدلالة، فإذا هذا هو التبرير العلمي الأولي لمصطلح التداول⁽²⁾، و"التداولية علم جديد للتواصل تعنى بخصائص استعمال اللغة، والدوافع النفسية للمتكلمين وردود أفعال المستقبلين، والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية والدلالية"⁽³⁾، كما يعتبر "مسعود صحراوي" من الباحثين الذين تركوا بصماتهم في الدرس التداولي المعاصر، واصفاً "التداولية" بأنها "ليست علماً لغوياً محضاً، بالمعنى التقليدي، علماً يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال

⁽¹⁾ ينظر: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص18.

⁽²⁾ زهور شتوح وزهية حيتة: التداولية دراسة في المفهوم والمجالات من خلال كتاب "التداولية" لجورج يول، مجلة التميز، العدد2، 2020، مج2، ص24.

⁽³⁾ حافظ إسماعيل علوي: التداوليات، علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إريد- الأردن، ط2، 2014، ص34، 35.

الاستعمال⁽¹⁾، ويعني ذلك الخروج إلى معنى المتكلم أو تجاوز المعنى اللغوي وتفسيره الدلالي إلى المعنى المقصود، وقد اعتبرها أنها تهتم بمحاولة تحديد المبادئ الشاملة للاستعمال، وتحليل القدرات الإنسانية التي تمكن من التواصل اللغوي، الأمر الذي يجعلها مؤهلة أن توصف بعلم الاستعمال اللغوي⁽²⁾، مبينا أن تعالق البنية اللغوية بمجال استعمالها هو المعيار الذي ينبغي اعتماده في تحديد مفهومها "دون إغفال شبكة العلاقات التي تربط هذا المصطلح بمختلف العلوم وعلم النفس المعرفي وعلوم الاتصال"⁽³⁾، كما تطرق إلى مهامها ووظائفها وعلاقتها بالمجالات المعرفية الأخرى بوصفها فعلا كلاميا محددا صادرا من متكلم محدد وموجه نحو مخاطب محدد في مقام تواصلية معين.

ويعد "أحمد المتوكل" أحد الأعلام البارزين في اللسانيات العربية من خلال أعماله المتعددة في هذا المنحى، والذي يرى أن مقارنة اللغة من منظور تداولي يتطلب الاهتمام الكبير بتحديد الوظائف التداولية التي تنهض بها اللغة العربية، وتتميز دراسته الوظيفية للغة باستنادها إلى ثلاثة عناصر وهي: التركيب والدلالة والتداولية ويذهب إلى أن الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي التواصل⁽⁴⁾.

تعكس التداولية التنوع المعرفي الذي نشأت فيه، فكل تعريف يحمل منطلقات نظرية تسيير وتضبط إجراءاته ضبطا منهجيا، وهذا لا يمنع أنها تتفق في بعض النقاط فيما بينها، الأمر الذي سمح لنا أن نستنتج مفهوما يحدد ويضبط مفهوم "التداولية" حيث يمكن أن نعرفها بأنها: دراسة اللغة أثناء الاستعمال في موقف الخطاب، مع الاهتمام بالمعنى الذي يحدده السياق بالتركيز على عناصر الخطاب (مرسل، مرسل إليه ورسالة).

(1) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط2، 2005، ص16.

(2) المرجع نفسه، ص16، 17.

(3) المرجع نفسه، ص16.

(4) ينظر: جدي إيمان وروابي أحلام: الحجاج والمغالطة دراسة تداولية في سورة الفرقان، ماستر، كلية الآداب واللغات جامعة تبسة- الجزائر، 2016-2017، ص15.

2. نشأة التداولية وتطورها:

* عند الغرب:

يعتبر الباحثون أن الانطلاقة الأولى للتداولية غامضة، لكن الأمر المتفق عليه أن اللسانيات التداولية ولدت من رحم "الفلسفة التحليلية" والتي تمثل ركنها الركين⁽¹⁾، وتعتبر بمثابة الأرضية التي نبتت فوقها، حيث بدأت إرهاباتها "تظهر في التفكير الفلسفي على يد "سقراط" ثم تبعه "أرسطو" و"الرواقيون" في القرنين 3 و 4 ق.م"⁽²⁾.

إن النشأة الأولى للتداولية قد بدأت مع أبحاث فلاسفة اللغة أو الاتجاه التحليلي في فلسفة اللغة، الذي نشأ في مطلع العقد الثاني من القرن العشرين في مدينة "فيينا" بـ"النمسا" على يد الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجه" "Gottlop Frege" (1848-1925) وخاصة في كتابه "أسس علم الحساب"⁽³⁾، والذي تناول في مؤلفاته مفهومي المعنى والمرجع، وأسهم في بلورة مفهومي تداوليين هاميين هما: "الإحالة" و"الاقتضاء" كما ميّز بين ما يسمى بـ"اسم العلم" و"المحمول" اللذان يعتبران عماد القضية الحملية، أو كما تسمى أيضا القضية الشخصية (Proposition singulière)، حيث يذهب أن "اسم العلم" يشير إلى كيان معين فردي، فهو بذلك يؤدي معنى تاما ولا يحتاج إلى لفظ آخر ليتم معناه، أما المحمول فيدل على تصور (Concept) يتولى إسناد جملة من الخصائص الوظيفية إلى "اسم الفاعل" ولذلك يقوم الاسم بوظيفة الدلالة على معنى عام (الحمل) بينما المحمول يحتاج إلى "اسم علم" ليعطيه معنى⁽⁴⁾.

وقد سار الفيلسوف النمساوي "لودفيغ فتنجنشتاين" "Wittgenstein" على خطى "فريجه" إذ أسس اتجاها فلسفيا جديدا أطلق عليه "فلسفة اللغة العادية" أي تلك المرتبطة بالاستخدام اليومي للغة، وأهم سماته أنّ المعنى لا يتمتع بالثبات أو التحديد المطلق، بل تتغير معاني اللفظ بتغير استعمالاته، بالإضافة إلى دعوته للابتعاد البحث في المعنى

(1) نعمان بوقرة: لسانيات الخطاب-مباحث في التأسيس والخطاب-، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص73.

(2) المرجع نفسه، ص73.

(3) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص18.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص18، 19.

المنطقي الصارم، مؤكداً أن الفلسفة التحليلية تصر على أن أولويات مهام الفلسفة هي البحث في اللغة، ويجب توضيحها واتخاذها مفتاحاً لفهم ما يحيط بعالمنا من مشكلات⁽¹⁾، لقد حاول "فيتجنشتاين" "wittgenstein" المساهمة في حقل اللغة من خلال محاولته إيجاد لغة مثالية تتطابق مع الفكر الفلسفي لذلك اتجه إلى دراسة اللغة العادية مركزاً على الاستعمال، إذ يرى أن "اللغة هي المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة، بل كان يعتقد أن الخلافات والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسي سوء فهمهم للغة أو إهمالهم لها"⁽²⁾، فالمعنى عنده هو الاستعمال، وبالتالي يكون قد ساهم مساهمة فعالة في مجال التداولية.

كما يولي "فيتجنشتاين" "wittgenstein" أهمية كبيرة لسياق التلفظ وعرض في ذلك فكرة ألعاب اللغة وهو تعبير يوضح كم هو مهم أن تأخذ بعين الاعتبار سياق الملفوظية إذا تعلق الأمر بفهم دلالة التعبير اللغوي من خلال كتابه "بحث في فلسفة المنطق"، الذي كشف فيه مفهوم التلاعب اللغوي، وأصبح فيما بعد الأرضية الخصبة لظهور التداولية⁽³⁾.

كما تأثر بالتجديد الفلسفي الذي جاء به "فريجه" "Frege" كل من "شارل موريس" "Maurce Charles"، "جون لانجشو أوستن" "John Langshaw Austin"، "جون سيرل" "John Searle" و"بول غرايس" "Paul Grice"، حيث يتقاسم هؤلاء الفلاسفة مبدأً عاماً مشتركاً يتمثل في أن رؤية الإنسان لنفسه وفهمه لعالمه يبني أصلاً على اللغة، باعتبارها الوسيلة التي يعبر بها عن فهمه، وتلك النظرة تشترك فيها جميع تيارات الفلسفة التحليلية على اختلاف اتجاهاتها، ويمكن إجمال سمات الاتجاه التحليلي في ما يأتي:

- ضرورة تجاوز أسلوب البحث القديم.

- تحويل مركز الاهتمام الفلسفي من مباحث نظرية المعرفة إلى التحليل اللغوي.

(1) ينظر: محمد مدور: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية، دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة باتنة- الجزائر، 2013-2014، ص36.

(2) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص23.

(3) ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة- الجزائر، د.ط 2009، ص52.

- إعادة النظر في بعض المباحث اللغوية وتعميقها، خصوصا ما يتعلق بمبحث الدلالة والظواهر اللغوية⁽¹⁾.

يعد "شارل موريس" "Morris Charles" من الذين انطلقت على أيديهم الإشاعات الأولى للتداولية في النصف الثاني من القرن العشرين، و"الذي استخدمه سنة 1938 دالا على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات، [...] هذه الفروع هي:

- علم التراكيب syntactics أو syntax: وهو يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.

- علم الدلالة semantics: وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحليل إليها.

- التداولية: وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسيها⁽²⁾، فالتداولية عنده ترتبط ارتباطا وثيقا بعلم السيمياء لأن تفسير المتلقي للأدلة يتطلب فهم علاقات الأدلة بعضها ببعض، والأشياء التي تشير إليها في الواقع الخارجي، فالتداولية إذن تقوم في جوهرها على علمي التركيب والدلالة بهدف الوصول إلى ما يقصد إليه المتكلم⁽³⁾، لأنّ الدلالة اللغوية يختلف تأويلها باختلاف المواقف السلوكية للمتكلمين.

لقد اكتمل نضج مفهوم "التداولية" مع العالم الأمريكي "جون لانجشو أوستن" "Austin John Langshaw" فوضع نواة التداولية اللسانية حينما ألقى مجموعة من المحاضرات في جامعة هارفارد، ضمن برنامج سمي بـ"محاضرات ويليام جيمس" عام 1955م، غير أنه لم يكن يسعى إلى إنشاء فرع جديد للسانيات بل كان يسعى إلى وضع أسس لفلسفة اللغة، ونجح في ذلك إلا أن تلك المحاضرات صارت فيما بعد بوتقة

⁽¹⁾ ينظر: بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السيّاب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، ط1، 2012، ص34، 35.

⁽²⁾ محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر، د.ط، 2002، ص9.

⁽³⁾ ينظر: مصطفى أوماوي والعربي بكرأوي: تداولية الخطاب الشعري ديوان أهواك عنوانا لكل قصائدي لعراس فيلالي أنموذجا، ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة أدرار، 2019-2020، ص30.

اللسانيات التداولية⁽¹⁾، وانطلق من ملاحظة مفادها أن الكثير من العبارات التي يستعملها المتكلمون، بخلاف الجمل الاستفهامية أو التعجبية أو الأمرية، لا تؤدي بالضرورة وظيفة وصفية، ولا يمكن دائماً تصنيفها ضمن ما هو صادق أو كاذب، إذ قد تُستعمل أحياناً ليس لوصف الواقع بل للتأثير فيه وتعديله، فهي لا تُبرز حالة أو حدثاً، بل تهدف إلى إحداث تغيير معين⁽²⁾، مثلاً قولك: (نهيتك عن الكذب) لا يصف واقعة، بل يسعى إلى منع الكذب، وهو ما يبين الوظيفة التأثيرية لهذه الجمل.

وقد أطلق "أوستن" على الجمل الخبرية اسم الجمل الوصفية، في حين سمى الجمل غير الخبرية بالإنشائية، وميزها بكونها تتطلب أفعالاً معينة أطلق عليها (الأفعال الإنشائية). ومن هذه المفاهيم الأساسية انطلق في صياغة مشروعه التداولي الذي أفضى إلى بلورة نظرية (أفعال الكلام)، وتفترض هذه النظرية أن كل جملة لغوية مكتملة تُتجزأ من خلالها - على الأقل - فعلاً لغوياً واحداً، كما ميّز بين ثلاثة مستويات من الأفعال: الفعل القولي، وهو ما يتم بمجرد النطق، والفعل التضميني، أي ما يُقصد ضمناً من القول، ثم الفعل التأثيري، وهو الأثر العملي الذي يترتب على القول في الواقع⁽³⁾، أي أن كل ملفوظ يحمل في طياته بُعداً فعلياً، وتُعدّ هذه النظرية حجر الأساس في الدرس التداولي، كما أكد أن الوظيفة الأساسية للغة لا تقتصر على نقل المعلومات أو التعبير عن الأفكار فحسب، بل تتجلى في كونها أداة فاعلة داخل المجتمع، تُحوّل الأقوال إلى أفعال حقيقية ضمن سياقات تواصلية محددة⁽⁴⁾.

بعد "أوستن" "Austin" جاء تلميذه "سيرل" "Searle" الذي أكمل مساعي وأفكار أستاذه، واعتبرها نقطة إقلاع لتأسيس نظرية أفعال الكلام، ومن إسهاماته تحديده للفعل الإنجازي الذي غدا مفهوماً محورياً في نظرية أفعال الكلام، وأحكم الأسس المنهجية التي

(1) ينظر: آن رويول وجاك مشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1، 2003، ص29.

(2) ينظر: خليفة بوجادي: اللسانيات التداولية، ص96.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص97.

(4) ينظر: عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ط1، 2015، ص145.

تقوم عليها هذه الأخيرة، لكن الفضل يعود إلى "أوستن" "Austin" بالرغم من أنه "لم يستطع أن يحقق ما سعى إليه من وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية"⁽¹⁾، إذ يعتقد أن التواصل اللغوي لا ينحصر في بنية اللغة الداخلية فقط، بل يرتبط بشكل وثيق بأفعال القول أو أفعال الإنشاء، أما "سيرل" "Searle" فإنه ركز على فعل القول نفسه، وأعاد "تقسيم الأفعال الكلامية وميِّز بين أربعة أقسام: فعل التلفظ، الفعل القضوي، الفعل الإنجاز، الفعل التأثيري، وسرعان ما أعاد اقتراح خمسة أصناف لها: الأخبار، الأوامر الالتزامية، التصريحات والإنجازات"⁽²⁾.

وعليه يمكن القول أن اللغة تتعدى مجرد وظيفة التواصل لتصبح أداة تؤثر في السلوك البشري وتعمل على تغييره عبر المواقف التفاعلية، ويرجع الفضل لهما في التطور الملحوظ الذي شهده الدرس التداولي مع هذه النظرية التي تنطلق من فرضية أساسية مفادها أن الجمل في اللغات المختلفة لا تقتصر على نقل مضامين مجردة عبر معانيها فقط، بل تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقاسات، أي أنها تؤدي أعمالاً مختلفة في الواقع عند التحدث في مواقف الإخبار والوعد والنهي والشكر...

وفي أعقاب إسهامات كل من "أوستن" و"سيرل"، شهدت الدراسات التداولية تطوراً ملحوظاً تمثل في وفرة الأبحاث التي توسعت في شرح وتحليل أفكارهما، مع محاولات للتطوير والتجديد، رغم أن معظم هذه الجهود تمحورت حول مفهومي أفعال الكلام والسياق بمعناه الشامل. وجاء الفيلسوف الإنجليزي "بول غرايس" "Paule Grice" فوسع مجال نظرية أفعال الكلام وأوضح أن اللغة الطبيعية ليست قاصرة كما اعتقد بعض المناطقة والفلاسفة التحليليين آنذاك، بل إن ما تحققه من علاقات تواصلية - وخاصة ما يتعلق بالاستلزام والاستدلال - يخضع لمبادئ وقواعد تقوم على رؤية عقلانية للتواصل، ومن ثم أصبح بالإمكان تفسير كيف يمكن أن تُفهم معانٍ إضافية تتجاوز ما يُصرَّح به صراحة في الكلام"⁽³⁾

(1) عبد الحكيم سحاية: التداولية، ص15، 16.

(2) ينظر: خليفة بوجادي: اللسانيات التداولية، ص99، 100.

(3) ينظر: جاك موشلار وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، المركز الوطني للترجمة، تونس، د.ط، د.ت، ص22.

وعليه نرى أن الفلسفة التحليلية اتخذت اللغة موضوعاً للدراسة باعتبارها الأداة المعرفية التي لا تستطيع بواسطتها فهم الكون فهماً صحيحاً، ضاربة بذلك ما جاءت به الفلسفة الكلاسيكية وخاصة مبدأ اللغات الطبيعية التي لم تلتفت إليه هذه الأخيرة وهو نفس المبدأ التي اهتمت به الفلسفة التحليلية والذي يعد من صميم البحث التداولي⁽¹⁾

وفي الأخير يمكن القول أن كل من الفلاسفة المذكورين سابقاً، قد تأثروا بهذا المنهج من خلال إسهاماتهم في تطويره، كما يعود لهم الفضل في إرساء دعائم الاتجاه التداولي داخل نظام علاماتي.

* عند العرب:

اهتم الدارسون القدامى العرب ببعض الجوانب التي تعتبر أهم المبادئ التي قام عليها الاتجاه التداولي، وإن لم يستخدموا لها مصطلحات معاصرة، فإنهم كانوا على دراية بها وتناولوا مفاهيمها بالتحليل والدراسة، إذ أن جل مبادئ التداولية الحديثة حاضرة في تراثنا العربي القديم، وفي سياق التأكيد على ريادة الفكر العربي في هذا المجال، يشير "سديرتي" إلى أن النحاة والفلاسفة والبلاغيين المسلمين قد استخدموا المنهج التداولي بوعي وفعالية في تحليل الظواهر والعلاقات المختلفة، وذلك قبل أن يظهر هذا المنهج كاتجاه فلسفي وعلمي في الغرب الأوروبي والأمريكي⁽²⁾، ومن نقاط التلاقي بين العرب القدامى وفلاسفة اللغة الغربيين ما ذهب إليه "ابن جني" في تعريفه للغة أنها تُعد وسائط صوتية يعبر من خلالها كل قوم عن أغراضهم المختلفة⁽³⁾، فهي إذن وسيلة تواصل للتعبير عن الأغراض، "وهذا التعريف غني بالقيم التداولية، وأهمها: أن اللغة ذات قيمة نفعية، تعبيرية"⁽⁴⁾.

كما أن لدى النحاة القدامى العديد من المفاهيم التي تتقاطع مع ما يُعرف اليوم في

(1) - آن روبول وجاك مشلار: التداولية اليوم، ص 28.

(2) - ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص 114.

(3) - ينظر: ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، د.ط، د.ت،

ج 1، ص 33.

(4) - خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص 143.

التداولية بأفعال الكلام؛ إذ يرى عدد من الباحثين المعاصرين أن ما تناوله العرب في مبحثي الخبر والإنشاء لا يبتعد كثيراً عن الأسس التي تقوم عليها نظرية أفعال الكلام إذ تفرّق بين نوعين رئيسيين منها: الأفعال التقريرية، والأفعال الإنجازية، وذلك بناءً على مدى تحققها في الواقع الخارجي وفي سياق صدورها عن المتكلم⁽¹⁾، وهي الفكرة نفسها الذي عرضها البلاغيون إذ يرون أن الخبر ما احتمل الصدق أو الكذب بالنظر إلى درجة مطابقته للخارج أو مخالفته، أما الإنشاء فلا يرتبط مفهومه بالصدق أو الكذب⁽²⁾.

بالإضافة إلى فكرة "الإغراء والتحذير"، فالإغراء هو تنبيه وحث المخاطب على أمر محمود ليفعله، و يُقصد من التحذير تنبيه المخاطب وتوجيهه لتجنب أمر غير مرغوب فيه، ويُعد هذا التنبيه - كما هو الحال في الإغراء - فعلاً كلامياً مقصوداً، وعليه فإنهما يشتركان في كونهما يسعيان للتأثير في المتلقي ودفعه إلى القيام بفعل معين أو الامتناع عنه⁽³⁾، و"بمصطلحات "سيرل"، يكون "الإغراء والتحذير" كلاهما منتميين إلى صنف الأمرات⁽⁴⁾.

ومن أهم الجوانب التي يجب مراعاتها في التحليل التداولي، هو الجانب الغير اللغوي في التخاطب، ونجد "الجاحظ" يشير إلى ذلك عندما ينبه إلى مختلف الوسائط التعبيرية ودورها في عملية الإقناع والتأثير، حيث ميّز بين أصناف بيان الدلالة ودورها في الحياة التواصلية الإنسانية وأهمها الإشارة، ومن أنواع الإشارة؛ الإشارة "باليد، وبالرأس، والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب والسيف...، فيكون ذلك زادراً، ومانعاً رادعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً"⁽⁵⁾، إذ تعتبر من أدوات البيان التي يستعين بها المتكلم لزيادة الدلالة على معنى قد يقصر عنه الكلام، وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح يوضح بعض الأمور التي يسترها بعض الناس من بعض، وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام البيان باللسان، أما النوع الثاني ما قد يؤدي دور الكلام في الدلالة، ما

(1) ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص 143.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 200.

(3) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 213.

(4) المرجع نفسه.

(5) الجاحظ عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، مصر، ط7، 1998، ج 1

أسماء "الجاحظ" "النَّصبة" فهي الحال المعبرة عن نفسها من غير اللفظ، والتي تشير إلى ذاتها بلا يد ودلالة هنا قائمة من جهة الربط بينها وبين الحال أو النَّصبة⁽¹⁾، "ومتى دل الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتاً، وأشار إليه وإن كان ساكناً"⁽²⁾.

تولي الدراسات اللغوية العربية اهتماماً كبيراً بدور كل من المتكلم والمستمع في التواصل وفهم المعنى، وهو ما يعادل مفهوم (البيان) عند "الجاحظ" حيث يُعرّف البيان بأنه اسم جامع لكل ما يكشف النقاب عن المعنى ويزيل الغموض عن الضمير، ليصل السامع إلى جوهر الحقيقة مهما كان نوع الدليل أو الجنس الذي يُستخدم، ويُظهر ذلك كيف أن الغاية الأساسية من الحديث هي الفهم والإفهام، حيث يتضح المعنى عبر أي وسيلة تُستخدم لذلك، وهو ما يعد البيان في تلك اللحظة⁽³⁾، وبذلك يُحقّق المتكلم غرض الفهم والإفهام من خلال توضيح ما قد يخفى من المعاني على السامع.

ولعل اهتمام العرب القدماء بالمعاني في دراسة النحو أهم ما يؤشر إلى معرفتهم ببعض المباحث التداولية، حيث اعتمد تحليلهم للتراكيب على البُعد الدلالي، مع التركيز على فكرة "الإفادة" التي تشكل شرطاً أساسياً لإتمام الكلام بشكل صحيح، إذ يُشير "السكاكي" إلى أن علم المعاني يتلخص في دراسة خصائص تراكيب الكلام من حيث الإفادة، وما يرتبط بها من استحسنات وغيرها، بهدف تجنب الوقوع في الأخطاء عند تطبيق الكلام على ما يستدعيه السياق⁽⁴⁾، فيبين في هذا القول أن فهم الأقوال وتأويلها يركز على تتبع خواص الكلام، واكتشاف ما يرمي إليه من معاني، ليوفق بين القول وما يقتضيه، وعليه فالإفادة فكره تداولية مرتبطة بالمعنى ولا يمكن للفظ الغير مفيد أن يحصل من خلاله تواصل وإيصال للمعنى.

لا يختلف "السكاكي" في آرائه عن "الجاحظ"، حيث اهتم كلاهما بعناصر العملية التواصلية وربطها بدور المتكلم في نقل الرسالة، وكذلك بوضعية السامع وكيفية استقباله

(1) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص81.

(2) المرجع نفسه، ص81، 82.

(3) ينظر: المرجع نفسه: ص76.

(4) ينظر: السكاكي يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زروز، دار الكتب

العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1983، ص161.

للخطاب. وبالتالي، يمكن اعتبار الدرس اللغوي القديم هو الأساس الذي مهد لظهور المنهج التداولي، الذي ركز على دراسة اللغة في سياقات الاستعمال الفعلي.

المبحث الثاني: استراتيجية الخطاب.

لنتمكن من تحديد مصطلح "إستراتيجية الخطاب"، وكما هو واضح أنه مصطلح مؤلف من لفظين؛ (الاستراتيجية، والخطاب) ينبغي علينا أن نستعرض كل مفهوم على حدا، مما يستتبع الحديث عن بعض المفاهيم ذات العلاقة بهما، كالسياق الذي يعتبر الإطار الذي يفرق بين أنواع الخطابات ويضيف إليها طابعاً خاصاً⁽¹⁾، لنصل في الأخير إلى التأليف بينهما.

أولاً؛ الخطاب:

1. مفهوم الخطاب:

1.1. المفهوم المعجمي:

ورد لفظ الخطاب في "لسان العرب" "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام والخطبة: اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب"⁽²⁾، وقد جاء في "مختار الصحاح": "خطبت على المنبر خُطْبَةً بالضم، و(خُطَابَةً)"⁽³⁾، وأما العلامة "جار الله الزمخشري" يقول: "الخطاب هو المواجهة بالكلام"⁽⁴⁾.

عند الرجوع إلى مادة (خطب) واستخداماتها في القرآن الكريم، نجد أنها وردت في عدة مواضع بصيغ متنوعة. من بين هذه الصيغ، نجد الفعل في قوله: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان 63]، وبصيغة المصدر في قوله: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ} [ص 20]، إذ يورد "الزمخشري" تفسيراً لـ (فصل الخطاب) بقوله: "معنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه [...]، الفاصل من الخطاب الذي

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، بنغازي- ليبيا، ط1، 2004، ص34.

(2) ابن منظور: لسان العرب، مادة (خُطِبَ)، ج1، ص361.

(3) الرّازي محمد بن زكريا: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، د.ط، 1986، باب(الخاء) مادة (خُطِبَ)، ص76.

(4) الزمخشري محمود بن عمر: أساس البلاغة، ج1، مادة (خُطِبَ)، ص255.

يفصل بين الصحيح والفساد، والحق والباطل والصواب والخطأ "فصل الخصام بالتمييز بين الحق والباطل، أو الكلام الفاصل بين الصواب والخطأ"⁽¹⁾.

وأما في المعاجم الأجنبية فإن الخطاب من "خَطَبَ ويعني: ألقى خطبة [...] تخاطباً: تحدثاً [...] خطاباً: كلام الخطيب"⁽²⁾.

إن مصطلح الخطاب في دلالاته المعجمية يحيل إلى الكلام، والكلام في حالة المحاورة، مما يستدعي بالضرورة موقفاً تواصلياً يفترض وجود طرفين على الأقل مخاطب ومخاطب، إضافة إلى وجود خطاب (الذي يحيلنا إلى الحوارية)، وكأن التواصل في مفهوم هذه الكلمة أمر أساسي في تحقق معناها.

2.1. المفهوم الاصطلاحي:

1.2.1. عند العربية:

من التعريفات التي وُضعت للخطاب أنه الكلام الذي يُفْضِي إلى فهم معين لدى السامع⁽³⁾، إذ ينبغي أن يتضمن الخطاب معنى محدداً يمكن للمستمع إدراكه واستنتاجه، غير أن هذا التعريف وُجِّهت إليه انتقادات بسبب غموضه، إذ يرى الآمدي أن من شأنه أن يشمل الكلام الذي لم يُرد المتكلم من ورائه إيصال المعنى إلى السامع⁽⁴⁾، فإذا وُجِّه الخطاب إلى شخص ما، فإن الهدف الأساسي منه هو الإفهام؛ إذ إن المقصود من قولنا إن الخطاب موجه إلينا، هو أن المتكلم تعمد إيصال المعنى إلينا⁽⁵⁾، فالقاعدة في إنتاج الخطاب أن يُوجَّه إلى متلقٍ بهدف معين، وهو إيصال المعنى المقصود من المتكلم، إذ

(1) - الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، علق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط 3، 2009، ص 921.

(2) - الياس انطوان الياس وادوار الياس: القاموس العصري، المطبعة العصرية، القاهرة - مصر، ط 9، 1962، مادة (خَطَبَ) ص 191.

(3) - ينظر: الآمدي الحسن بن بشر: الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط 1، 2003، ج 1، ص 131.

(4) - ينظر: المرجع نفسه: ص 132.

(5) - ينظر: إدريس حمادي: الخطاب الشرعي طرق استثماره، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط 1، 1994، ص 22.

إن غياب نية الإفهام يجعل الخطاب بلا جدوى (1).

وقد قدّم الآمدي تعريفاً أكثر ضبطاً للخطاب، إذ عرّفه بأنه اللفظ المتفق عليه، والذي يُراد به إيصال المعنى إلى من هو مؤهّل لاستيعابه (2)، يرى "الآمدي" أن تحقق الخطاب يتطلب اتفاقاً بين المتكلم والمستمع على دلالة اللفظ، مع ضرورة أن يقصد المتكلم إفهام الطرف الآخر، وأن يكون هذا الأخير قادراً على الاستيعاب، وبناءً على ذلك يستبعد "الآمدي" من مفهوم الخطاب الوسائل غير اللفظية مثل الإشارات والحركات، لكونها لا تُعد من الألفاظ، كما يستبعد أيضاً كل قول لا يُراد به الإفهام، أو يُوجه إلى من لا يمتلك الاستعداد لفهمه، لأن الغاية الأساس من الخطاب هي تحقيق الفهم لدى المخاطب.

2.2.1. عند الغرب:

لقد ارتبط توظيف مصطلح الخطاب في الفكر الغربي بثنائية اللغة والكلام، كما طرحها دي سوسور، الذي فرّق بوضوح بينهما، معتبراً أن اللغة تمثل نظاماً اجتماعياً ناتجاً عن القدرة الفطرية على النطق (3)، إذ تُعدّ اللغة عند دي سوسور نظاماً مشتركاً بين أفراد الجماعة، بينما يُمثّل الكلام ما ينطق به الأفراد فعلياً، أي اختيارهم العملي من المفردات والتراكيب، والذي يتم عبر آليات النطق المختلفة (4)، وينشأ الكلام عند "دي سوسور" بناءً على مفهوم الدائرة الكلامية، يفترض وجود طرفين على الأقل يتبادلان الحوار، وتبدأ هذه العملية من ذهن أحد المتحدثين حيث تنشأ الفكرة التي تُحوّل لاحقاً إلى كلام موجّه للطرف الآخر (5)، وقد أشار دي سوسور إلى أهمية وجود طرفين في العملية التخاطبية، إذ يشكلان عنصرين أساسيين في نشأة الخطاب، غير أنه ركّز على دراسة

(1) ينظر: إدريس حمادي: الخطاب الشرعي طرق استثماره، ص 22.

(2) ينظر: الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ص 132.

(3) ينظر: رباح بوحوش: اللسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط 2، 2009، ص 84.

(4) ينظر: ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو-الجزائر، د.ط. د.ت، ص 86.

(5) ينظر: رباح بوحوش: المرجع السابق، ص 85.

اللغة كنظام، متجاهلاً الكلام بسبب تنوع مظاهره وصعوبة حصرها وتحليلها بدقة⁽¹⁾.

من بين التعريفات التي وُضِعَتْ للخطاب، تلك التي تربطه بالجانب المنطوق من اللغة، حيث يُعتبر امتداداً مستمراً لها، خاصة في صورها المنطوقة، ويُعتبر أوسع من الجملة في العديد من الحالات، مكوناً وحدة متماسكة مثل الخطبة أو الجدل⁽²⁾.

وفقاً لتعريف "شارودو"، يُعتبر الخطاب هو الملفوظ الذي يجب وضعه ضمن سياق محدد، حيث يُعرَف بأنه الحديث أو القول الذي يحدث في موقف تواصل، ويشترط لهذا القول أن يكون قد تمّ التوافق عليه من قبل مستخدمي اللغة، ليؤدي بذلك دلالة معينة⁽³⁾ في تعريفه للخطاب يتفق مع "جون ديبوا" في بعض الجوانب، لكنه يضيف شروطاً إضافية لتكوين الخطاب، أهمها أن يكون التلفظ مرتبطاً بالسياق، وأن يحدث اتفاق بين مستخدمي اللغة. بذلك، يصبح الخطاب ملائماً للسياق ويؤدي دلالة معينة، حيث إن التلفظ العشوائي بالجمال لا يعتبر خطاباً لأنه يفتقر إلى المعنى.

الخطاب وحدة بلاغية تواصلية تنشأ من مخاطب محدد، موجهة إلى مخاطب معين، في سياق وزمان معينين، ويبدأ من وضع محدد يتم دراسته ضمن ما يُعرف الآن بـ "لسانيات الخطاب Linguistique du discours"⁽⁴⁾، وتتشرك مجموعة من العناصر في عملية التواصل في الخطاب "وهي:

1- المرسل.

2- المرسل إليه.

3- العناصر المشتركة في الخطاب تشمل العلاقة بين طرفي التواصل، والمعرفة المتبادلة بينهما، فضلاً عن الظروف الاجتماعية العامة، التي تساهم في تشكيل

(1) ينظر: ذهبية حمو الحاج: المرجع السابق، ص 85.

(2) ينظر: بشير إبرير: في تعليمية الخطاب العلمي، مجلة التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة-الجزائر، ع 8، جوان 2001، ص 76.

(3) ينظر: المرجع نفسه.

(4) ينظر: : بشير إبرير: في تعليمية الخطاب العلمي، ص 76.

الافتراضات المسبقة والقيود التي تحدد إطار عملية التواصل⁽¹⁾.

كل خطاب يقوم على هذه العناصر الأساسية الغير ثابتة والمتغيرة دوماً، ويُعدّ السياق أحد العناصر الأساسية التي تساهم في تكوين الخطاب وفهم مقصده، ويؤكد "براون ويول" أن محلل الخطاب يجب أن يراعي السياق الذي ورد فيه أي جزء من الخطاب لفهمه بشكل دقيق⁽²⁾.

2. مفهوم السياق:

1.2. السياق في الفكر الغربي:

يعد العالم الانجليزي "فيرث" "Firth" من وضع النظرية السياقية المعنى⁽³⁾، وقد سبقت بمحاولة العالم "مالينوفسكي" "Malinovski" وكلاهما قد حدد المعنى بموجب السياق الذي يستعمل فيه، إذ يرى "مالينوفسكي" "Malinovski" أن معنى أي لفظة يعتمد اعتماداً كبيراً على السياق الذي وردت فيه، وذلك حين وجد نفسه أمام جملة من الإشكاليات اللغوية التي لم يجد لها تفسيراً، هذا الأمر دفعه إلى ربط العديد من التعابير والعبارات التي كان من الصعب تفسيرها على أنها مترادفة، فعمل على ربطها بالسياقات التي قيلت فيها، وكذلك بالنشاطات التي ترافق التغيرات ، فوجد الحل المناسب لهذه الصعوبات التي واجهته من خلال نظرية سياق الموقف⁽⁴⁾.

ونجد "مالينوفسكي" "Malinovski" في إطار حديثه عن أهمية اللغة يشير إلى دور السياق لأنه يعتبر اللغة ليست أداة لتوصيل الأفكار فحسب، بل هي جزء هام من نشاط اجتماعي متناسق، ولحظة انفصالها عنه أو عندما يُستخدم اللفظ خارج سياق الموقف المناسب، يصبح بلا معنى ويصبح كالكلمة الجوفاء، إذ لا يمكن أن توجد الألفاظ بمعزل عن السياق⁽⁵⁾.

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص39.

(2) ينظر: ج.ب. براون وج. يول: تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليكي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض-السعودية، د.ط، 1997، ص35.

(3) ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، د.ب، ط5، 1988، ص68.

(4) ينظر: علي عزت: اللغة ونظرية السياق، منشورات بمجلة الفكر المعاصر، ع76، جوان 1971، ص19، 20.

(5) ينظر: المرجع نفسه، ص19.

ومعنى الكلمة عند "فيرث" "Firth" يكمن في أن المعنى لا يتضح إلا من خلال الطريقة التي تُستخدم بها الوحدة اللغوية أو الدور الذي تؤديه، ولذلك يُؤكد أن المعنى لا يكشف إلا عند وضع الوحدة اللغوية في سياقات متنوعة⁽¹⁾، ولقد اختط "فيرث" "Firth" لنفسه منهجا في دراسة المعنى، يراها "كمال بشر" تقوم على أسس ثلاثة هي: (2)

1- وجوب اعتماد كل تحليل لغوي على المقام context situation، وما يتصل بهذا المقام من العناصر والملابسات والظروف وقت الكلام.

2- من الضروري تحديد بيئة الكلام المدروس وصيغته، حيث يساهم تحديد البيئة في تجنب الخلط بين اللغات المختلفة، مما قد يؤدي إلى نتائج غير دقيقة أو مضطربة.

3- وجوب تحليل أحداث الكلام اللغوي المعقدة والمركبة، وهي ليست قابلة للدراسة والتحليل دفعة واحدة، بل ينبغي التعامل معها تدريجياً عبر مراحل متعددة والتي تعتبر فروع علم اللغة، والنتائج التي المتوصل إليها هي مجموع خواص الكلام المدروس.

الملاحظ أن "فيرث" "Firth" أراد التحرر من الازدواجية في اللغة، إذ رفض هذه الفكرة التي جاء بها الكثير من الباحثين⁽³⁾.

كما نجد "فان ديك" "Van Dyck" يتطرق إلى السياق ويؤكد بأنه يتغير لذا فالصفة التي تميزه هي "الديناميكية" أو المحركة، فليس السياق مجرد حالة لفظ، وفوق ذلك، فإن المواقف لا تبقى على حالها مع مرور الوقت، بل تتبدل مما يجعل كل سياق بمثابة تطور في سلسلة من الأحداث⁽⁴⁾.

لا يمكن تحديد المعنى بشكل دقيق أو فهمه على نحو سليم إلا من خلال تنظيم عناصر الخطاب، إذ يشير علماء التداولية إلى أن التنسيق يعني وصل العبارات بسياقها

(1) ينظر: أحمد مختار عمر، المرجع اعلم الدلالة، ص 68.

(2) ينظر: عبد النعيم خليل: السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية-مصر، ط1، 2007، ص 277، 278.

(3) ينظر: عبد النعيم خليل: السياق بين القدماء والمحدثين، ص 281.

(4) ينظر: فان ديك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق بيروت- لبنان، د.ط، د.ت، ص 258.

النصي واللغوي، فالكلمة لا تحمل معنى ثابتاً، وكذلك الجملة، بل يختلف معناهما تبعاً لطريقة الاستخدام في المواقف اليومية، ويتغير تأويل الجملة الواحدة بحسب السياق الذي ترد فيه⁽¹⁾.

ويرى "هايمز" أن للسياق دوراً مزدوجاً في عملية الفهم؛ فهو من جهة يضيق نطاق التأويلات الممكنة للخطاب، ومن جهة أخرى يوجه المتلقي نحو المعنى الذي يقصده المتكلم⁽²⁾، ف وضع صيغة لغوية ضمن سياق معين يسمح باستبعاد المعاني التي لا تنسجم مع هذا السياق، لأن السياق يضبط دلالة الصيغة من خلال تحديد المعاني الممكنة التي تتلاءم مع ظروف الخطاب، وقد وضع هايمز مجموعة من الخصائص التي تميز السياق وتسهم في ضبطه وفهمه⁽³⁾:

- 1-الباث: هو المتكلم أو الكاتب الذي يحدث القول.
- 2-المتلقي: السامع أو القارئ الذي يستقبل القول.
- 3-المستمعون: الأشخاص الذين يساهم وجودهم في تحديد معنى الحدث الكلامي.
- 4-الموضوع: محور الحدث.
- 5-الظرف: السياق المكاني والزمني للحدث.
- 6-القناة: (كيف يتم التواصل؟) لفظاً أم كتابة أم إشارة.
- 7-الشفرة: (اللغة أو اللهجة أو الأسلوب المستعمل).
- 8-طبيعة الرسالة: (مناظرة، خطبة، قصيدة).
- 9-الطابع: (تقييم الكلام).
- 10-الغرض: يُقصد بالنتيجة التي تسعى الأطراف إلى تحقيقها من الحدث الكلامي،

(1) ينظر: محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، د.ط، 1980، ص106.

(2) ينظر: ج.ب براون وج.بول: تحليل الخطاب، ص47.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص47، 48.

الغاية التي يُراد الوصول إليها من خلال التفاعل الخطابي، وتمثل هذه العناصر ركائز أساسية في بناء السياق التخاطبي، إذ يُوجّه المرسل خطابه إلى المتلقي بوجود أطراف أخرى، معتمداً على وسيلة تعبير معينة تتلاءم مع طبيعة الرسالة وسياقها، وبهدف إيصال مضمون مقصود يتعين على المتلقي إدراكه وفهمه على النحو الذي قصده المرسل.

2.2. السياق في الفكر العربي القديم:

مصطلح السياق لم يكن جديداً، بل وجد عند علمائنا العرب منذ مئات السنين، ولكن بمصطلحات أخرى منها المقام، النظم، سياق الحال...، فالذي كان غائبا هو المصطلح فقط، أما أهميته فكانوا مدركين لها وكان لهم السبق في هذا المصطلح، ومنهم "الجاحظ" الذي انتبه إلى أهميته وتحديد عناصره ومقوماته الخمس والذي يقول: تنقسم دلالات المعاني إلى خمسة أصناف ثابتة لا تتغير أو تتزايد، وهي: اللفظ، ثم الإشارة، فالعقد، يليه الكتابة (أو الخط)، وأخيراً الحال التي تُعرف بالنسبة. وتُعدّ النسبة بمثابة حال دالة يمكن أن تحل محل هذه الأصناف الأخرى⁽¹⁾، ويقول موضحاً أن الصوت من عناصر السياق، وهو الأداة الأساسية للفظ، والمكون الجوهرى الذي يعزز التقطيع والتركيب اللغوي، وبفضله يصبح للسان القدرة على إنتاج اللفظ والكلام، سواء كان موزوناً أو منثوراً⁽²⁾، وعليه يجعل "الجاحظ" السياق يقوم على اللفظ والإشارة والصوت والحال.

كما نجد "ابن جني" الرائد في مجال التحليل السياقي، قد اهتم بسياق الحال ودراسة الحدث الكلامي لكشف معانيه، إلا أن آراءه حول السياق كما هو الحال مع بعض علماء التراث، كانت متفرقة وغير منظمة في إطار نظري موحد، ومع ذلك يمكننا من خلال جمع هذه الأفكار أن نلاحظ وعيه العميق بأهمية سياق الحال وتحليل الحدث الكلامي للوصول إلى دلالات دقيقة، إذ يقول في هذا البيت:

وصكت وجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

ويعلق عليه فيقول: لو ذكر قولها (أبعلي هذا بالرحى المتقاعس) دون الإشارة إلى

(1) ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص76.

(2) ينظر: نادية رمضان النجار: اللغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الاسكندرية- مصر، ط1، 2006، ص205.

صك الوجه، لكان ذلك قد أوضح أنها كانت متعجبة ومنكرة. ولكن بذكره (وصكت وجهها)، أصبح من الواضح قوة إنكارها ودرجة تعاضم الصورة في ذهنها. ورغم أن السامع للحكاية لم يكن شاهداً للحالة، إلا أن ذكر هذا الفعل يعزز الفهم المكثف للحالة، وكأن السامع لو كان شاهداً لكان أدركها بشكل أعمق⁽¹⁾، ويستعرض أمثلة غير مباشرة للسياق في الجملة، كما في قوله: إن المحذوف من اللفظ إذا دلّت الدلالة عليه كان بمثابة الملفوظ به، ألا ترى أنه عندما جاء الخبر بصيغة المثني دل ذلك على أن المخبر عنه كذلك مثني⁽²⁾، ابن جني" في كلامه يؤكد على أثر المشاهد والأحوال في إيضاح المعنى، وأن للإشارات الجسمية الدور الكبير في عملية التواصل بين المخاطبين.

وقد نالت العلاقة بين المقام والمقال اهتمام العديد من اللغويين البلاغيين⁽³⁾ باعتبارهما أساسين من أسس تحليل المعنى، إذ يذهب "ابن قتيبة" إلى أهمية مراعاة مقتضى الموقف، فيرى أنه من الضروري على الكاتب أن يتناسب اختياره للكلمات مع مقامه ومقام المتلقي، فلا ينبغي أن يستخدم كلمات رفيعة مع الأشخاص ذوي المقام الدوني، ولا العكس⁽⁴⁾.

ويعتقد علماء الدلالة المحدثون في الغرب أن الذي وضع مصطلح سياق المقام أولاً العالم الاجتماعي "مالينوفسكي" "Malinovski" وثانياً اللغوي "فيرث" "firth"، يقول "تمام حسان": لم يكن مالينوفسكي وهو يقدم مصطلح "سياق الموقف" يعلم أنه سبق إلى مفهومه قبل ألف عام أو أكثر، حيث تم تعريف هذا المفهوم قبله تحت مصطلح "المقام" في بعض الكتب التي لم تلقَ نفس الانتشار العالمي الذي حظي به اصطلاح مالينوفسكي، وذلك بفضل الهيمنة الغربية الواسعة وجهود الدعاية الغربية المستمرة⁽⁵⁾.

(1) ينظر: خليفة بوجادي: اللسانيات التداولية، ص164.

(2) ينظر: ابن جني: الخصائص، ج1، ص293.

(3) ينظر: القزويني أبو عبد الله بن زكريا: الإيضاح في علوم البلاغة - المعاني والبيان والبدیع -، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2003، ص20، 21.

(4) ينظر: ابن قتيبة عبد الله بن مسلم: أدب الكلام، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1982، ص18.

(5) ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معانها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 1994، ص337.

3. أنواع السياق:

تتنوع وتتعدد دلالة الكلمة وفقا لتعدد وتنوع السياقات وتصنف هذه السياقات التي على أساسها تتنوع المعنى على النحو التالي:

1.3. السياق اللغوي:

يشير المصطلح إلى البيئة اللغوية التي تحيط بعناصر الكلام المختلفة مثل المفردات والجمل والخطاب بشكل عام ، والذي يدرك من خلاله التراكيب، إذ يعرفه "قادر كريم الزنكي" بقوله: "هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة، فيكسبها ذلك معنى خاصا محددا بعد أن كان متصفا بالتعددية والعموم والاحتمال على المستوى المعجمي، فيحدد المعنى داخل السياق، وتكون له سمته الخاصة غير قابلة للتعدد والاشتراك والتعميم"⁽¹⁾، وقد حدد "عبد القادر الجليل" عناصر السياق اللغوي كالتالي:

التركيب الصوتي: يشير إلى السياق الفونيمي الذي يُشكل الكلمة.

التركيب الصرفي: يتعلق بتكوين الصيغة الصرفية واختلافها عن الصيغ الأخرى، حيث يتيح هذا الاختلاف تغيير دلالاتها.

التركيب النحوي: يمكن تحليله من خلال دالتين:

• الدلالات النحوية العامة: وهي المعاني المستفادة من الجمل والأساليب، مثل دلالات الجملة على الخبر والنفي والتأكيد والنهي والأمر والاستفهام.

• الدلالات النحوية الخاصة: تتعلق بتفسير الجملة من حيث المعاني النحوية مثل الفاعلية والمفعولية والابتداء والتمييز

النظام المعجمي: يتعلق بالمفردات الموجودة في المعجم وطبيعة نظام الحقول الدلالية التي تنتمي إليها هذه المفردات.

المصاحبة: تشير إلى الكلمات التي تصاحب الكلمة الرئيسية، والتي تؤثر في معناها

(1) نجم الدين قادر كريم الزنكي: نظرية السياق-دراسة أصولية-، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص82.

وتساعد على تحديده بشكل أكثر دقة.

الأسلوب: يتجسد في الأسلوب البلاغي الذي يتميز به الخطاب ويعكس الطريقة التي يتم بها التعبير⁽¹⁾.

إن السياق اللغوي له الدور الكبير في الوصول إلى المعنى الذي نريده ونقصده، فهو الذي يشرف على تغير دلالة الكلمة تبعاً لتغير يمس التركيب اللغوي كالتقديم والتأخير في عناصر الجملة⁽²⁾.

2.3. السياق غير لغوي:

ويقصد به الأشياء غير اللغوية التي تصاحب الخطاب اللغوي، ويمكن تحديد هذه الأشياء كالتالي:

أ- شخصية المتكلم والسامع، وثقافة كل منهما، والعلاقة بينهما.

ب- شخصيات الحاضرين للخطاب اللغوي.

ج- مكانة المتكلم والسامع.

د- علاقة المتكلم والسامع بالمجتمع.

هـ- المكان الذي يحدث فيه الخطاب اللغوي.

و- الزمن الذي يلقي فيه الخطاب اللغوي⁽³⁾.

كما أن الإشارات أو بعض الأصوات غير اللغوية تعتبر سياق غير لغوي، وتؤدي بنا إلى فهم المعنى المقصود مثل اللغة المنطوقة، فقد يقتضي الموقف السياقي عدم إصدار أي صوت أو أي حركة، ومع ذلك يكون هناك معنى معين: مثل الصمت في موقف ما، أو علامة الوجه وما ظهر عليه العيون، وكل هذه سياقات غير لغوية، وعليه

⁽¹⁾ ينظر: عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة - نظم التحكم وقواعد البيانات -، دار الصفاء للنشر، عمان، ط1، 2002، ص542.

⁽²⁾ ينظر: منقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي -دراسة-، اتحاد الكتاب العرب، دمشق - سوريا دط، 2001، ص60.

⁽³⁾ ينظر: حازم علي كمال الدين: علم الدلالة المقارن، مكتبة الآداب، دب، دط، دت، ص247.

إن السياق اللغوي هو الذي يبين دلالة كل عنصر ومهمته توضيح أبعاد الدلالة الغامضة في اللفظ، وإزالة كل لبس عنها فالكشف عن المعاني لا يكون إلا بوضع الألفاظ في سياقات مختلفة.

3.3. السياق العاطفي:

وهو السياق الذي يحدد درجة القوة والضعف والانفعال، وما يستتبعها من دلالات التأكد والمبالغة والاعتدال، فكلمة (الحب) في اللغة العربية وكلمة (العشق) تتقاطعان في الدلالة المعجمية في أذهان المتحدثين باللغة العربية، حيث تشتركان في التباسات معنوية معينة، رغم أن كل منهما قد يحمل جوانب دلالية متميزة وفقاً للسياق، إلا أنهما مختلفتان في البنية اللغوية من جهة وفي هوامشها الدلالية أيضاً، وكذا الحال في كلمة (الكراهية) وكلمة (البغض)، فإنهما تشتركان في الدلالة الصمتية من جهة، غير أنهما تختلفان في بنيتهما اللغوية من جهة أخرى، وفي الإيحاءات والهامش الدلالية الجانبية من جهة ثالثة⁽¹⁾.

فالسياق العاطفي هو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة إن كان استعمالها عاطفي أو موضوعي، ويتعلق بدرجة القوة والضعف في الانفعال، فالمتكلم يختار الألفاظ ذات الشحنة التعبيرية القوية إذا كان يتحدث عن شيء ينطوي على الشدة والانفعال.

4.3. السياق الثقافي:

تعد البيئة الثقافية والاجتماعية المحيطة بالكلمة عنصراً مهماً في تحديد دلالتها، حيث تكتسب معاني معينة ضمن هذا السياق، وقد أشار علماء اللغة إلى أهمية المرجعية الثقافية المشتركة بين المتحدثين بلغة واحدة لتيسير عملية التواصل والإبلاغ، إذ تخضع القيم الثقافية في هذا السياق للطابع الخاص الذي يميز كل نظام لغوي عن الآخر، مما قد يمثل أحد العوائق الموضوعية في تعلم اللغات⁽²⁾، فالملاحظ لكلمة (الصرف) أنها تحمل

(1) ينظر: حسام البهنساوي: علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، دار زهراء الشرق، القاهرة-مصر، ط1، 2009، ص70.

(2) ينظر: منقور عبد الجليل: علم الدلالة، ص90، 91.

معنيين مختلفين بحسب التخصص الدراسي؛ ففي مجال اللغة العربية، يشير إلى علم الصرف الذي يختص بدراسة أحوال الكلمة العربية من اشتقاق وتغيير وزيادة، بينما في مجال الهندسة، يشير نفس المصطلح إلى مفهوم علمي يعنى بعمليات التخلص من المياه باستخدام وسائل مختلفة⁽¹⁾

وبناءً على ذلك، يُعدّ السياق الثقافي العامل الأساسي في تحديد الدلالة المقصودة من استخدام الكلمة، إذ رغم أن الكلمة تبقى واحدة، فإن مفهومها يتفاوت باختلاف البيئة الثقافية التي تُستخدم فيها، فاختلاف البيئات الثقافية يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة فهو من يكشف عن المعنى الاجتماعي أو الثقافي الذي توحى به الكلمة.

5.3. سياق الموقف:

يشير المصطلح "الدلالة المقامية" إلى الموقف الخارجي الذي يمكن أن توجد فيه الكلمة، حيث تتغير دلالتها تبعاً لاختلاف الموقف أو المقام الذي تُستخدم فيه⁽²⁾، من أمثلة ذلك، كلمة (يرحم) التي تختلف دلالتها حسب المقام، ففي سياق تسميت العاطس تُقال (يرحمك الله) لتكون فعلاً، بينما في مقام الترحم بعد الموت تُستخدم (الله يرحمك) لتصبح اسماً⁽³⁾، فالأولى بمعنى طلب الرحمة في الدنيا، والثانية بمعنى طلب الرحمة في الآخرة وما دل على هذا "سياق الموقف".

4. عناصر السياق:

حددها الدكتور "طه عبد الرحمن" في ثلاثة عناصر هي:

أولاً: العنصر الذاتي، الذي يتضمن معتقدات المتكلم، مقاصده، اهتماماته ورغباته.
ثانياً: العنصر الموضوعي، الذي يشمل الوقائع الخارجية كالعوامل الزمانية والمكانية.
ثالثاً: العنصر الذاتي المشترك، الذي يتعلق بالمعرفة المشتركة بين المتخاطبين، أو ما يُعرف بالأرضية المشتركة التي تتسم بتعقيد تركيبها.

⁽¹⁾ ينظر: نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، د.ب، ط1، 2009، ص124.

⁽²⁾ ينظر: منقور عبد الجليل: علم الدلالة، ص90.

⁽³⁾ ينظر: كلود جرمان وريمون لوبلون: علم الدلالة، ترجمة: نور الهدى لوشن، دار الكتب الوطنية، بنغازي-ليبيا،

ط1، 1997، ص 97، 98.

حيث تتضمن هذه العناصر مكونات رئيسية للسياق، تشمل طرفي الخطاب (المرسل والمستقبل)، بالإضافة إلى المحيط الخارجي الذي يتكون من الزمان والمكان، كما يتضمن العنصر الأخير كل ما يرتبط بالمعارف المشتركة بين الطرفين. كل عنصر من هذه العناصر يساهم بدور مهم في إنتاج الخطاب وتحقيق الهدف المرجو من عملية التواصل. وقد أولت التداوليات الحديثة اهتمامًا خاصًا بالعاملين (المتكلم والمخاطب)، وذلك لأن الخطاب لا يمكن أن يفهم إلا في ضوء معرفتنا بهما، إذ يُعتبر كل منهما ركنًا أساسيًا في الفهم الكامل للسياق التكملي⁽¹⁾.

1.4. المرسل:

المتكلم هو العنصر المحوري في إنتاج الخطاب، باعتباره الشخص الذي يتلفظ بالكلام بهدف التعبير عن مقاصده وأهدافه المحددة⁽²⁾، حيث يسعى لتحقيق هذه الغاية من خلال استخدام العلامة اللغوية المناسبة التي تتوافق مع السياق والمقصد⁽³⁾، وبمستوياتها المتميزة، إذ من خلال هذه الأخيرة ومن خلال الضمائر الواردة في الخطاب تبرز شخصية المتكلم، وتعكس قدرته في إنتاج خطابه بالشكل الذي يرغب فيه، إلى جانب استثماره للظروف المحيطة به، فإذا اعتبر الخطاب تجسيدًا لأفكار المتكلم، فإنه أيضًا يعكس مدى مهارته في تنظيم وبناء تلك الأفكار⁽⁴⁾.

يعبر الخطاب عن فكر المرسل وقدرته على بناء أفكاره، ولا يمكن اعتباره خطابًا حقيقيًا إذا لم يكن الهدف من وراء الكلام هو توجيهه إلى الآخر، فالكلام يصبح كلامًا حقيقيًا فقط عندما تكون لدى المتكلم إرادة موجهة نحو مخاطبة الآخر، وإذا لم تتحقق هذه الإرادة لا يُعد المتلقي مستمعًا حقيقيًا ما لم يُلق إليه الكلام بقصد موجه إليه أو إلى غيره بوصفه واسطة، مما يضعه في مرتبة المتلقي الفعلي⁽⁵⁾.

(1) ينظر: إدريس مقبول: الأسس الابدستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيويوه، ص 330.

(2) ينظر: ابن طافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 45.

(3) المرجع نفسه.

(4) ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 46-47.

(5) ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط 1،

بناءً على ذلك، يجب أن تتوفر شروط معينة في المتكلم ليُعتبر متحدثاً حقيقياً، وكذلك الحال بالنسبة للطرف الثاني، وهو المخاطب، إذ تتوقف طبيعته على نية المتكلم، إذ يُعدّ توفر الإرادة لدى المتكلم للتلفظ ضمن سياق مناسب عنصراً جوهرياً في الفعل التخاطبي، ففنية المتكلم تشكّل ركيزة أساسية في التداولية وتحقيق عملية التواصل.

2.4. المرسل إليه:

ويمثل المتلقي الطرف الثاني في عملية الخطاب، إذ لا يمكن للمرسل أن يتجاهل وجوده عند صياغة خطابه أو توجيهه، فحضوره شرط جوهري في بنية التخاطب⁽¹⁾، ويرى "ابن جني" أن التواصل اللفظي بين المتكلم والمخاطب يستلزم بالضرورة إدراك المتكلم لحضور مخاطبه، إذ يشير إلى أن الحديث لا يمكن أن يتم في غياب الرؤية، قائلاً إنه لا يُجيد مخاطبة أحد في الظلام⁽²⁾، إذ إن فعل المخاطبة يفترض بالضرورة وجود مخاطب حاضر، وهو ما عبّر عنه الدكتور "طه عبد الرحمن" حين اعتبر المتلقي هو الشخص الذي وُجّه إليه الخطاب قصداً من قبل المرسل، واستهدفه بفعله التخاطبي⁽³⁾، عندما يصوغ المرسل خطابه ويوجهه إلى المرسل إليه، فهو في الواقع يفرضه عليه فرضاً، إذ إن الحدث اللغوي في لحظة إنجازه يُستقبل من طرف السامع على أنه أمر واقع لا خيار له في رفضه أو تجاوزه، فبمجرد توفر شروط الإدراك لدى المتلقي، يصبح تقبله للمضمون الإخباري تلقائياً، وهذا ما يعكس الطابع الإلزامي والتسلطي الذي يميز الخطاب بوصفه فعلاً لسانياً ذا قوة إنجازية حتمية⁽⁴⁾.

يتّضح من ذلك أن الخطاب يمتلك طابعاً سلطوياً يمارسه على المتلقي، إذ يمكن له أن يوجه فهمه ويؤثر على تفسيره للمحتوى، غير أن العلاقة بين طرفي الخطاب ليست أحادية الاتجاه، فالمرسل يتأثر أيضاً بالمرسل إليه، إذ إن وجود هذا الأخير هو الدافع وراء إنتاج الخطاب، كما أن مشاركته تسهم في تشكيل مضمونه.

(1) ينظر: إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استثماره، ص 157.

(2) ينظر: ابن جني: الخصائص، ج 1، ص 247.

(3) ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 214.

(4) ينظر: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 298.

كشفت الدراسات النحوية والبلاغية عن مدى تأثر المرسل بالمرسل إليه، وانعكاس ذلك على طبيعة الخطاب وسياقه فحالة المرسل إليه تفرض على المرسل نمطا معيناً من الخطاب.

وقد أشار "ابن يعيش" إلى الأثر البالغ لإدراك المرسل إليه في تشكيل الخطاب من قبل المرسل، موضحاً أن الألفاظ مثل "قبل" و"بعد" تكتسب معناها بالنسبة إلى ما يسبقها أو يليها، لذا فهي بطبيعتها تتطلب الإضافة، لكنه بين أنه عند حذف ما تضاف إليه هذه الألفاظ مع استمرار إرادة ذلك المحذوف في المعنى، وارتكاز الفهم على إدراك المتلقي له دون التصريح به، فإنها تُعامل في الخطاب وكأنها جزء من الاسم، لما يفهم منها رغم الحذف⁽¹⁾، فالمرسل قد يستغني عن بعض ما يكون الخطاب لعلمه بمعرفة المرسل إليه به.

3.4. المعرفة المشتركة:

لا يُعد مجرد وجود المتكلم والمخاطب كافياً لتحقيق تواصل فعال، بل يتطلب الأمر وجود علاقة تربط بين الطرفين، إلى جانب خلفية معرفية مشتركة، فطبيعة العلاقة بين المتخاطبين تُعد من أبرز العوامل السياقية التي تؤثر في اختيار الأسلوب الخطابي المناسب، إذ يحرص المرسل على مراعاتها أثناء إنتاج خطابه، نظراً لما لها من أثر بالغ في ضمان فاعلية التواصل وتحقيق مقصده⁽²⁾، وتُعد العلاقة بين المتكلم والمخاطب عنصراً حاسماً في تحديد الاستراتيجية الخطابية الملائمة، ما يستلزم من المرسل أن يُوليها اهتماماً خاصاً عند بناء خطابه، إذ تشكل هذه العلاقة الأساس الذي يستند إليه الطرفان لإنجاح عملية التواصل، فالمتكلم يستند في إنتاج خطابه إلى عناصر السياق، كما يعتمد المخاطب على هذه العناصر لفهم المقاصد وتأويل الرسالة، بما يضمن تحقيق الإفهام والفهم، ومن ثم الإقناع والتأثير⁽³⁾، إن المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب تلعب دوراً مهماً في تسهيل العملية التواصلية فهي تساعد المرسل في اختيار الطريقة الأمثل لبناء خطابه، كما أنها تمكن المخاطب من فك شفرات الرسالة والتوصل إلى المقصد المقصود.

(1) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ج4، ص86.

(2) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص48.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص49.

هذه المعرفة المشتركة تتيح للطرفين فهم الرسالة بشكل صحيح، ما يسهل من عملية الإقناع والإفهام. لذلك، يجب أن يكون المرسل على دراية بكيفية التواصل مع المخاطب وبلوغ الهدف المنشود، كما يجب أن يتوفر نفس الفهم لدى المرسل إليه لضمان تحقيق الهدف الفعلي للخطاب، وتنقسم المعرفة المشتركة إلى الأقسام التالية:

1- المعرفة العامة بالعالم: وتشمل فهم كيفية تواصل الأفراد، وطريقة التفكير، وكيفية أداء الأفعال اللغوية ضمن المجتمع، مع مراعاة الخصائص الدينية، الثقافية والاجتماعية التي تؤثر هذا المجتمع.

2- المعرفة بنظام اللغة: وتعني الإلمام بكل مستويات اللغة الخاصة بها. من الضروري أن يتقارب مستوى المعرفة اللغوية بين طرفي الخطاب، حيث يعد هذا العنصر أساسياً في تسهيل عملية التواصل.

3- المعرفة التداولية: وهي مكملة للمعرفة اللغوية، وتشمل فهم الأشكال اللغوية واستخداماتها في السياقات التداولية من قبل المرسل والمرسل إليه.

تتكامل هذه المعارف لتوجه كلاً من المرسل والمخاطب نحو نجاح عملية التواصل وتحقيق أهدافها.

5. أهمية السياق:

أشار العلماء منذ القديم الأهمية التي يحملها السياق بتحديد الدلالة المقصودة لكلمة في جملتها، وأن التحديد الدقيق لدلالة اللفظ إنما يرجع للسياق، فهو الذي يصرف الالتباس والغموض والإيهام عنها ويضبط ويوجه دلالتها، مما دفع أصحابه للتنويه للأهمية الكبيرة التي يقوم بها ويتضح هذا من أنه:

- هو الركن الأساس في فهم الرسالة اللغوية، فهو يعطي الكلمة أو العبارة معناها الخاص ويزيل اللبس عن الكلمة⁽¹⁾.

- الموجودات لا يمكن أن تُفهم بشكل صحيح في العقل دون ارتباطها بسياق معين،

(1) ينظر: خلود العموش: الخطاب القرآني - دراسة في العلاقة بين النص والسياق -، عالم الكتب الحديث، ط1،

إذ أن هذا السياق هو الذي يحتضنها ويمنحها المعنى، فالمعنى يُعتبر الشكل الحيوي الذي يتكيف ويتغير مع كل سياق جديد⁽¹⁾.

- له دور كبير على مقصود دلالة المتكلم وتحديد هوية العبارة⁽²⁾.

- السياق يحدد دلالة اللفظ ويبين قيمته في التعبير حيث لا يمكن الاستغناء عنه بغيره⁽³⁾.

- السياق من العناصر الأساسية التي يركز عليها في تحليل الخطاب اللغوي⁽⁴⁾.

- في علم الدلالة، يُعتبر السياق عالماً معقداً ذا أهمية بالغة، حيث تنشأ الدلالات، وفقاً لما يقوله علماء الدلالة، بطريقة سياقية تتأثر بالقرائن الحالية التي ترافق عملية الكلام، بالإضافة إلى القرائن المرتبطة بنظام اللغة، والتي يدركها المتلقي استناداً إلى معرفته بذلك النظام⁽⁵⁾.

- السياق هو الذي يبين لنا ما إن كانت الكلمة يجب أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف أو أنها قصد بها المتكلم التعبير عن العواطف والمشاعر⁽⁶⁾، وهو يشرف على تغيير دلالة الكلمة تبعاً لتغيير يمس التركيب اللغوي كالتقديم والتأخير.

- تظهر الكلمة في كل مرة تُستخدم فيها ضمن سياق معين يحدد معناها بشكل مؤقت، حيث يفرض السياق قيمة دلالية واحدة على الكلمة، رغم تعدد المعاني المحتملة التي يمكن أن تدل عليها⁽⁷⁾.

(1) ينظر: إدريس مقبول: الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديثة، إريد- الأردن، ط1، 2011، ص 55.

(2) ينظر: إدريس مقبول: الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، ص 62.

(3) ينظر: محمود عكاشة: الدلالة اللفظية، مكتبة أنجلو مصرية، دط، دت، ص 53.

(4) ينظر: حازم كمال الدين: علم الدلالة المقارن، ص 243.

(5) ينظر: خلود العموش: الخطاب القرآني، ص 30.

(6) ينظر: منقور عبد الجليل: علم الدلالة، ص 89.

(7) ينظر: جورج فندريس: اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، دط، 1950، ص 231.

ثانياً؛ الاستراتيجية:

1. مفهوم الاستراتيجية:

"الاستراتيجية" مصطلح شائع الاستعمال، واسع المعنى، متعدد الوجوه، نشأ هذا المفهوم وتطور في المجال العسكري، نتيجة ارتباطه الطويل بالانتصارات والإخفاقات العسكرية التي تحدث في ساحات المعارك، ثم امتد ليشمل العديد من المجالات والميادين المعرفية المتنوعة نتيجة تراكم الخبرات والمعارف، فقد يوصف موقع بأنه "موقع استراتيجي"، أو قرار مهم بأنه "قرار استراتيجي"، أو حتى نمط من التفكير بأنه "تفكير استراتيجي"، وما إلى ذلك من الاستعمالات.

تعود جذور مفهوم الاستراتيجية إلى كتابات المفكر الصيني "سان تزو"، الذي قدم من خلال كتابه الشهير (فن الحرب) إرشادات للقادة العسكريين حول التخطيط من أجل تحقيق النصر في الحروب، وقد صاغ رأيه في الاستراتيجية بعبارة ذات دلالات عميقة، حيث قال: "تظاهر في الشرق وأضرب في الغرب"⁽¹⁾، وقد تتعددت تعريفات "الاستراتيجية" من حقل معرفي لآخر، فمفهومها في الحرب غير مفهومها في مجال آخر، لكثرة سياقات استخدامها لأنها لا تقوم على قانون ثابت، بل مرتبطة بالتطورات السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، والنفسية، والعسكرية.

بالإضافة إلى تباين إدراك هذه التطورات وتباين الاستجابة لها والتفاعل معها⁽²⁾، ولكنها تجتمع حول فكرة واحدة وهي أنها تعبير عن استغلال الوسائل لتحقيق الأهداف، أي هناك تكامل وتداخل بين الأهداف والوسائل، فالاستراتيجية على وجه العموم تُعرف بأنها الأساليب المتبعة لمعالجة مشكلة معينة أو تنفيذ مهمة محددة، وهي مجموعة من العمليات المترابطة التي تهدف إلى تحقيق أهداف معينة، كما يمكن تعريفها بأنها تدابير مُخطط لها بعناية لضبط المعلومات المحددة والتحكم فيها⁽³⁾.

(1) ينظر: زياد عبد الرحمن علي الكوراني: رؤيا جيوسراتيجية لمستقبل الصراعات الإقليمية في منطقة تزامم الإستراتيجيات، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2019، ص24.

(2) ينظر: علي الكوراني: رؤيا جيوسراتيجية لمستقبل الصراعات الإقليمية، ص24.

(3) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص55.

وعليه فالاستراتيجية "خطة في المقام الأول للوصول إلى الغرض المنشود"⁽¹⁾، وهذه الخطة هي السبيل إلى تحقيق الأهداف المحددة آنفاً، فالإنسان يسعى دائماً إلى تحقيق أهدافه لذا يضع الخطط التي تسهل الوصول إليها كما توفر له الوقت، وتجنبه الوقوع في الأخطاء، وبما أن "الاستراتيجية" خطة؛ فهي ذات بعدين اثنين: أولهما تخطيط ذهني مسبق لما ستكون عليه الخطة المتوقعة، وثانيهما تجسيد فعلي، وواقعي لمعطيات الخطة المبرمجة ومراحلها.

كي يتطابق ما هو ذهني مع ما هو واقعي مع العلم أن صاحب الاستراتيجية هو من يركز عليه الأمر كله، سواء عند التخطيط أو التجسيد أو عند استغلال الوسائل، والإمكانات المساعدة على بلورة هذا العمل⁽²⁾، ويعد البعد التخطيطي الأساس في العملية، حيث يعتمد على الفكر والتحليل، في حين يكمله البعد المادي الذي يرتبط بالجوانب الإجرائية، ويتعلق بتنفيذ الاستراتيجية وتحقيق أهدافها على أرض الواقع.

و"الاستراتيجية" الناجحة تعتمد على اختيار الوسيلة الملائمة، والكفيلة بتحقيق الهدف من بين الوسائل المتاحة، وتتحدد وسائلها من السياق العام والظروف الخارجية والإمكانات المتاحة التي تضمن نجاحها، فكلما كانت هذه الخطط والوسائل تتكيف مع سياقها، زادت فرص تحقيقها فانتقاء أنسب الاستراتيجيات عمل ضروري.

أما في الغرب، حيث نشأت هذه الكلمة وانتشرت فيرى "ميشال فوكو" "MICHEL FOUCAULT" أن "الاستراتيجية" ذات معاني متعددة في قوله: تستعمل كلمة الاستراتيجية عادة بثلاثة معاني:

أولاً: تُستخدم للإشارة إلى اختيار الوسائل الملائمة لتحقيق هدف معين، حيث يتعلق الأمر بالعقلانية في اتخاذ القرارات للوصول إلى غاية مرجوة.

ثانياً: تشير إلى الطريقة التي يتصرف بها أحد الأطراف في سياق لعبة ما بناءً على توقعاته حول تصرفات الآخرين، وحسب ما يعتقد أنه سيتصورون تصرفه، أي الطريقة

(1) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص55.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص53.

التي يسعى من خلالها إلى التأثير على الطرف الآخر.

وأخيراً: تُستعمل للدلالة على الأساليب الكلية المتبعة لمواجهة خصم بهدف حرمانه من وسائله القتالية وإجباره على الاستسلام. ومن ثم، تُحدد الاستراتيجية من خلال اختيار الحلول الأكثر فاعلية لتحقيق النصر⁽¹⁾. هذه المفاهيم التي أعطاها "فوكو" "FOUCAULT" تتفق على أنها عمل ذهني يعتمد على استخدام العقل، وكل عمل يتطلب استراتيجية خاصة ببلورها صاحب العمل للوصول إلى النتائج المرجوة. وإجمالاً يمكن القول أن "الاستراتيجية هي مجموعة الأساليب، والخطط، والمناهج المتبعة من أجل تحقيق الأهداف المسطرة في أقل وقت ممكن، وبأقل جهد مبذول.

2. الاستراتيجية الخطابية:

كل مرسل خطاب يسعى إلى تحقيق أهدافه من خلال مختلف الأفعال التي يمارسها يومياً، فيستخدم في ذلك الأدوات اللغوية، أو غير اللغوية التي تتناسب والسياق، وهذا الاستخدام يطلق عليه "الاستراتيجية"، إذ تُعتبر أي محاولة لتحقيق الأهداف من خلال تصرف لغوي بمثابة استراتيجية من حيث المبدأ⁽²⁾، وقد ارتبط مفهومها في الخطاب لأن هذه العملية تشمل اختيار المرسل للعبارات والكلمات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد السياق الملائم، فإنه قبل أن يتلفظ بخطابه، يقوم بتخطيط كيفية إنتاجه والطريقة المثلى لنقل معناه إلى المرسل إليه، وبالتالي يحرص على استخدام اللغة بدقة تتناسب مع السياق، ومن أجل تنفيذ هذه العمليات بنجاح، يجب أن يكون لديه مستوى عالٍ من الكفاية اللغوية والتداولية .

2-3-2-1 الكفاءة التداولية:

يرى "تشومسكي" "CHOMSKY" يجب أن يكون المتكلم على دراية شاملة بلغته، وتتضمن هذه الدراية القواعد الأساسية التي تتيح له تركيب الجمل بشكل صحيح

⁽¹⁾ ينظر: أوبر دريفوس وبول رابينوف: ميشيل فوكو (مسيرة فلسفية)، ترجمة: جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، ص200.

⁽²⁾ ينظر: فولفجانج هاينة من وديتر فيهيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، د.ط، د.ت، ص314.

وصياغتها بطريقة سليمة، وبناءً عليه تُعتبر الكفاية اللغوية هي المعرفة اللازمة لبناء الجمل بشكل صحيح أو فهمها بشكل دقيق⁽¹⁾، غير أن "هايمز" تجاوز هذا المصطلح الذي يقتصر على الجانب النحوي لمعرفة المتكلم، بل يرو أنه ينبغي على المتكلم أن يكون على دراية شاملة بلغته، و تشمل هذه الدراية القواعد الأساسية التي تتيح له تركيب الجمل بشكل صحيح وصياغتها بطريقة سليمة، وعليه تُعتبر الكفاية التواصلية هي المقدرة التي يمتلكها المتكلم لإنتاج منطوقات مناسبة لأنماط المواقف الاتصالية المختلفة، بدلاً من التركيز فقط على الجمل النحوية⁽²⁾، وتتكون "الكفاية التواصلية عند "فان ديك" " VAN DYCK من خمس ملكات: (3)

أ- **الملكة اللغوية:** تمكّن مستعمل اللغة من إنتاج وتفسير العبارات اللغوية بشكل صحيح في إطار بنيوي متنوع، مما يتيح له إنشاء جمل مناسبة للمواقف المختلفة.

ب- **الملكة المنطقية:** تمكن مستعمل اللغة من اشتقاق معارف جديدة استناداً إلى قواعد استدلالية تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والاحتمالي، مما يعزز قدرته على التفكير التحليلي.

ج- **الملكة المعرفية:** تتيح لمستعمل اللغة تكوين رصيد من المعارف المنظمة التي تمكنه من استخراج معارف من العبارات اللغوية وتخزينها بشكل مناسب، بالإضافة إلى استحضارها وتوظيفها في تأويل النصوص.

د- **الملكة الإدراكية:** تمكّن مستعمل اللغة من إدراك محيطه واستخلاص المعارف من هذه الإدراكات التي يمكن استخدامها في إنتاج العبارات اللغوية وتفسيرها.

هـ- **الملكة الاجتماعية:** تمكن مستعمل اللغة من تحديد وتطبيق الطريقة المثلى

(1) ينظر: محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدلالة في العربية-، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، ط2، 2007، ص148.

(2) ينظر: محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة-مصر، د.ط، 2014 ص48،49.

(3) ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط-المغرب، د.ط، 1995، ص 16، 17.

للتخاطب مع مخاطب معين في موقف تواصل محدد، بهدف تحقيق أهداف تواصلية معينة وملائمة.

وتؤدي كل من هذه الملكات دوراً محدداً وتعد جوانب مستقلة عن بعضها البعض، حيث تتميز كل ملكة بخصائص خاصة بها، ومع ذلك فإن هذه الملكات تتفاعل معاً أثناء إنتاج المتكلم للعبارات اللغوية، كل ملكة من هذه الملكات تساهم في تشكيل الخطاب وتوجيهه بشكل مستقل، لكنها تتكامل مع بعضها لتحديد المعنى بشكل دقيق.

وصنف "فان ديك" "VAN DYCK" هذه الملكات في قوالب محددة، حيث يتخصص كل قالب في وصف ملكة معينة، وهذه القوالب هي: "القالب اللغوي، القالب المنطقي، القالب المعرفي، القالب الاجتماعي، والقالب الإدراكي"، كل قالب يركز على جانب معين من العملية التواصلية ويعكس دور كل ملكة في إنتاج الخطاب وتأويله، مما يساهم في فهم أعمق للغة والتواصل⁽¹⁾، و قد تعمل هذه القوالب معاً في تأويل عبارة لغوية معينة، إلا أن هناك حالات لا تستدعي جميع القوالب، وذلك لأن العبارة اللغوية قد تحتوي بالفعل على كافة المعلومات اللازمة لتفسيرها.

بناءً على الأدوار التي تؤديها هذه القوالب، قسم "أحمد المتوكل" القوالب إلى فئتين: "قوالب الآلات" و"قوالب المخازن"؛ تضم الفئة الأولى القالبيين النحوي والمنطقي، حيث يتعلقان بالبنية اللغوية وتنظيم الفكر، أما الفئة الثانية فهي تضم القالب المعرفي، القالب الإدراكي، والقالب الاجتماعي، وهذه القوالب تتعلق بتخزين المعرفة والتفاعل مع البيئة والمحيط الاجتماعي⁽²⁾، ويكمن الفرق بين الفئتين في أن القوالب الآلات تقوم بإنتاج العبارات اللغوية وتأويلها، بينما يقتصر دور قوالب المخازن على إمداد الأولى بما تقتضيه عمليات الإنتاج والتأويل من معلومات غير لغوية⁽³⁾.

إذا رجعنا إلى التراث النقدي والثقافي العربي القديم، فإننا نجد تصنيفاً قريباً من التقسيمات التي قدمها كل من "فان ديك" و"أحمد المتوكل"، وذلك في تنظير "حازم

(1) ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية، ص 25.

(2) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية، ص 30.

(3) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 58.

القرطاجني" الذي عبّر عن هذه الجوانب بمصطلح "القوى"، فقد اشترط توفر ثلاث قوى أساسية في الشاعر كي يتمكن من إنتاج شعر متكامل ومتميز، وتتمثل هذه القوى في:

1. القوة الحافظة: وهي المعنية بحفظ وتنظيم صور الخيال وتثبيتها في الذهن بحيث يمكن استدعاؤها عند الحاجة، فتمكن الشاعر من استحضار ما يلائم غرضه الشعري، كالغزل أو المديح.

2. القوة المائزة: وتُعنى بالتمييز بين ما يلائم المقام والغرض والأسلوب من جهة، وبين ما لا يناسبه من جهة أخرى، أي أنها تُرشد الشاعر إلى انتقاء العناصر الصحيحة والمناسبة.

3. القوة الصانعة: وهي المسؤولة عن عملية التأليف والتركيب، إذ تقوم بتنظيم الألفاظ والمعاني والأساليب وتألّفها بشكل متسق لتكوين بناء شعري متماسك ومتكامل⁽¹⁾، تجتمع هذه القوى التي يشترط "حازم القرطاجني" توافرها في الشاعر لإنتاج نصه الشعري على النحو الذي يبتغيه، غير أن هذه القوى لا تؤدي وظائفها بنفس الدرجة أو الإيقاع في جميع الأحوال، فكما أن لكل قوة دورها المحدد، فإن حجم مشاركتها في صياغة الخطاب يتباين باختلاف السياقات؛ فقد تعمل جميع القوى مجتمعة في لحظة واحدة ولكن بفاعلية متفاوتة، أو قد يُفعل بعضها دون الآخر حسب ما يقتضيه المقام، إذ يشير إلى أن هذه القوى لا تنشط دفعة واحدة، بل يظهر أثرها خلال مراحل زمنية متعاقبة تتبع التدرج الطبيعي لعملية الإبداع الشعري⁽²⁾.

من خلال تحليل مفهومي "الكفاية اللغوية" و"الكفاية التواصلية" وخصائص كل منهما، يتبين أن امتلاك الكفاية اللغوية بمفردها لا يُعد كافياً لتحقيق تواصل فعّال، إذ لابد من دعمها بالكفاية التواصلية، ذلك أن القواعد اللغوية توضح ما يمكن أن يقوم به المتحدث أو المستمع ضمن لغة معينة، في حين تهتم قواعد التواصل بما ينبغي فعله لتحقيق التفاهم، وتُعنى الاستراتيجيات باختيار أنسب الوسائل لإحداث تأثير فعّال ضمن

(1) ينظر: القرطاجني حازم بن محمد: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، د.ط، د.ت ص 42، 43.

(2) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 58.

التفاعل التواصلية⁽¹⁾، كل من الكفاية اللغوية والكفاية التواصلية وظيفة محددة تؤديها؛ فالكفاية اللغوية تُعنى بإتقان قواعد اللغة واستعمالها بشكل صحيح، بينما تركز الكفاية التواصلية على حسن توظيف تلك القواعد لإنتاج خطابات مناسبة من حيث المعنى والسياق، ويقصد بالاستخدام هنا توظيف هذه الخطابات في المواقف والسياقات الملائمة.

تُساعد الكفاية التواصلية المتلقي على استيعاب المقصود من الخطاب، حتى وإن لم يُصرح به بشكل مباشر؛ فعلى سبيل المثال، عندما يقول أحدهم لخدمته: (الجو بارد هنا)، فقد يكون الغرض الضمني - في ظل ظروف معينة - هو طلب إغلاق النافذة، لا مجرد نقل معلومة عن حالة الطقس، ويُظهر إدراك المتكلم أن هذه العبارة، ضمن شروط السياق، تُحقق غرضه بطريقة غير مباشرة، فمدى امتلاكه للكفاية التخاطبية تمكنه من التعبير عن حاجته دون صياغتها كطلب صريح⁽²⁾، وبالمثل، فإن قدرة المتلقي على تفسير الخطاب واستنتاج أن المقصود منه هو الطلب لا الإخبار، تعكس امتلاكه للكفاية التواصلية، خاصة عندما يدرك أن العبارة الصادرة ضمن ظروف معينة لا تُناسب غرض الإخبار.

فالمرسل، في الغالب لا يصوغ خطابه بطريقة مباشرة، بل يبينه انطلاقاً من مجموعة من العوامل التخاطبية والسياقية، ما يدفعه إلى اختيار أسلوب غير مباشر يتمشى مع طبيعة الموقف، وبالتالي فإن الشكل الظاهري للخطاب يُعد تعبيراً عن عملية تفكير أُسبق، ويتعين على المتلقي أن يستحضر تلك العوامل المحيطة كي يتمكن من الانتقال من البنية الظاهرة للخطاب إلى المعنى المقصود الكامن خلفها⁽³⁾، يعتمد المتكلم في كثير من الأحيان على صياغة ظاهرية للخطاب تخفي وراءها مقصداً مختلفاً عما يبدو على السطح، وهنا يُطلب من المتلقي أن يستند إلى السياق والظروف التي اعتمدها المتكلم أثناء بناء خطابه، من أجل كشف المعنى الضمني وفهم الرسالة الحقيقية الكامنة وراء الشكل اللغوي الظاهر.

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص58.

(2) ينظر: محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، ص149.

(3) ينظر: ابن ظافر الشهري: المرجع نفسه، ص59.

يرى العديد من اللغويين أن تطور الكفاية التواصلية لدى الإنسان يسير جنباً إلى جنب مع تطور الكفاية اللغوية بشكل طبيعي، ويستدلون على ذلك بقدرة الطفل على استخدام اللغة في سياقات مناسبة منذ مراحل مبكرة؛ فعلى سبيل المثال، حين ينطق الطفل بكلمة واحدة مثل (ماء)، لا يقتصر الأمر على مجرد النطق، بل يتعداه إلى إنجاز فعل لغوي يتمثل في طلب الماء، مما يعكس استيعابه لاستخدام اللغة وظيفياً ضمن السياق⁽¹⁾، عند تعريفهم للغة، ذهب بعض اللغويين إلى اعتبارها ملكة مكتسبة تشبه الصنائع، حيث تتجلى في قدرة اللسان على التعبير عن المعاني، وتتفاوت في مستوياتها من حيث الجودة أو القصور تبعاً لدرجة إتقان هذه الملكة، ولا يُنظر إلى هذه الملكة من زاوية الألفاظ المفردة، بل من حيث التراكيب التي تُوظف لنقل المعاني المطلوبة بدقة، مع مراعاة البناء الذي يجعل الخطاب مناسباً للسياق.

وعندما يبلغ المتكلم هذا المستوى من التحكم في تركيب الكلام بما يتلاءم مع مقتضى الحال، يكون قد حقق الهدف من التواصل، وهو إيصال المعنى بفعالية؛ وهذا هو جوهر البلاغة، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الملكات لا تُكتسب إلا عبر التكرار والممارسة المستمرة⁽²⁾، ويرى "ابن خلدون" أن التكرار يُعد من الأساليب الأساسية لتطوير واكتساب الملكة اللغوية، حيث يسعى الأفراد إلى تحسين كفاءتهم التواصلية من خلال الاكتساب المستمر والممارسة، وأحياناً عبر التعلم المباشر، ذلك لأنهم يدركون الدور الهام الذي تلعبه هذه الكفاءة في التفاعل داخل السياقات الاجتماعية التي يتبادلون فيها التواصل مع الآخرين⁽³⁾، تعتبر الكفاءة التواصلية الأساس الذي يمكن المرسل من اختيار الاستراتيجية المناسبة لخطابه.

ومن هنا، تُعرّف استراتيجية الخطاب على أنها الطريق الذي يختاره المرسل للتعبير عن أفكاره وتنفيذ إرادته، بحيث تُساهم في تحقيق أهدافه من خلال استخدام وسائل لغوية وغير لغوية، ويُحدد المرسل هذه الاستراتيجية بناءً على ما يقتضيه السياق الذي يتم فيه

(1) ينظر: محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، ص58، ص60.

(2) ينظر: عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط4، 1981، ص554.

(3) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص62.

التحدث، مع مراعاة العناصر المختلفة للسياق التي يراها ملائمة لتحقيق الهدف⁽¹⁾. من خلال هذا التعريف، يتضح أن "الكفاءة التواصلية" تُعد من الشروط الأساسية لاختيار استراتيجية الخطاب التي تساعد المرسل على تحقيق أهدافه التواصلية، ونظرًا في أن الخطاب يتألف من بنية لغوية متعددة المستويات التي تشكل الجوانب المساهمة في اكتماله، فإن الاستراتيجية تظهر في كل مستوى من هذه المستويات: الصرفي، المعجمي، التركيبي، والتنظيمي⁽²⁾ وتعكس تجسيد الاستراتيجية بشكل جيد في مختلف مستويات الخطاب مدى كفاءة المرسل وقدراته.

ولتحقيق ذلك، يستخدم المرسل خطأً معينة يمكننا تسميتها استراتيجيات، وهي استراتيجيات متنوعة قد يصعب حصرها، رغم ذلك قام بعض الباحثين بمحاولة تصنيف هذه الاستراتيجيات بشكل عام من خلال النظر في مساراتها الرئيسية وسماتها المشتركة، مستخدمين بعض المعايير المقترحة التي تسعى لتوفير ضوابط دقيقة لهذا التصنيف.

3. معايير تصنيف الاستراتيجيات الخطابية :

لا يخرج أي خطاب طبيعي عن المسلمات التالية⁽³⁾:

- مسلمة الحوارية: الحديث لا يكون ذا فائدة إلا عندما يتبادل الحديث طرفان، لكل منهما دور معين؛ أحدهما يكون المتكلم، والآخر هو المستمع.
- مسلمة الخطاب الطبيعي: مقتضاها أن الخاصية المميزة للخطاب هي اللغة الطبيعية، وأن أي خطاب يكون لهدف معين وقصد ما.

وبناء على ذلك تصبح هذه العناصر معايير لتصنيف الاستراتيجية التي يأخذها المرسل في الاعتبار عند إنتاج خطابه، مما يحدد العلاقة بين الاستراتيجيات ومعطيات إنتاج الخطاب، والعلاقة بين طرفيه، ومن ثم العلاقة بين الخطاب نفسه والمرسل، لفهم

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 70، 71.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 71.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 87.

الآليات المستخدمة فيه، وعندئذ يمكن تقسيم تلك المعايير إلى: (1)

1. معيار اجتماعي، يقوم على معيار العلاقة بين المتواصلين. 2. معيار لغوي، يركز على شكل لغة الخطاب، حيث يشير إلى ما يحمله هذا الشكل من دلالة على نية المرسل، سواء كانت دلالة مباشرة أو ضمنية. 3. معيار هدف الخطاب.

1.3 معيار العلاقة بين طرفي الخطاب:

للعلاقة بين المتخاطبين الدور المهم في تشكيل الخطاب، إذ يسعى مرسل الخطاب إلى اختيار إستراتيجيته التي توافقها، بالإضافة إلى مقاصده والظروف المحيطة بإنتاج خطابه، أما في حال انعدام تلك العلاقة، فيسعى جاهداً إلى تأسيسها من خلال خطابه، دون أن يغفل الدور الفعال الذي يقيمه السياق الاجتماعي والثقافي في تأسيس العلاقات بين الأشخاص، بناء على ما يشتركون فيه من خصائص اجتماعية وثقافية ولغوية... الخ، كما لا نتجاهل مستوى الحوار بين المتخاطبين الذي هو الآخر له تأثير في تحديد العلاقة بينهما.

"وتستقر العلاقة المسبقة بين طرفي الخطاب على محورين:

أ. محور العلاقة الأفقية.

ب. محور العلاقة العمودية" (2).

أ. محور العلاقة الأفقية:

تتمثل في الخصائص الدينية (مسلم، مسيحي)، خصائص جنسية (ذكر، أنثى)، خصائص السن (صغير، كبير، شيخ)، خصائص المهنة (أستاذ، طالب، ضابط، ...)، الخصائص الجنسية (جزائري، سعودي، خليجي) وغيرها من الخصائص الأخرى التي تتبلور فيها العلاقة الأفقية، سواء كانت العلاقة موجودة قبل الخطاب، أو لم تكن موجودة فإن هذا الأخير يتكفل بإيجادها، من خلال توظيف اللغة، لأنها من العوامل التي يستند إليها المرسل في اختيار إستراتيجيته المناسبة للسياق، كما تساهم في توجيه المرسل إليه

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 87، 88.

(2) المرجع نفسه، ص 89.

إلى تأويل الخطاب الذي يناسب السياق⁽¹⁾.

ب. محور العلاقة العمودية:

تتبلور العلاقة العمودية في ما يعرف بالسلم التراتبي التصاعدي للناس داخل المجتمع، سواء سلم اجتماعي أو وظيفي، إذ يقع كل من المرسل والمرسل إليه في إحدى درجاته، وعلى المرسل استحضاره في خطابه، وتجدر الإشارة أن العلاقة العمودية لا تقوم بمعزل عن العلاقة الأفقية بل تتداخلان في أحيان كثيرة، وربما في الخطاب الواحد⁽²⁾.

وباعتبار أن العملية التخاطبية التواصلية عبارة عن بنية متفاعلية تقوم على نوعين من المبادئ: مبادئ تواصلية، ومبادئ تعاملية⁽³⁾، فإن المرسل يعتمد على عدد من المبادئ أثناء إنتاج خطابه، ووفقا لما تقتضيه العلاقة بينه وبين المرسل إليه، والتي تعرف في الدرس التداولي "بالمبادئ التخاطبية".

-المبادئ التخاطبية:

-مبدأ التعاون: عرف في اللسانيات التداولية لدى "غرايس" "P.Grice"، ويقصد به المبدأ الذي يعتمد المرسل عليه للتعبير عن مقصده، مع ضمان قدرة المتلقي على فهمه وتفسيره بشكل صحيح⁽⁴⁾، وينص على: توجيه مشاركتك بما يتناسب مع المرحلة التي يتم فيها التواصل، بما يحقق الغاية المتفق عليها في عملية التخاطب، وتندرج تحت هذا المبدأ مبادئ فرعية، تصنف إلى أربع مقولات هي: "الكمية، الكيفية، والإضافة، الجهة" إذ تكمن أهميتها، في أنها تسمح باستدلالات تتجاوز المحتوى الدلالي للعبارات المنطوقة، ولذلك خصت هذه الاستدلالات باسم "الاقتضاء التخاطبي"، تمييزاً لها عن "الاستلزام المنطقي" فالإقتضاء عند "غرايس" يعتمد على مطالب معينة متعلقة بطبيعة التواصل القائمة أساساً على التعاون، بالإضافة إلى المضمون⁽⁵⁾، وينص مبدأ التعاون على ضرورة مناسبة

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 89.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص، 89، 90.

(3) ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 253.

(4) ينظر: ابن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص 96.

(5) ينظر: المرجع نفسه، ص 238، 239.

المساهمة التحادثية مع المطلوب، أي ملاءمتها مع متطلبات الكلام المشارك فيه بأربعة قواعد: قاعدة الكم، والكيف، والعلاقة، والصيغة.

أ- قاعدة الكم: وهي أن "يحمل الكلام معلومات كافية تتوافق مع ما هو مطلوب"⁽¹⁾.

ب- قاعدة الكيف: ويطلق عليها "النوع" تنص على الصدق في الكلام وعدم التأكيد على ما هو خاطئ وعلى ما يفتقر من الأدلة"⁽²⁾.

ج- قاعدة العلاقة: تركز على "ضرورة أن يكون الكلام ذا صلة بالموضوع"⁽³⁾.

د- قاعدة الصيغة: تركز على "الوضوح وعدم الإبهام والإطناب"⁽⁴⁾.

- مبدأ التأدب: تكمن صيغة هذا المبدأ في عبارة "لتكن مؤدبا" والذي أوردته "لاكوف" "Lakoff" ويتطلب أن يلتزم المتكلم والمخاطب بالتعاون المشترك لتحقيق الغاية المقصودة من الحديث، حيث يكون لكل منهما دور في اتباع ضوابط التهذيب التي تتساوى في أهميتها مع ضوابط التبليغ التي يجب الالتزام بها⁽⁵⁾، وعليه فرعت مبدأها إلى "القواعد التهذيبية الثلاثة الآتية:

- قاعدة التعفف: تنص على ضرورة عدم فرض نفسك على المخاطب.

- قاعدة التشكك: تعني أن تتيح للمخاطب حرية الاختيار بنفسه.

- قاعدة التودد: تشير إلى أهمية إظهار الود والاحترام للمخاطب⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ حجر نورما وحيدة: الاستلزام الحواري في سورة البقرة في القرآن الكريم (دراسة وصفية تحليلية تداولية)، مقدمة لإكمال بعض شروط الاختبار للحصول على درجة السرجانا لكلية العلوم الإنسانية والثقافية في شعبة اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية، مالانج-إندونيسيا، 2018، ص345.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص345.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص356.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه.

⁽⁵⁾ ينظر:

Robin LAKOFF: The Logic of Politeness: or, Minding Your p's and Q's, in Papers from The Ninth Regional Meeting Chicago Linguistic Society; Chicago: 1973, pp292-305.

نقلا عن: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص240.

⁽⁶⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص241.

—مبدأ الوجه: يُعرف هذا المفهوم بصيغة "لتصن وجه غيرك"، ويعتمد على مفهومين أساسيين: الأول هو "الوجه"، والآخر هو "التهديد"، الذي يُعتبر نقيضاً لمفهوم "الصيانة".
الوجه : يُمثل الذات التي يدعي الشخص امتلاكها وترتبط بها قيمته الاجتماعية، وينقسم إلى نوعين:

- الوجه السلبي: يهدف فيه الشخص إلى عدم اعتراض الآخرين على أفعاله.
 - الوجه الإيجابي: يسعى فيه الشخص إلى أن يعترف الآخرون به، حيث يُعتبر الحوار مجاًلاً يتعاون فيه كل من المتكلم والمخاطب للحفاظ على "ماء الوجه" لكليهما.
- أما التهديد فيُعتبر من الأقوال التي تُعامل في التداوليات كأفعال، ويتضمن تهديداً مباشراً للوجه الذاتي:
- تهديد وجه المستمع: قد يتجسد في أقوال تدفعه للقيام بفعل معين، مثل الأوامر أو النصائح أو التحذيرات، أو في أقوال تجبره على قبول شيء من المتكلم مثل العروض والوعود، كما قد تتخذ شكل تعبيرات تدعو المتلقي للاحتفاظ بشيء، كالتقدير والإعجاب.
 - تهديد الوجه الإيجابي للمستمع: قد يظهر في أقوال تُعبر عن تقويم سلبي كالسخرية أو الذم، أو تُظهر عدم الاهتمام، مثل التعرض لكلام المخاطب قبل فهمه أو مقاطعته قبل أن ينهي حديثه.

• أما بالنسبة للمتكلم، فإن بعض الأقوال قد تهدد "وجهه" مثل الشكر أو قبول الشكر، أو قد تظهر في صورة اعتذار أو إقرار أو ندم⁽¹⁾

وقد اقترحا "براون" "BROWN" و"ليفينسون" "LEVINSON" مجموعة من الخطط التخاطبية المناسبة التي تضمن نجاح العملية التخاطبية التواصلية، من دون إراقة (ماء) الوجه، أو تساهم في التقليل من حدة التهديد على الأقل، وقد تتحقق هذه الخطط بواسطة صيغ تعبيرية ينتقي المرسل منها ما يراه مناسباً لقوله التهديدي، وهذه الخطط

(1) ينظر: Penelope BROWN and Stephen LEVINSON: Universals in Language use:

Politeness phenomena, in GOODY, Esther, N: Questions and Politeness, Cambridge

University Press: 1978, p p 56–289. – نقلاً عن: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 243.

الخمس هي:

- أ- أن يمتنع المرسل عن تقديم القول الذي يحتوي على تهديد.
- ب- أن يُصرّح بالقول المهدّد دون أي تعديل من شأنه تخفيف درجة التهديد.
- ج- أن يُصرّح بالقول المهدّد مع تعديل يساهم في تجنب الإضرار بالوجه السلبي للمتلقّي.
- د- أن يُصرّح بالقول المهدّد مع تعديل يساهم في تقليل التأثير على الوجه الإيجابي للمتلقّي.
- هـ- أن يتم تقديم القول بشكل غير مباشر، تاركًا للمتلقّي الخيار في تحديد أحد المعاني المحتملة للرسالة⁽¹⁾.

- مبدأ التأدب الأقصى: طرح "لينتش" "G.Leech" مبدأه المسمى "بمبدأ التأدب الأقصى"، والذي صاغه على صورتين "إحداهما سلبية وهي: قتل من الكلام غير المؤدّب، والثانية إيجابية وهي: أكثر من الكلام المؤدّب"⁽²⁾ اشترط فيه أن يكون المتكلّم أكثر تأدّبًا في الإحالة إلى قرينة المخاطب أكثر من إحالته إلى قرينته هو ذاته، وعليه فَرع قواعد فن التأدّب، في شكل ثنائيات كما يلي: ⁽³⁾

قاعدة اللباقة: أ- تقليل الضرر الواقع على الطرف الآخر، ب- زيادة المكاسب للطرف الآخر.

قاعدة السخاء: أ- تقليل المكاسب الشخصية، ب- زيادة الخسائر الشخصية.

قاعدة الاستحسان: أ- تقليل الذم للطرف الآخر، ب- زيادة المدح للطرف الآخر.

قاعدة التواضع: أ- تقليل المدح الذاتي، ب- زيادة الذم الذاتي.

قاعدة الاتفاق: أ- تقليل الخلاف بين الذات والطرف الآخر، ب- زيادة الاتفاق بين

⁽¹⁾ ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 243، ص 244.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 246.

⁽³⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص 246، 247.

الذات والطرف الآخر.

قاعدة التعاطف: أ- تقليل التنافر بين الذات والطرف الآخر، ب- زيادة التعاطف بين الذات والطرف الآخر.

- **مبدأ التصديق:** صاغه "طه عبد الرحمن" في عبارة جامعة، هي "لا تَقُلْ لِغَيْرِكَ قَوْلًا لَا يُصَدِّقُهُ فَعْلُكَ"، ويقوم على عنصرين اثنين: أحدهما يتعلّق بالجانب التبليغي من المخاطبة وهو "نقل القول"، والثاني الذي يتعلّق بالجانب التهذيبي منها وهو "تطبيق القول"⁽¹⁾، وتتفرع عن هذه المبادئ قواعد جمعها "المارودي" في قوله:

أ- يجب أن يكون للكلام دافع يحفزه، إما لتحقيق منفعة أو لتجنب ضرر.

ب- يجب على المتكلم أن يختار الوقت والمكان المناسبين لتقديم كلامه، مع السعي لاستغلال الفرصة بشكل جيد.

ج- ينبغي أن يقتصر الكلام على ما هو ضروري، بما يتناسب مع الحاجة.

د- يجب اختيار الألفاظ المناسبة التي تتلاءم مع الموقف والطريقة التي يتحدث بها المتكلم⁽²⁾.

2.3. معيار شكل الخطاب:

إذا طابق الشكل اللغوي للخطاب مقاصده يكون المرسل قد استعمل الاستراتيجية المباشرة، أما إذا لم يطابق الشكل اللغوي للخطاب مقاصده فيكون بذلك قد استعمل الاستراتيجية الغير مباشرة (التلميحية)، ولكل استراتيجية آلياتها الموظفة المناسبة اللغوية وغير اللغوية التي ينتقيها المرسل من بين الكثير من الآليات، فوفق معيار الشكل اللغوي للخطاب للمرسل "بإمكانه أن يستعمل إحدى الإستراتيجيتين:

- الاستراتيجية المباشرة.

(1) ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 249.

(2) ينظر: الماوردي علي بن محمد: أدب الدين والدنيا، دار المنهاج، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، ص ص 266،

- الاستراتيجية التلميحية⁽¹⁾ (غير المباشرة).

3.3. معيار هدف الخطاب:

يعتبر الهدف في الخطاب نواة العملية التخاطبية التواصلية، كما يعد من عناصر التأثير في اختيار الشكل الخطابي الأنسب، وترشيح الاستراتيجية المناسبة له، ذات الآليات اللغوية وغير اللغوية المؤهلة التي تتضمن سيرورته، و يتكون من مستويين اثنين؛
نفعي وكلي:

يمثل المستوى النفعي ما هو خارج إطار الخطاب، وهو الهدف الفعلي الذي يسعى المرسل لتحقيقه، مثل تحقيق الأهداف الاجتماعية كالمصالحة بين الأطراف المتنازعة، أو الأهداف التعليمية مثل تطوير مهارات الطلاب، أما المستوى الكلي فيتجسد في الفعل اللغوي الذي يقوم به المرسل عبر عملية التلفظ بالكلام، بغض النظر عن نجاحه في تحقيق الهدف النفعي من عدمه، ويعد هذا الفعل خطوة أساسية تمهد الطريق لتحقيق الهدف الأول⁽²⁾، وتكمن أولوية هدف الخطاب، عندما يُعطي المرسل للهدف المرجو من خطابه أولوية أثناء إنتاج ذلك الخطاب في سياقات معينة؛ حيث يغلب عناصر على حساب عناصر أخرى، مثلما يفعله المرسل إذا كان خطابه توجيهيًا؛ إذ تشكّل أفعال التوجيه أهم عنصر في خطابه، كاستعمال صيغ: الأمر، والنهي، والإغراء... إلخ

4. العوامل المتدخلة في انتقاء الاستراتيجية الخطابية:

ينتقي المرسل استراتيجية خطابية محددة قبل وأثناء إنتاج خطابه، وتعد مقصدية الخطاب وسلطته، من أهم تلك العوامل تأثيرا في عملية الانتقاء.

1.4. مقصدية الخطاب:

يسعى المرسل إلى التعبير عن مقاصده مراعيًا بذلك طريقة التعبير، لكي يتحقق مقاصد العملية التخاطبية التواصلية، إذ ينتقي المرسل الاستراتيجية الخطابية التي يراها ملائمة لذلك بما في ذلك السياقات الأخرى؛ مما يدل بأن كل "محاولة للوصول إلى

(1) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص162.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص196، 197.

أهداف من خلال فعل (حدث) لغوي، هي من حيث المبدأ إستراتيجية⁽¹⁾.

أ- أهمية مقصدية الخطاب:

تعتبر مقصدية الخطاب جوهر العملية التواصلية، حيث لا يمكن أن يحدث التواصل بواسطة العلامات دون وجود نية أو قصدية وراء فعل التواصل⁽²⁾، وعلى المرسل أن يمتلك اللغة بمختلف مستوياتها لينجح خطابه مع المرسل إليه ويفهمه كما يعنيه، إذ يجب أن يقتصر المتكلم على ما يقصده من كلامه، وأن يتجنب التطرق إلى ما لا يهدف إليه، لأن الحديث عن الأمور غير المقصودة يعد انحرافاً عن الهدف الأساسي⁽³⁾، وتتمثل أهمية القصد في الخطاب في أن المتلقي لا يستوعب المعلومات على أنها مجرد إشارات من المتكلم دون وجود نية واضحة وراءها، بل تعتبر هذه المعلومات بمثابة مؤشر على قصد المتكلم⁽⁴⁾.

ب- أنواع المقصدية الخطابية:

تتنوع المقصدية الخطابية بتنوع ظروف تأسيس الخطاب وما يريد المرسل إيصاله للمرسل إليه، كتهنئته، أو نصحه أو تحذيره...، وقد قسم "هنريش" "Hanrish" المقصدية في الخطاب إلى ثلاثة أنواع، هي: ⁽⁵⁾

-المقصدية الفكرية: تضم عدة أغراض متداخلة دوماً (تعليمية وحجاجية وأخلاقية):

• الغرض التعليمي: ويهتم بإخبار المتلقي بواقع ما، باستخدام الجانب

(1) ينظر: فولفجانج هاينة من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم لغة النص، ص296.

(2) ينظر: جبرار دولودال: التحليل السيميوطيقي للنص الشعري، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط-المغرب، ط1، 1994، ص25.

(3) ينظر: أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان ط3، 2001، ص10.

(4) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص187.

(5) ينظر: هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية نحونموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة: محمد العمري، أفريقيا الشرق المغرب، د.ط، 1991، ص ص25، 27.

الإخباري من الخطاب بعيداً عن العواطف والذاتية (كما في النصوص العلمية والإخبارية).

• **الغرض الحجاجي:** يتمثل في أن موضوع الخطاب عقلي، ويمكن أن يتحقق هذا الغرض بالحجة.

• **غرض الأخلاقي:** يهتم بكل ما هو أخلاقي، يتضمن عناصر تعليمية.

- **المقصدية العاطفية المعتدلة:**

تتكون للمقصدية العاطفية المعتدلة من: مكوّن غائي ومكوّن غير غائي، وهما ينتجان انفعالاً خفيفاً (التعاطف مثلاً).

• **غرض المكوّن الغائي** هو إقناع الجمهور؛ حيث يظهر هذا المقصد في مدخل الخطاب.

• **غرض المكوّن غير الغائي** هو المتعة الجمالية للجمهور

- **مقصدية التهييج:**

تتمثل في الانفعالات العنيفة "الحقد، الألم، الخوف... إلخ"، التي تسيطر على الجمهور؛ إذ تمثل تهيج وقتي (انفجار عاطفة ما).

2.4. سلطة الخطاب:

• **مفهوم سلطة الخطاب:**

للسلطة الدور الرئيس في إنتاج الخطاب ويتمثل هذا الدور في ترجيح استراتيجية معينة دون أخرى، مناسبة للسياق، إما بتفعيل سلطته بالاعتماد على المكان المناسب لها، أو بالتنازل عنها، ويعرف "فوكو" السلطة بأنها "علاقة قوى، وكل علاقة قوى هي على الأصح علاقة سلطة"⁽¹⁾.

⁽¹⁾ جيل دلوز: المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، ط1،

• أنواع السلطة في الخطاب:

عندما يعبر المرسل عن إرادته في توطيد علاقته بالمرسل إليه أو الابتعاد عنه، أو عندما يبتغي نصحه أو إرشاده وتوجيهه... إلى غيرها من السياقات التّخاطبيّة التّواصلية، معناه أن "كل موقف من هذه المواقف يكشف عن مظهر من مظاهر ممارسة السلطة الخطابية"⁽¹⁾.

ولهذا لا ينعلم أي خطاب من سلطة تمثله، سواء على مستوى بنيته اللّغويّة أو خارجها فكل خطاب يمارس سلطته على المتلقّي حينما "يخفي كينونته السلطويّة فيما وراء وظيفته المعرفيّة، هكذا لكل معرفة سلطتها ولكل نص قوّته ولكل علم من الأعلام الكبار سطوته على العقول والنّفوس"⁽²⁾.

نظراً لما تلعبه السلطة من دور رئيس في إنتاج الخطاب وتأويله، كما أنها تمنحه قوة إنجازيّة؛ يتمثل دورها بوصفها عنصراً رئيساً في اختيار استراتيجيّات دون أخرى، فسلطة المرسل تعدّ العنصر الأساسي لتنفيذ بعض الأفعال اللّغوية، حيث لا يستطيع الإنسان القيام بها إلا إذا توفرت شروط معينة فيه، على سبيل المثال: الموقع الوظيفي الذي يمنح المدير القدرة على اتخاذ قرارات مثل: التعيين والعقوبات والفصل، ودون هذا الموقع وما يتضمنه من صلاحيات، لا يمكن أن يكون خطاب المرسل ذا تأثير⁽³⁾. وينقسم الخطاب بدوره إلى نوعين اثنين من حيث نوعيّة المصادر التي يستقي منها سلطته، فهناك فرق بين خطاب مارس فيه المرسل سلطته باستخدام أدواته الخاصة كخطاب، مثل آليات الإقناع والتحفيز المعرفي، بينما يوجد نوع آخر من الخطاب الذي يمارس السلطة استناداً إلى مصدر خارجي، أي أنه يستمد سلطته من عوامل خارج بنية الخطاب ذاته⁽⁴⁾، بيد أن ظروف إنتاج الخطاب، تمثّل المعيار الفاصل بين هذين النوعين،

⁽¹⁾ محمد محمد يونس علي: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2016، ص61.

⁽²⁾ علي حرب: نقد النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط4، 2005، ص199.

⁽³⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيّات الخطاب، ص84.

⁽⁴⁾ ينظر: ناصر حامد أبو زيد: الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط3، 2008، ص06.

فالنوع الأول من الخطاب يستمد سلطته من كينونته اللغوية، فيما يستمد النوع الثاني سلطته من موقع ووظيفة المرسل والمؤسسة التي ينتمي إليها؛ إذ تتفاضل هذه الأخيرة فيما بينها بحسب أهمية المرسل والمكان الذي يُنتج فيه خطابه.

وعليه، يتّضح لنا أن المرسل ليس هو العنصر الوحيد الذي يمتلك السلطة في الخطاب؛ بل هناك عناصر سياقية أخرى تتدخل في إنتاج الخطاب وفي اختيار استراتيجية خطابية معينة، وكل واحد من تلك العناصر يمتلك سلطة خاصة به يؤثر على عملية إنتاج الخطاب، وربما العملية التخاطبية التواصلية بشكل شامل ممّا يحيلنا إلى طرح التساؤلات التالية: من أين يأخذ الخطاب سلطته؟ أم من موقع مرسله؟ أم من سلطة المرسل إليه؟ أم من لغته؟ أم من ظروف إنتاجه؟ كيف تؤثر السلطة في الخطاب على انتقاء استراتيجية خطابية معينة؟

يمكن للخطاب أن يأخذ سلطته من مصادر متنوعة، نلخص أهمّها في الاختيارات الآتية: (1)

1- من قدرته الكلية (الشمولية) على ممارسة فعل القوة/القدرة التي تملي شروطها على متداوليه في حقل معين؛ سواء أ كانت هذه القوة سياسية أم اقتصادية أم فنية أم علمية... إلخ.

2- أو من طبيعة لغة الخطاب نفسه.

3- أو من سلطة الإيديولوجيا التي تخاطب معها المرسل.

4- كما يمكن أن يستمد الخطاب سلطته من المؤسسة الوظيفية أو الاجتماعية التي ينتمي إليها مرسله.

5- من سلطة اللغة التي أسس من خلالها خطابه.

6- قد يأخذ الخطاب سلطته من سلطة المقام الاجتماعي لمرسله، من حيث كونه رجل دين، أو رجل سياسة... إلخ.

(1) ينظر: عبد الواسع الحميري: الخطاب والنص "المفهوم، العلاقة، السلطة"، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت-

وبالإضافة إلى هذه المصادر التي قد يستقي منها الخطاب سلطته، هناك سلطة أخرى تضاف إلى سابقتها ألا وهي سلطة المرسل إليه، وتظهر حينئذ هذه السلطة عندما يكون المرسل إليه في مرتبة وظيفية أو اجتماعية أعلى من المرسل، ومعنى هذا أنها ليست الشرط الوحيد لتحقيق ذلك؛ لأنه قد يوظف المرسل بعضاً من الألفاظ الدالة على الاحترام والتبجيل، دونما وجود أية قيود تلزمه بطاعة المرسل إليه، بل يستعملها وفق استراتيجية خطابية منتقاة توجهها مقاصد شخصية خطابه وإرادته.

وعليه إن أي خطاب لا ينعلم من سلطة، سواء أ كانت هذه السلطة واضحة وجليّة في الخطاب أو العكس، وعليه عُدت السلطة في الخطاب من أبرز العوامل المؤثرة في اختيار استراتيجية خطابية معينة.

3.4. تأثير السلطة في الخطاب على انتقاء الاستراتيجية الخطابية:

يكن تأثير السلطة في انتقاء استراتيجية خطابية محدّدة، من خلال المعايير الثلاثة الخاصة بتصنيف الاستراتيجية، و المتمثلة في:

• أثر السلطة في تشكيل العلاقة بين طرفي الخطاب:

يؤدي دور السلطة في تأطير طبيعة العلاقة الاجتماعية التي تربط بين طرفي الخطاب، إلى اختيار الاستراتيجية الخطابية الملائمة التي تجسد تلك العلاقة، وبما "أنّه يتفرّع عنه إستراتيجيتان هما: الاستراتيجية التضامنية، والتوجيهية، فيربط العديد من الباحثين بين استخدام إحدى الأدوات أو الاستراتيجيات من جهة، ووجود سلطة المرسل من جهة أخرى⁽¹⁾، إذ نجد أن الاستراتيجية التضامنية تتناقض مع السلطة، حيث تهدف التضامنية إلى تقريب المرسل إليه ومنحه الأولوية في الخطاب، بينما تركز استراتيجية التوجيه على تجاهل ذلك.

ومع هذا التباين الواضح قد لا يعتمد المتكلم على ممارسة سلطته بنفس القدر طوال مراحل تفاعله مع المتلقي⁽²⁾، حيث يمكن للمرسل أن يبدأ بتوظيف الاستراتيجية

(1) ينظر: عبد الواسع الحميري: الخطاب والنص "المفهوم. العلاقة. السلطة، ص 236.

(2) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 235.

التّضامنيّة، في مقدّمة خطابه كي يكسب ثقة المرسل إليه منذ البداية، ومن ثمّة يطرح القضية التي يخاطبه من أجلها؛ وكأنّه نوع من الاستدراج، بينما عند استعماله للاستراتيجية التّوجيهيّة، فهو يريد تحقيق الفارق الاجتماعيّ بينه وبين المرسل إليه، وهذا لا يكون إلّا بممارسة سلطة فعليّة عليه، تتعكس في لغة خطابه؛ أي تكون عندها لغة خطابه لغة تتسم بالصرامة والحزم، وتغيّب فيها الألفاظ ذات الدلالات العاطفيّة والتّضامنيّة⁽¹⁾.

• دور السلطة في تأطير شكل الخطاب للدلالة على القصد:

لا شك أن نوعيّة السلطة التي يمتلكها كل من المرسل والمرسل إليه لها تأثيرها المباشر، على اختيار استراتيجية خطابيّة معيّنة، من طرف المرسل حتى يحقق من خلالها مقاصده الخطابيّة.

فعند توظيف فعل "الطلب" على سبيل المثال، يمكن للمرسل ذي الرتبة الاجتماعية والوظيفية العالية أن يستخدم الاستراتيجية التصريحية، بينما يلجأ المرسل ذو الدرجة الأدنى إلى الاستراتيجية التلميحية، يظهر هذا بشكل واضح في كيفية رفض الطلبات؛ حيث يصرح المرسل ذو الدرجة العليا بالرفض بشكل مباشر وموجز، في حين يميل المرسل ذو الدرجة الأدنى إلى التلميح والمناورة بشكل أكبر، ومن هذا يمكن استنتاج أن سلطة المرسل تمنحه القدرة على المناورة في إنتاج خطابه، مما يتيح له اختيار الاستراتيجية المناسبة بين التصريحية والتلميحية، أو حتى التبدل بينهما عند مخاطبة نفس المرسل إليه⁽²⁾.

• دور السلطة في تأطير معيار هدف الخطاب:

من خلال الخطاب يود المرسل أن يحقق قصدا معيّنًا أو أكثر، ويعد الإقناع من أبرز الأهداف التي يسعى المرسل لتحقيقها في خطابه، وتعتبر علاقة المرسل بمفهوم السلطة علاقة أساسية وجوهرية، إذ يسعى المرسل دائماً إلى إقناع المتلقي، الذي يملك نوعاً من السلطة عليه، يمكن تسميتها بسلطة الإقناع، وبالتالي يمثل الإقناع تجسيداً

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 236، 237.

(2) المرجع نفسه، ص 239.

للسلطة⁽¹⁾، وعندئذ تكون السلطة هي العامل الأساس الذي يمد المرسل إمكانية اختيار الإستراتيجية التي يراها مناسبة لتحقيق مقاصده الخطابية، وفي حالة ما إذا كان المرسل يمتلك سلطة مؤسسية واجتماعية معاً، عندئذ لا تكون استراتيجية الإقناع هي خياره الوحيد في الخطاب.

بل يمكنه أن يوظف استراتيجيات خطابية أخرى؛ كالتوجيهية أو التضامنية، بأن يتنازل عن سلطته أمام المرسل إليه بمحض إرادته، كما قد يختار استراتيجية الإقناع بالرغم من امتلاكه لكل أنواع السلطة من أجل تحقيق مقاصده الخطابية أو مراعاة لخصوصية السياق التداولي الحاضر أثناء إنتاج الخطاب، وفي احتمال عدم اكتسابه لأية سلطة فإنه يسعى إلى تأسيسها داخل خطابه أي عن طريق توظيف ألفاظ وعبارات معينة تحمل أبعداً سلطوية، يخضع لها المرسل إليه بناءً على العلاقة المشتركة التي تجمعهم به⁽²⁾ كتوظيف: الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية الشريفة، أو النصوص القانونية... إلخ"، وهذا ما نصطلح عليه بـ"السلطة الداخلية للخطاب".

وفي الأخير يمكن القول أن لكل خطاب مقصديته وسلطته إذ تربط بين هاتين الأخيرتين علاقة متبادلة، إذ كل منهما يُنتج الآخر ويقيد ويؤثر فيه، ومثلما الخطاب يتأثر بالسلطة فإنه يؤثر فيها⁽³⁾ وعليه يمكن القول أن تعدد سلطة الخطاب من تعدد مقاصده، وتعدد مقاصد الخطاب من تعدد سلطته.

⁽¹⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص242.

⁽²⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص243.

⁽³⁾ ينظر: محمد يونس: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، ص65.

الفصل الثاني

الاستراتيجية الخطابية التضامنية

المبحث الأول: الاستراتيجية التضامنية
المبحث الثاني: الوسائل اللغوية التضامنية

الفصل الثاني: استراتيجية الخطاب التضامنية

المبحث الأول: الاستراتيجية التضامنية:

يقصد المتكلم من خطابه بلوغ هدفه وإيصال فكرته إلى المتلقي، فيسلك من أجل ذلك سبلا تكون فاعلة على تحقيق هدفه، إذ يرى أن من الأمور الأولى التي يجب أن يقوم بها اتجاه متلقي خطابه، أن يؤسس لتلك العلاقة التي تجمعهم به، أو أن يعززها إن كانت موجودة مسبقا، فلا يقتصر خطابه على التبليغ فقط، بل يغلف هذا الأخير بصيغ التبجيل، والاحترام، والتقدير التي ترفع من شأن المُخاطَب، وتجعله متفاعلا متقبلا لذلك الخطاب، ويسمى هذا النوع من الخطاب بـ "الاستراتيجية التضامنية".

1. مفهوم الاستراتيجية التضامنية:

تُعد الاستراتيجية الخطابية وسيلة يستخدمها المتكلم للتعبير عن طبيعة العلاقة التي تجمعهم بالمتلقي، ومدى رغبته في الحفاظ عليها أو تعزيزها، من خلال تقليص الفوارق بينهما وتقوية أواصر القرب والتفاهم⁽¹⁾، فيعمل المتكلم على استمالة المخاطب وتشجيعه على الإنصات واستيعاب مضمون الخطاب، آملاً في أن يقابله المتلقي بنفس الرغبة في التفاعل وتحقيق فائدة متبادلة بين الطرفين⁽²⁾، ومن هذا المنطلق يتجلى عنصر التضامن كعلاقة تقوم على مبدأ التكافؤ، تتيح للأفراد الارتباط ضمن جماعات تتقاسم الاهتمامات وتتشابه في أنماط السلوك وتمثلات الهوية⁽³⁾.

وتُعتبر طبيعة العلاقة بين الطرفين عاملاً حاسماً في اختيار المرسل للاستراتيجية الخطابية المناسبة للسياق التواصلي⁽⁴⁾، وفي حال غياب العلاقة المسبقة، يسعى المرسل إلى بنائها من خلال خطابه، ويعمل على ترسيخها وتثبيتها باستمرار عبر تكرارها في

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 257.

(2) ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 223.

(3) ينظر: ابن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص 258.

(4) ينظر: فضيلة يونس: استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني دراسة تداولية، ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو-الجزائر، د. ت، ص 86.

مختلف مواضع خطابه⁽¹⁾.

2. عناصر الاستراتيجية التضامنية:

تتبلور عدد من العناصر ذات البعد الاجتماعي (سواء أ كانت مجتمعة أو متفرقة) في تأسيس الاستراتيجية التضامنية، ويمكن أن نجملها في عدة نقاط، منها: ⁽²⁾

1. درجة التشابه أو التباين في الخلفيات الاجتماعية بين طرفي الخطاب.
2. وتيرة التواصل ومدى تكراره بين المتخاطبين.
3. مدى عمق المعرفة الشخصية المتبادلة بينهما.
4. طبيعة العلاقة ومدى الألفة بين الطرفين، وكيفية إدراك كل طرف للآخر.
5. الشعور بالتقارب في المزاج أو وحدة الأهداف أو انسجام طرق التفكير.
6. الأثر الناتج عن التفاعل، سواء كان إيجابياً أم سلبياً.

كما يقوم استعمال الاستراتيجية التضامنية على أساس هام وهو شرط الإخلاص الذي يقصد به إلى التضامن المنزه عن كل غرض، والإخلاص في هذا الشرط بحيث يدركه المتلقي أو يلمسه في الخطاب.

3. دواعي تأسيس الاستراتيجية التضامنية:

تشكل جملة من البواعث لدى المخاطب لدعم العملية التخاطبية التواصلية، عندما تتجاوز الغرض التبليغي المحض، بغية تحقيق غرض حميمي تضامني بين طرفيها، منها:

أ/ العمل على بناء علاقة ودية بين المتخاطبين، أو إعادة ترميمها في حال كانت قد فترت نتيجة التباعد أو الانقطاع.

ب/ توجيه الخطاب بطريقة لبقة عند التعامل مع أصحاب النفوذ أو السلطة، بما يساهم في تحقيق الأهداف المرجوة والحفاظ على علاقات إيجابية معهم.

⁽¹⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص260.

⁽²⁾ ينظر: نفسه، ص260.

ج/ السعي لتحسين صورة المرسل، خاصة إذا كان معروفاً بحدّته أو تشدده أو ميله إلى الأسلوب الرسمي والجاف.

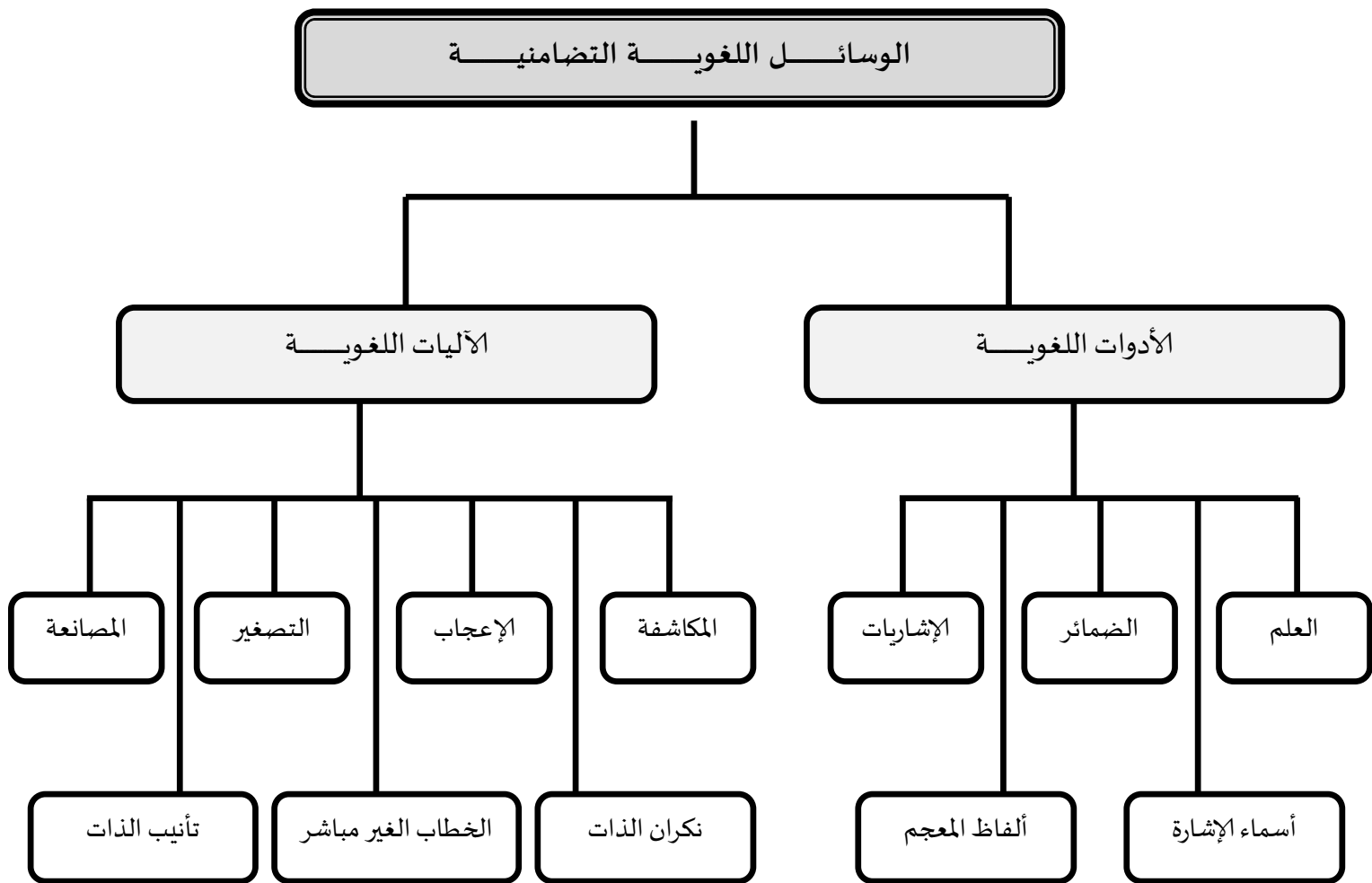
د/ تعزيز روح التضامن والتكافل بين الأفراد، بما يسهم في ترسيخ حرية الأفراد في تسيير شؤون حياتهم اليومية.

هـ/ إبراز أهمية هذا النوع من الخطاب في المجال التربوي، إذ يسهم التهذيب في التواصل التعليمي في تسهيل الاستيعاب وتحقيق الفهم، مما يجعله وسيلة فعالة لاكتساب المعرفة.

المبحث الثاني: الوسائل اللغوية التضامنية

1. الوسائل اللغوية التضامنية:

ينتقي مرسل الخطاب مجموعة من الوسائل اللغوية التي تعتبر مؤشرات على استراتيجيته التضامنية، "مثل: الضمائر، والأسماء، وعبارات التودد..."⁽¹⁾، "وتتقسم هذه الوسائل إلى قسمين رئيسيين هما: الأدوات والآليات لخصناها في المخطط التالي:



المخطط رقم 01

⁽¹⁾ ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 257.

2. الأدوات اللغوية:

1.2. العَلم:

اسم يُعَيَّن مسماه تعييناً مباشراً بذاته، دون أن يحتاج إلى قرينة أو سياق خارجي لتحديد مدلوله ⁽¹⁾، و"ينقسم العلم إلى ثلاثة أقسام: اسم وكنية ولقب" ⁽²⁾، ويمثل استخدام العَلم بأنواعه الثلاثة نوعاً من أنواع الإشارات، التي يتم تجسيدها مع المخاطب في الاستراتيجية التضامنية، وأهمها: الاسم أولاً، ثم الكنية، يليها اللقب، وهذا الترتيب يعكس تدرجاً في قوة أثرها في بناء التضامن داخل الخطاب ⁽³⁾.

- الاسم الأول: هو كل اسم أنشئ ليدل على شخص أو شيء محدد بعينه، دون الحاجة إلى قرينة مرافقة تُبَيِّن المقصود منه، ويستعمل المرسل في خطابه "الاسم الأول" للمرسل إليه للتضامن معه إما لقربه منه -قرب مادي أو عاطفي-، وقد لا يكون هذا القرب متوفراً في البداية، إلا أنه يتشكل تدريجياً مع مرور الزمن، وقد تتبلور مهارة التضامن أيضاً إذا كان هناك تفاوت مرتبي في المهنة ⁽⁴⁾، ونجد استثمار "أبو حمو" لهذه الأداة في كتابه "واسطة السلوك" في خطابه التضامني يختلف من خطاب لآخر، بحسب المقصدية التي يروم إلى تحقيقها ووفق خصوصية علاقته الحميمة بالمتلقي الموجه إليه الخطاب.

وما يجسد القرابة والتضامن بين "أبي حمو" ومخاطبه، ما أنشده في قصيدة نظمها في موضوع التوبة، والتوبة هي الامتناع عن الذنب نتيجة لقبحه، والشعور بالندم على ارتكابه، والنية الصادقة بعدم العودة ⁽⁵⁾ إليه: ⁽⁶⁾

أَعَاتَبَ نَفْسِي فِي زَمَانٍ بَطَأَتِي وَقَلْبِي عَلَى كَسْبِ الْمَأْثَمِ قَدْ حَدَا

⁽¹⁾ ينظر: محمد بن صالح العثيمين: شرح ألفية ابن مالك، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط2012، 01، مج01، ص245، 246.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص249.

⁽³⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص270.

⁽⁴⁾ ينظر: المرجع نفسه.

⁽⁵⁾ ينظر: الشعراوي محمد متولي: التوبة، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة-مصر، ط01، 2001، ص07.

⁽⁶⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح: عبد الرحمن عون، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د.ط، د.ت، ص199، 200.

وَجِيئْتُ شَبَابِي قَدْ مَضَى سَبِيلُهُ وَجِيئْتُ مَشَيْبِي قَدْ تَقَدَّمَ لِي وَفَدَا
إِلَهِي هَبْ لِي مِنْكَ عَفْوَ وَرَحْمَةً فَمَا زِلْتُ يَا مَوْلَايَ تُبَلِّغُنِي الْقَصْدَا
وَعَبْدُكَ مُوسَى لَمْ يَزَلْ فِيكَ رَاجِيًا وَمِنْ شَيْمِ الْمَوْلَى أَنْ يَرْحَمَ الْعَبْدَا
تَوَسَّلْتُ بِالْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَجْرِنِي مِنَ النَّارِ الَّتِي أَضْرَمْتَ وَقْدَا
نَبِيَّ أَتَى وَالْكَفْرُ بَادٍ ضَلَالُهُ فَأَهْدِيَ الْهَدَى لِلْخَلْقِ يَا أَحْسَنَ مَا هَدَا
هُوَ الرَّحْمَةُ الْهَادِي الْمُشْفَعُ فِي غَدٍ هُوَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ يُلْهِمُنَا الرِّشْدَا
هُوَ الذُّخْرُ لِلْهَوْلِ الشَّدِيدِ إِذَا أَتَى وَمَنْ ذَا سِوَاهُ لِلْمَخَافِ إِذَا اِشْتَدَا
أَلَا يَا رَبِّيعَ الْخَيْرِ لَا زِلْتَ رَافِقًا فَقَدْ جِئْنَا بِالرُّحْمَى وَخَوَلْتَنَا سَعْدَا

قال رسول الله ﷺ: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)⁽¹⁾، ولا شك أن "أبا حمو" من خلال هذه الأبيات قد وقع في تأنيب الضمير، والندم على ما اقترف من ذنوب، فنجده يعود إلى الله سبحانه وتعالى بعد أن لاح نذير الشيب، ومضى حسن شببيته طالبا الرحمة والمغفرة معترفا بأخطائه مصرحا بتوبته، "ويكفي في التوبة تحقق الندم على وقوعه منه [...]، ومنه جاء الحديث "الندم توبة"⁽²⁾، وقد استعان الشاعر في خطابه ببعض الأدوات اللغوية ذات البعد التضامني، منها "اسمه الأول" (موسى) ويستخدم المرسل اسمه الأول عند تقديم نفسه مع غيره إذا كان المرسل أدنى مرتبة، أو أحس برغبة المرسل إليه من التقرب ومحو ذلك التراتب بينهما⁽³⁾، فكانت هذه وسيلة "أبو حمو" لاستعطاف الله عز وجل ونيل مقصده التضامني، فاضطر إلى إظهار ضعفه، والتذلل له باعتباره مركز ضعف، وأدنى سلطة من المرسل إليه خالق الأكوان العزيز الحكيم.

اختار الشاعر وسيلة أخرى لنفس الغاية؛ وهي استعماله للألقاب (عبدك، العبد)، والتي تعود عليه والتي توحى هي الأخرى بضعفه وقهره وحاجته للمولى جل شأنه، فلا ينفك عبد ولو كان كافرا للخضوع لله، والتضرع له بقلب يملؤه الشعور بالخوف من الخالق

(1) أبو يعلى الموصلي: المسند، تخريج وتعليق: سعيد بن محمد السناري، دار الحديث، القاهرة-مصر، ط1، 2013، ج4، ص584، رقم الحديث 2922.

(2) الشعراوي: التوبة، ص13.

(3) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص270.

التواب، فهو الذي يقبل التوبة من عباده ويغفر لهم، مهما تكرر الذنب، طالما أن العبد يصر على العودة إلى الله تعالى بصدق.

يصر "أبو حمو" في طلب التوبة ويتوسل إليه عز شأنه، بخير البرية سيدنا وحبيبنا محمد صلی الله علیه وسلم، الذات التي اصطفاه الله من عباده ليتم رسالة توحيده وعبادته، وليثبت مدى حبه للرسول ومدى قربيه من قلبه قام بانتقاء ألفاظ خاصة توحى بتلك العلاقة التي تربطه به، من خلال التلفظ بأسمائه صلی الله علیه وسلم (المختار، المصطفى، الهادي الشفيع) ليحقق بذلك أرقى درجات التقرب، من خلال جعله واسطة بينه وبين الله عز وجل ليستجيب دعائه، متيقنا من المكانة العظيمة التي يحتلها، إلى جانب استعماله للألقاب (إلهي، مولاي المولى) التي ترفع من قيمة المرسل إليه -الله عز وجل- وتبين مدى عزته وجلاله.

ومن النماذج الخطابية أيضا التي تجسد استراتيجية "أبو حمو" التضامنية، قصيدة نظمها في الشوق إلى قبره صلی الله علیه وسلم، بعث بها رسالة رجاء للثواب: (1)

وَبَعَثْتُ رِسَالَةً مُكْتَتِبٍ لِشَفِيعِ الْعَرَبِ مَعَ الْعَجَمِ
أَرْجُو فِي الْحَشْرِ جَوَائِزَهَا مِنْ خَيْرٍ وَفِي الْذَّمِّمِ
نَدَمِي إِذَا لَمْ أَعْمَلْ قَدَمِي عَوِضَ الْقِرْطَاسِ مَعَ الْقَلَمِ
بِدُعَاءِ عِيسَى وَبِإِدْرِيسَا يَرْجُو مُوسَى كَشْفِ الْأَلَمِ
وَنَخْصِكَ يَا أَسْنَى قَمَرٍ بِصَلَاةٍ فَائِقَةٍ الْعِظَمِ

ولنا أن ننظر في خطاب "أبي حمو" مع الله عز وجل كيف يتوسل إليه بأنبيائه ليفوز يوم العرض بنعيم الجنة، وشفاعة رسولنا الكريم عليه أفضل الصلوات، مستعينا في ذلك بذكر أسماء أنبياء الله عز وجل، أحب خلقه بعبارة (عيسى، إدريس)، مع أنه كان لدى المرسل خيار بأن يكتفي في توسله بذكر اسم نبي واحد فقط، ولكن تعدد ذكر أسماء الأنبياء يحمل بعدا خطابيا تضامنيا بلا شك، فلو تم ذكر اسم نبي واحد فقط لكان كافيا، إلا أن الإشارة إلى أكثر من نبي تعزز من قيمة التضامن وتعكس بعدا أعمق في الخطاب، فذكره لأكثر من نبي يوحي بمدى طلب المغفرة والإلحاح عليها، طمعا في الفوز

(1) - أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 30.

بالآخرة بجاء أنبيائه وخير خلقه، كما كان له خيار بأن يقول (بدعاء النبي عيسى والنبي إدريس) لكنه فتح خطابه بمدخل استراتيجي تضامني؛ وهو استعماله "الاسم الأول" للنبين بدون ألقاب ليدل على مدى حبه لهما وقربهما إلى قلبه، إن استخدام الاسم الأول يعد عاملاً مهماً في تحقيق مهارة التضامن وتجسيدها، خاصة في فواتح الطلب، أي قبل البدء في تقديم الطلب نفسه⁽¹⁾، كما أصبغ على النبي ﷺ أيضاً، بألقاب تبوح بمقدار حبه ومكانته عنده (شفيع العرب مع العجم، خير وفي بالذمم، أسنى قمر) ليكون دليلاً آخر على حبه له وقربه منه، والظاهر في هذا الخطاب أن الشاعر حريص على التقرب من المرسل إليه والتودد له لنيل رضاه.

إن "الاسم الأول" عنصر إشاري ضروري في سياق نهج التضامن في الخطاب، لما له من خصوصية بالنسبة للمرسل إليه، لأن "الناس فخورون جداً بأسمائهم ويسعون لتخليدها بأي ثمن"⁽²⁾ كان، واحترامها من قبل الآخرين سيعزز لا محالة العلاقة بينهم، اكتشف "جيم فيرلي" في وقت مبكر من حياته أن الإنسان العادي يولي اهتماماً أكبر باسمه الشخصي مقارنة بجميع الأسماء الأخرى في الدنيا مجتمعة⁽³⁾، وغالباً ما يقترن "الاسم" بوصف جميل محبب إلى النفس، وهذا ما عمل به "أبو حمو" في خطابه الذي تحدث فيه عن الفتيات الآنسات اللواتي يثرن الغبطة والبهجة والسرور في نفسه في قوله:⁽⁴⁾

ديار عهدنا بها الشمل جامع مع الغانجات الآنسات النواعم

كم ليلة بات السرور مساعد بسعدى وسلمى والمنى أم سالم

يسرق الشاعر لحظات الفرح والسعادة مع الآنسات الجميلات المتدللات، فنجدته يقرن ذكر أسمائهن (سعدى، سلمى، المنى أم سالم) بالبهجة التي يبعثها في قلبه ومدى

⁽¹⁾ ينظر: هدية جيلي: استراتيجيات الخطاب القرآني سورة آل عمران أنموذجاً - مقارنة لغوية تداولية-، دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف-الجزائر، 2016-2017، ص90.

⁽²⁾ ديل كارنيجي: كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس، ترجمة: خليل البدوي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2001، ص66.

⁽³⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص65.

⁽⁴⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص36.

السرور الذي يعيشه معهن، حتى يشعرن بمكانتهن في نفسه وقربهن منه، وهو ما يكسبهن الرضى، فاستعمال المرسل "الاسم الأول" للمرسل إليه يثمر على التقرب والتلاصق معه عاطفياً، لأنه من أحب الكلمات إلى صاحبه، ويعد بعداً استراتيجياً تخطيطياً يحاول من خلاله أن يكشف العلاقة التي تربطه به مما يترك انطباعاتاً لديه بقربه منه، فيؤثر على قوة العلاقة بينهما، كما أن ذلك يُشعر المتلقي بعناية واضحة ودرجة من التضامن من طرف المرسل، مما يدفعه إلى التفاعل الإيجابي ويزيد من استعداده للتجاوب والتواصل، الأمر الذي يساهم في تحقيق فائدة الخطاب، ويُقرب المسافة بين طرفيه.

-الكُنية: تعرف "الكُنية" بأنها "ما صدر (بأب) أو (أم) أو (ابن) أو (بنت)"⁽¹⁾، وتوظف هذه الأخيرة كمؤشر من مؤشرات الاستراتيجية التضامنية بدلاً من "الاسم الأول"، في بعض الخطابات التي تتميز بدرجة قليلة من الرسمية، ويكون مقدار التضامن أكبر بكثير من مقدار الرسمية⁽²⁾، إذ يلجأ المرسل إليها لتعزيز جوانب علاقة المودة التي تربطه بالمرسل إليه، وتقع على ثلاثة أنواع، والنوع الثالث من الكناية هو كناية التعظيم، ومنها اشتقت الكُنية، وتعني أن يُعظم الشخص حين يُنادى باسمه، وتأتي على نوعين: الأول يكون على الصبي، حيث يُتفاعل له بأن يُرزق بولد يُنادى باسمه كناية عن شخصيته، أما الثاني فيختص بالكبار، حيث يُنادى الشخص باسم ولده حفاظاً على مكانته وتكريماً له⁽³⁾، يقول "أبو حمو"⁽⁴⁾:

"وكذلك اتفق للسلطان أبي تاشفين⁽⁵⁾ حين فرط في جيشه، عندما حصره بنو مرين أمسك يده عن العطاء في الحصار، واستعد بالحصن وبالقليل من الأنصار حتى كاد العدو أن يدخل البلد عليه، طلب لمن يعطي المال فلم يلتفت أحد إليه، ولم يجد من

(1) - الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة- مصر، د.ط، د.ت ص 157.

(2) - ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 273.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص 273، 274.

(4) - أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 149.

(5) - هو أبو تاشفين عبد الرحمن (الأول): هو أحد سلاطين بني عبد الواد ولايته 1318/718 - كان ميالاً للفن المعماري تغلب عليه أبو الحسن المريني بعد حصار طويل لتلمسان وقتل السلطان أبو تاشفين سنة 1337/737، وبه انتهى الدور الأول من حكم بني عبد الواد. أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 149.

يأخذ المال، وآلت حاله إلى ذلك المآل، وأموره إلى ذلك المآل، دخلت عليه البلد عنوة، فذل بعد العزة والنخوة".

توحي عبارة (أبي تاشفين) الذي أسبقها بلقب (السلطان) بشيء من الاحترام والرسمية، إلا أن التضامن أكثر من الرسمية باعتبارها علامة من علامات البعد التضامني، فقد أراد أن يبين لابنه أن الملك لا بد أن يكون كريماً على رعيته، ويعطي أكثر مما يأخذ ويعنى بشؤونهم، ويفكر في أمورهم كي يرأب ما بها من صدع، فليس الملك سيد ينهى ويأمر ويتحكم، بل الملك الحق الذي يحسن القيام بشؤون رعيته، وقد ضرب الكاتب لابنه مثلاً للملك الغير المسؤول، في قوله (السلطان أبي تاشفين) الذي لم يحسن تسيير بلاده، واستغنى وفرط في أهم عنصر فيها وركنه الحصين -الجيش-، وانساق وراء جمع المال وأمسك يده عن العطاء، فكان ذلك مفسدة عليه وعلى بلاده.

- اللقب: من فروع اسم العلم وهو ما "أشعر برفعة المُسمَّى أو أشعر بضَعَتِهِ"⁽¹⁾ دما وتحقيراً له، ويعد مؤشراً على التضامن عندما يكون الموقف التواصلي بين طرفي الخطاب في أعلى درجات الرسمية، إذ يستعمله المرسل كأداة من أدوات التقرب من المرسل إليه، بما يمتلكه من سلطة ووفق السياق التداولي الذي أنتج فيه الخطاب، بشرط أن ينطقها المرسل بصوت يحمل تنغيماً مستوياً أو يتلاءم مع السياق والمعنى المقصود، وإلا فإن الأثر قد ينقلب إلى عكس ما أريد، فاللقب يُعدّ بديلاً للاسم والكنية، إلا أن مرتبته أدنى منهما من حيث الأثر التضامني في الخطاب⁽²⁾.

وقد تنوعت استعمالاتها في الخطاب التضامني في المدونة من خطاب لآخر في ظل تغيير العوامل السابق ذكرها، يقول: ⁽³⁾

مَنْ يَنْقُذُنِي، مَنْ يُسْعِدُنِي مَنْ يَرْحَمُنِي، مَنْ يَغْفِرُ لِي
إِلَّا مَوْلَى سَيِّدِي الطَّوَلَا رَبِّي الْأَعْلَى مُحِي الدُّوَلِ

⁽¹⁾ - المرادي حسن بن قاسم: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار

الفكر العربي القاهرة-مصر، ط1، 2001، ص391.

⁽²⁾ - ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص275.

⁽³⁾ - أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص24، 25.

أَحْيَاهَا لِي وَبِأَعْرَابِي يُوْلِي النُّعْمَاءُ وَخَيْرٌ وَلِي

من الجلي أن هذا الخطاب يتضمن مدحاً وثناءً صريحاً، وهو من الوسائل المباشرة التي يعتمد عليها المرسل في التعبير عن مقصده التضامني وإبراز رغبته في التقرب من المتلقي وتعزيز العلاقة الإيجابية معه، فما نلاحظه في هذه الأبيات أن مرسلها وجه خطابه لله عز وجل وألبسه كل معاني الوقار والإجلال، من خلال تعدد الألقاب التي ناداه بها (مولي، سيدي الطولا، ربي الأعلى محي الدول، يولي النعماء، خير ولي)، إن هذا الخطاب المادح غايته التقرب من الله عز وجل والرجوع لرحابه ونيل رضوانه، وهذا القصد متعمد من المرسل ويشكل بعداً عميقاً من أبعاد الخطاب التضامني.

لا يزال الشاعر يستعمل لغة التضامن ليحاول من خلالها تجسيد علاقته بربه من خلال اختياره للمعاني الرقيقة التي تتناسب هذا الهدف، هذه بدورها تستدعي استخدام ألفاظ تتسم بالضعف والرقّة، مثل ما جاء في قوله: (1)

مِنْ مُذْنِبٍ هَائِمٍ فِي الْغَرْبِ مَسْكَنِهِ مُوسَى بْنُ يُوسُفَ أَفْنَى عُمَرُ لِعَبَا
لَكُنِّي أَرْتَجِي يَوْمَ الْحِسَابِ غَدًا شَفَاعَةَ لِشَفِيعٍ جَلَّ ذَا طَلْبَا
فَهُوَ الْحَبِيبُ بِأَقْصَى الشَّرْقِ شَوْقُنِي وَالْقَلْبُ مِنْ أَجْلِهِ فِي الرُّكْبِ قَدْ نَسْبَا

تُظهر الأبيات أن الندم قد نال من الشاعر، فشرع يبحث عن المغفرة من الله عز وجل من خلال لجوئه إلى رسوله الكريم بأن يشفع له يوم القيامة، مستعينا في ذلك بالألقاب التي ناداه بها، والتي تعبر عن مدى قربيه منه (شفييع جلّ ذا طلبا الحبيب)، إذ نلمح في خطابه براعة لغوية يتمتع بها والتي استعملها لتحقيق التقرب من المرسل إليه، من خلال تبين مدى تواضعه عن طريق الألقاب التي ينسبها إلى نفسه (مذنب هائم، أفنى عمره لعبا) والتي تبين ضعفه ورغبته في التودد إليه لنيل مرضاته، استناداً إلى ما نادى به "ليتش" في قاعدة التواضع، لأن الخطاب الفعال يُفضل أن يتجه نحو تقليل مدح الذات والإكثار من ذمها، إذ يُعد هذا التوجه وسيلة لغوية تتدرج ضمن إستراتيجيات التهذيب، تُظهر تواضع المرسل، وتُسهّم في تعزيز القبول والتضامن مع

(1) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص198.

المتلقي، مما يُكسب الخطاب بُعدًا إنسانيًا وتواصلًا أقوى⁽¹⁾، فالشاعر شخصية مؤمنة كسرت الكبر الذي في قلبه وتواضعت لخالقها واعترفت بأخطائها، لأن عدم الإصرار عليها وعدم الجهل بها أولى خطوات الصلاح والنجاح.

في خطاب آخر يقول الكاتب⁽²⁾:

"اعلم يا بني أن الجيش أنصار وبهم تفتح الأمصار فاحرز جيشك بمالك فهو أصلح لأحوالك، ولا تقوي عدوك بضعف أنصارك، فيعود أعوانا عليك يوم إيسارك، فبالجيش تنال المقاصد، وتستجلب الفوائد، ويكبت العدو المعاند، والجيش أبهة الخلافة وحصن منيع من المخافة، وهم سيوف الإرهاب وحماة الطعان والضراب، فمن كثرت أجناده عمرت بلاده وهابه أعداؤه وحساده".

يسعى "أبو حمو" دائما في خطابه مع ابنه إلى نصحه وتوجيهه إلى ما يحتاج إليه في قوام سلطانه، وفي هذا الموقف الخطابي يوصيه بأحد أركان الملك أهمية وهو الجيش وقد أفرد على هذا الأخير مجموعة من الألقاب ترفع من قيمة الملقب (أنصار، أبهة الخلافة، حصن منيع من الخلافة، سيوف الإرهاب، حماة الطغاة والغراب...) والتي تقضي إلى مدى قربته منه وتضامنه معه، وليبين من خلالها أهمية الجيش على الملك بل وعلى البلاد ككل، بل إن هذه الألقاب تمرير ذكي من المرسل يسعى منها إلى الدنو والاقتراب لكسب جيشه عن طريق مدحه وثنائه لأن "كل واحد منا يحب الثناء"⁽³⁾،

ويرى "ويليام جيمس" "William James" أن أعمق دافع في الطبيعة الإنسانية هو الرغبة الشديدة في أن يُقدّر الآخرين، إذ يُعد هذا التقدير حاجة نفسية أساسية تدفع الإنسان إلى التفاعل الاجتماعي والسعي لإثبات ذاته داخل محيطه، ومن هنا فإن تضمين هذا المفهوم في الخطاب يسهم في تحقيق بعد تضامني، يشعر من خلاله المتلقي بقيمته واهتمام المرسل به، مما يُقوّي من فاعلية التواصل ويعزز الإقناع⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص266.

⁽²⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص31.

⁽³⁾ ديل كارنيجي: كيف تكسب الأصدقاء، ص32.

⁽⁴⁾ ينظر: ديل كارنيجي: كيف تكسب الأصدقاء، ص32.

يتطلب توظيف اللقب في الخطاب المرور بمرحلتين أساسيتين: أولاً، تصنيف الحقول الدلالية ثم تحليل عناصرها؛ وثانياً، اختيار ما يلائم السياق منها، وتُعد كفاءة المرسل اللغوية والتداولية عاملاً حاسماً في هذا الاختيار، إذ تتيح له استثمار مخزونه اللغوي ومعرفته بصيغ الخطاب لاختيار الأنسب للغرض والسياق التداولي⁽¹⁾.

كما قد تجتمع العناصر الثلاثة لاسم العلم (الاسم، الكنية، اللقب) لدلالة على مرجع واحد، في جملة واحدة وفق ترتيب معين، وحسب درجة تجسيد الاستراتيجية التضامنية التي يريد المرسل التعبير عنها، فالاسم الأول أقوى دلالة عليها من الكنية واللقب، فيتجاوز المتكلم إلى ترتيب علامات المرجع الواحد لغرض التضامن⁽²⁾.

وتعد ألفاظ القرابة أحد الأنواع الفرعية الهامة للألقاب، لما لها من دور في تجسيد طبيعة العلاقة الاجتماعية بين المرسل والمتلقي في سياق التخاطب، وتشمل هذه الألفاظ: أب، أم، ابن، أخ، أخت... وغالباً ما يُلجأ إليها رغم توفر بدائل لغوية أخرى، لما تحمله من دلالات تضامنية تعزز القرب الوجداني والتفاعل الإيجابي داخل الخطاب⁽³⁾، ويشكل توظيف لفظة (ابني) سمة بارزة في الخطاب التضامني لدى "أبو حمو" مع نجله وولي عهده، من أجل السعي إلى تأسيس علاقة وطيدة معه عن طريق خطابات تربوية أخلاقية دينية سياسية.

إذ نجدها مهيمنة في جل صفحات المدونة وبصورة مكررة في خطابه، باعتبارها أكثر الألقاب قرابة في الاستعمال، ولأنه يدرك أهمية استعمالها في إيداع الإحساس بالتضامن، والقرب منه في مختلف السياقات، ولأنه يدرك ما يترتب عليها من نتائج في بسط بساط الود والحب والقرب بينهما، إذ إن تعبيره بهذه الصيغة التضامنية (ابني) يدل على تنازله عن سلطته الاجتماعية كملك، والتعامل معه بصفته والده ومربيّه ومرشده فحسب، مما يوحي بالدنو منه والاقتراب، لا التعالي عليه ومخاطبته بلغة الملك والرعية.

ويشكل توظيف لفظة (الأخ) في مختلف اشتقاقاتها (الإخوة، الإخوان، ...) دوراً

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 276.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 283.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 278.

بارزا في الخطاب التضامني لدى "أبو حمو" وهذا ما صرح به عندما تحدث عن أهل الأندلس في قوله⁽¹⁾:

"واعلم يا بني أن أفعال الخير كثيرة وأسبابها لمن يسير عليه التوفيق يسيرة، وأفضلها اتخاذا، وأحسنها ملاذا، وأزكاها قرية، وأسمأها عند الله يوم القيامة رتبة، الجهاد الذي هوركن من أركان الدين وفرض على من ولاه أمور المسلمين وفي كل إقليم جهاد والله من خلقه حماة وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {لا تزال طائفة من أمتي بالمغرب ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله} وفي رواية {حتى تقوم الساعة} وفي التفسير إنهم إخواننا في الأندلس الذين هم بين بحر زاهر وعدو كافر.

فالنائم منهم على فراشه كالمجاهد في سبيل الله فإذا كان أهلها بهذه المزية ولهم عند الله هذه الرتبة السنية، فليكن اهتمامك يا بني بأهل الأندلس أكثر الاهتمام، وأخذك في مولاتهم بما تستطيع عليه من الزرع والمال والخيل والحماة والأبطال والقوة التي أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام، ليسكن بها من غلوه وهي الرمي ورباط الخيل، تؤثرهم بذلك في كل سنة ولا تغفل عليهم في يقظة ولا سنة، ولتحمل أهلها القاصدين إلى بلادك على البر والإكرام والتيسير عليهم أسباب إيساق الطعام".

يتناول هذا المقطع الخطابي موضوع الجهاد باعتباره ركيزة أساسية في الإسلام، والعمود الفقري له وذروة سنامه، كما يعد الوسيلة الأولى لحماية أراضي المسلمين والدفاع عن حقوقهم في حرية العبادة والدعوة، و الأداة الفاعلة التي تضمن نشر الدعوة إذا واجهتها عوائق من قبل المعتدين على الدين⁽²⁾، إذ حث الله عز وجل المؤمنين على الجهاد في سبيله، ووجههم إلى ذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ} [سورة الصف، الآية: 10-11]، إذ يجعل الجهاد طريقاً للنجاة من العذاب،

(1) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص194.

(2) ينظر: عبد الله بن مبارك: كتاب الجهاد، تحقيق: نزيه حماد، دار المطبوعات الحديثة، جدة- السعودية، د.ط،

د.ت، ص39.

ويضعه في إطار الإيمان بالله ورسوله، ونظرا لمكانته في الإسلام فقد عني به "أبو حمو" في كتابه (واسطة السلوك)، وخصص الحديث فيه مع ولي عهده، وحثه عليه ليكون وسيلته لحماية مقاصد الشريعة، لأن الحفاظ عليها مقدمة للحفاظ على سواها، وقد عكست البنية اللغوية التي صيغ بها هذا الخطاب خصوصية العلاقة التي تجمع بينه وبين أهل الأندلس (إخواننا في الأندلس) للحديث عنهم، ليعبر لهم من خلالها عن مدى قربهم منه وتضامنه معهم، وعن إرادته في تعزيز العلاقة الأخوية بينهما.

2.2. ألفاظ المعجم:

حرص مرسل الخطاب على توظيف أدوات لغوية تتسجم مع مقاصده التداولية والاستراتيجية التي يختارها في التفاعل مع المتلقي، مستحضرا في ذلك مختلف المعطيات السياقية، ومن بين هذه الأدوات؛ انتقائه لحقل دلالي محدد ضمن النظام المعجمي للغة، بحيث يشتمل هذا الحقل على مفردات متقاربة دلالياً ومترابطة مفهوميًا، تسهم في تشكيل بناء حجاجي يخدم هدفه الإقناعي، ويُفهم من الحقل الدلالي أنه نسق من الكلمات التي يجمعها إطار دلالي مشترك، يُوحدها في المعنى ويبرر انتظامها ضمن وحدة مفهومية كلية⁽¹⁾، فعلى الرغم من أن توظيف المرسل لأسماء العلم، والكنى، والألقاب يجسد الاستراتيجية التضامنية ويعبر عن مدى العلاقة التي تربطه بالمرسل إليه، إلا أنه قد يختار ألفاظاً أخرى من المعجم تحل محلها أو تمثلها للدلالة على المودة والقرب من المتلقي، مما يجعلها مؤشراً لغوياً على تضامنه، ومنها: استخدام عبارات التهئة، والتحية...

ألفاظ التهئة: التهئة مشتقة من الفعل هنا والذي "يدل على إصابة خير من غير مشقة"⁽²⁾، تُعد التهئة دعاءً يُوجّه للغير إما لنيل فضل أو لاندفاع ضرر، وهي من السلوكيات الرفيعة والخصال الحميدة التي حث عليها الإسلام، ويُجسّد النص الخطابي الآتي أحد أنماط التهاني التي استعملها "أبو حمو" ضمن قصيدة يعبر فيها عن اعتزازه

(1) ينظر: جيلي هدية: استراتيجيات الخطاب القرآني، ص 87.

(2) فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ب، ط 1، 1979، ج 1، ص 68.

بتحقيق أهدافه واستعادة ملكه⁽¹⁾:

أَلَا أَيُّهَا الْبَشِيرُ الَّذِي نَعَى أَمِيرَ مَرَيْنِ حُزْتُ أَسْنَى الْمَقَاسِمِ
لَقَدْ قَرَّبَ اللَّهُ الْبَعِيدَ بِهَلَكِهِ فَبُشْرَاكَ بِالْخَيْرَاتِ يَا خَيْرَ قَادِمِ

دائما ما يسعى "أبو حمو" إلى التودد والتقرب من المرسل إليه، من خلال ما يمتلكه من كفاية لغوية، تجعله ينتقي ألفاظا يجعلها مؤشرا على تضامنه مع المرسل إليه، ويتفحص بسيط نرى أن عبارة (بشراك بالخيرات) تنتمي إلى الحقل الدلالي التضامني، وتعتبر لفظة من "ألفاظ التهئة"، والمرسل إليه يدرك من خلالها أن المرسل يعبر عن امتنانه وسعادته بالخبر الذي أتى به -موت أمير مرين-، والذي أدخل السرور على قلبه، وإدخال السرور على المسلم يعد من أعظم الطاعات التي تقرب العبد إلى رب الأرض والسموات، كما استعان "أبو حمو" بالألقاب (بشير، خير قادم) والتي تولد هي الأخرى في المرسل إليه جو من الطمأنينة والقرب من المرسل.

- **ألفاظ التحية:** لعل من الألفاظ المعجمية الدالة على التضامن تلك الألفاظ التي تدرج ضمن عبارات التحية التي تبتدأ أو تنتهي بها بعض الخطابات، ومن الطبيعي أن تكون لكل لغة "مجموعة من الصيغ تستخدم للتحية، ومجموعة أخرى تستخدم للوداع، وذلك لأهمية الدخول في الاتصال والخروج منه"⁽²⁾، يقول "أبو حمو":⁽³⁾

فِيَا حَادِي الْعِيسِ نَحْوِ الْحَمَى إِذَا جُنْتُ ذَاكَ الْجَنَابَ الرَّحِيْبَا
لِقَبْرِ الْتَهَامِي لِبَذْرِ التَّمَامِ خَيْرَ الْأَنَامِ شَفِيعًا حَبِيبَا
فَبَلِّغْ سَلَامِي إِلَيْهِ فَإِنَّ لَدَيْهِ لِسُقْمِي طَبِيبَا

لا شك أن خصوصية السياق التداولي الذي أنتج فيه هذا الخطاب، أنتجت عبارات التحية ذات البعد التضامني، والتحية هي تعبير مؤدب للاحترام والتقدير ومن الوصايا التي يأمرنا بها ديننا الإسلام لقوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا

(1)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص39.

(2)- هـسون.د: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 1990، ص201.

(3)- أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص195.

أوردوها {سورة النساء: الآية 86}، لما تتركه من انطباع حسن لدى المرسل إليه تجعله مستعداً لتلقي ما يلي من خطاب، وهذا ما نراه جلي في هذا الخطاب المقتطف من إحدى مولديات "أبي حمو"، يناجي فيها قائد الإبل المتوجه لزيارة قبر الرسول ﷺ بأن يبلغه تحياته، ليتمكن من التقرب والتودد له من خلال عبارة (بلغ إليه سلامي) التي تعتبر من "ألفاظ التحية"، والتي لها تأثير إيجابي في توطيد العلاقات بين المتواصلين، لأن عبارات التحية تحمل شحنات عاطفية بامتياز وهذا في حد ذاته تضامن آخر، وكى يزداد التضامن حدة وظف الشاعر أكثر من آية تدل على ذلك، إذ نجده يجعل من البيت الثاني مجموعة "ألقاب" متوالية للرسول (التهامي، بدر التمام، خير الأنام، الشفيع، الحبيب) والقصد من ورائها التودد والتقرب من الرسول، لينتقل بعدها لطلبه والمتمثل في شفائه من مرضه والشفاعة له.

- **ألفاظ الوعد:** توحى الألفاظ التي تدل على سعادة المرسل في الالتقاء أو تمنى اللقاء بالمرسل إليه على تعزيز العلاقة التي تجمع بينهما، ففي قول "أبو حمو":⁽¹⁾

فَقَبِّرُ الرَّسُولَ مَنَـايَ وَسُؤْلِي عَسَىٰ بِالْوَصْلِ سَأْخُظِي نَصِيبَا

فِيَا سَعْدَ قَوْمٍ قَدْ أَكُلَ يَوْمٍ وَعَنْ وَضْعِ نَوْمٍ تُجَافُوا جَنُوبَا

يظهر أنه متلهف للقاء قبر النبي ﷺ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على قيمته ومدى حبه والشوق إليه، فإبداء الوعد باللقاء تداولياً يحمل الكثير من معاني التضامن والتقرب بين المتواصلين، ولكي يعزز تضامنه وظف لفظ "التهنئة" (يا سعد قوم) ليهنأ الحاج بزيارتهم، ليزيد بها من تودده، فحملت بذلك كل من ألفاظ "الوعد" و"التهنئة" الكثير من معاني التضامن في هذه الأبيات.

- **ألفاظ الصداقة:** تلعب عبارات "الصداقة" هي الأخرى دوراً مهماً في توطيد العلاقة بين المتخاطبين باعتبارها مؤشراً من مؤشرات التضامن في الخطاب، والتي يسعى من خلالها المخاطب إلى التقرب من المخاطب والبوح له عن مدى قربه منه، ومن ألفاظها (صديق، صاحب خليل، زميل) فالاهتمام المكثف بالأصدقاء يقوي بالتأكيد أواصر

(1)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 195.

القرب، ويسهل التعايش في الحياة، فالشخص الذي لا يولي اهتماماً لعلاقاته الاجتماعية، خاصة بالأصدقاء، غالباً ما يواجه تعقيدات كبيرة في حياته، وقد يتسبب بذلك في إلحاق الأذى بمن حوله، إذ إن غياب هذا البُعد الاجتماعي الإنساني يُعد من أبرز مؤشرات الإخفاق في التجربة البشرية⁽¹⁾، فإذا أردنا كسب الأصدقاء لابد أن نراعي في خطاباتنا تلك الألفاظ التي ترفع من شأنهم وتسعى إلى تقريبهم لأنها مؤشر لغوي مهم يظهر أثره مباشرة على المرسل، وقد كثر استعمال هذا الأسلوب في المدونة وتعددت مواضيعه منها قوله: (2)

جَرْتُ أَدْمُعِي بَيْنَ الرُّسُومِ الطَّوَّاسِمِ لَمَّا شَحَطْتُهَا مِنْ هُبُوبِ الرُّوَاصِمِ
وَسَرْتُ عَلَى جَوْنٍ أَقْبَّ مُضْمَرٍ كَلِمَةً بَرَقَ أَوْ كَلِمَةً صَارِمِ
وَقُلْتُ لِصُحْبِي لَا تُمْلُوا مِنَ السُّرَى وَلَا يَزْدَرِكُمْ لَوْمْ لَائِمِ

إن استعمال "لفظ الصداقة" يعتبر من متطلبات الخطاب الناصح ودواعي المعاملة فالإنسان بطبعه يميل إلى سماع ألفاظ وعبارات تبعث في نفسه نوع من الارتياح والثقة، وشاعرنا "أبو حمو" لا يخفى عليه شيء من هذا القبيل، فالملاحظ للفظ (صحبي) والعائد على جيشه، أنه قصد من خلاله تقريبه إليه وتبيين المنزلة التي يحتلها عنده، فيكسبه بذلك ويكون في خدمته مطاعاً غير عاص، وما زاد الخطاب تضامناً إضافة "ياء النسبة" إلى اللفظة، أي نسب جيشه إليه، فاحتواء المرسل إليه يجعله يشعر سريعا بالتقرب والانتماء إليه، كما توحى أيضاً مدى تواضع الشاعر من جهة أخرى، فالمرسل ملك وسلطان أعلى مرتبة من المرسل إليه، إلا أنه تتنازل عن مكانته الرسمية، معلماً بذلك من قيمة المرسل إليه وهذا ما يسمى بمبدأ "التضامني الذي يوحى بالصداقة، والاشتراك في الجماعة"⁽³⁾.

3.2. الإشارات:

تُعد الإشارات من الوسائل اللغوية التي تعكس طبيعة العلاقة بين أطراف العملية

(1) ينظر: ديل كارنيجي: كيف تكسب الأصدقاء، ص50.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص35.

(3) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص264.

التواصلية، إذ يمكن من خلالها استشفاف مدى قربهم أو تباعدهم، وتتميز الإشارات بكونها وحدات لغوية لا تحمل معنى كاملاً خارج السياق التداولي الذي ترد فيه، فهي تعتمد على الموقف والسياق لتحديد دلالتها رغم ارتباطها بمراجع معينة، لأن هذه المراجع تظل متغيرة وغير ثابتة بحسب موقعها في الخطاب، ومن أبرز أنواع الإشارات نذكر:

أ- **الضمائر:** الضمير اسم مبني يُستخدم للإشارة إلى طرف من أطراف الخطاب، سواء كان المتكلم أو المخاطب أو الغائب، دون التصريح باسمه بشكل مباشر⁽¹⁾، ويشير في دلالاته الوضعية إلى المقصود من الخطاب، أما من الناحية التداولية، فإن الضمير يكتسب دلالات متعددة تتغير بتغير نية المتكلم وسياق الخطاب، مما يجعله أداة ذات حمولة معنوية مرنة تخدم المقاصد التواصلية للمرسل، و يعتبر من المكونات اللغوية التي يسعى المتكلم من خلالها إثبات تضامنه مع المتلقي، والتي تخرج غالباً من الدلالية على المرجع إلى الدلالة على قصده التضامني⁽²⁾ كأن تساهم في بناء الروابط الاجتماعية وتعزيزها، كما قد تدل أحياناً على الانتماء إلى جماعة معينة، أو تعكس تقارباً في وجهات النظر معها⁽³⁾، وإذا ما عدنا إلى المدونة نجد أن "أبا حمو" قصد من استخدام الضمائر كمؤشر على مهارة التضامن ومنه:

1.3.2. الضمير المنفصل:

• **الضمير "أنت":** لا يقف استخدام ضمير المخاطب المفرد "أنت" للإحالة على المرجع فقط، بل يستعمل كمؤشر تداولي، وتعرف هذه الظاهرة بـ "أنت التعاونية" حيث يستخدمها المرسل عند مخاطبة شخص تربطه به علاقة وثيقة، أو عندما يكونان متساويين في المكانة، كما قد يستخدمها أيضاً عند التواصل مع شخص النقي به مؤخراً⁽⁴⁾، فتعطي الخطاب بعداً تضامنياً أوسع، ولهذا يلجأ المرسل إلى استعمالها في الاستراتيجية التضامنية من أجل تعديل مواقع عناصر التركيب لتحقيق أهداف تداولية

(1) ينظر: عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، 1975، ج1، ص217.

(2) ينظر: ابن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص287.

(3) ينظر: المرجع نفسه.

(4) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص288، 289.

معينة، بالإضافة إلى محاولته تكيف خطابه ليتناسب مع حال المخاطب، مما يساهم في تعزيز التفاعل والانسجام بين الطرفين⁽¹⁾، وبما أن جل خطابات "أبو حمو" في المدونة هي عبارة عن وصايا يوجهها لابنه وولي عهده، فلا بد أن هناك ضمائر تشير إليه، منها قوله⁽²⁾:

"اعلم يا بُني، أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ كَاتِبُكَ وَوزِيرُكَ، إِذْ بِهِمَا صَلَاحُكَ وَتَدْبِيرُكَ، [...] فَإِذَا فَرَّغَ الْكَاتِبُ مِنْ عَرْضِ كِتَابِكَ، وَتَلَّقَى بِالتَّوْقِيعِ مَا أَرَدْتَهُ مِنْ إِرْبِكَ، خَرَجَ لِكِتَابَةِ مَا أَمَرْتُهُ، وَيَجْرِي عَلَى أَحْسَنَ مَذْهَبِهِ، وَتَبْقَى أَنْتَ مَعَ وَزِيرِكَ تَتَفَاوَضُ فِيمَا يَصْلُحُ لِلدَّوْلَةِ".

يتجلى تضامن "أبو حمو" مع ابنه بشكل واضح في خطابه من خلال استخدامه للضمير "أنت"، الذي يلفت انتباه المرسل إليه بشكل كبير، ويجعله المعني الوحيد في الخطاب، هذا الأسلوب يعزز شعور المتلقي باهتمام المرسل به، ويحثه على التركيز لما سيطرحه عليه، ومن خلال هذه الاستراتيجية يسعى الكاتب إلى توجيه ابنه للتأمل والتفكير بعناية عند اختيار أفراد دولته من الوزراء والجلساء والكتّاب، لضمان تقدم المملكة وازدهارها، بالإضافة إلى استعماله للضمير المتصل "الكاف" (عليك، وزيرك، صلاحك) والذي ساهم هو الآخر في تبليغ رسالته، فكان "الضمير المتصل" هو الآخر مؤشرا على التضامن ورابطا للفكرة ربطا جميلا، "إذ جعل المرسل في هذا الخطاب مكافئا للمرسل إليه وهذا ما جاءت به "لاخوف" في قاعدة التودد، ومقتضاه: لتظهر الود للمخاطب"⁽³⁾، من خلال تعامل مرسل الخطاب مع المرسل إليه وكأنه شريك متساوٍ في المرتبة، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان المرسل يتفوق عليه في درجة معينة، مما يؤدي إلى أن التودد يسهم في تعزيز العلاقة بين الطرفين، ويحقق نتائج إيجابية في تفاعلها وتطورها، فيكمن البعد التضامني للخطاب في تنازل "أبو حمو" على سلطته الوظيفية التي تربطه بالمرسل إليه بصفته ملكا واكتفائه بتمرير النصائح في ظل علاقة قرابة تجمع بين الأب وابنه بناء على تجربته الشخصية، وما يمتلكه من خبرات في هذا الميدان.

(1) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص204.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص106.

(3) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص266.

• **الضمير "أنت/أنتم":** يمكن للمرسل أن يستخدم الضمير "أنتم" عند مخاطبته للمرسل إليه المفرد إذا كان يتفوق عليه في المرتبة، مما يعكس الاحترام والرسمية، وبالتالي يتضمن درجة أقل من التضامن، أما عندما يستخدم الضمير "أنت" فإنه يعبر عن درجة أعلى من التضامن والتقارب مع المرسل إليه الذي يمتلك سلطة أقوى ويتفوق عليه في المرتبة ⁽¹⁾، من أمثلة ذلك ما جاء في المدونة في قول "أبي حمو": ⁽²⁾

سَأَلْتُكَ يَا خَالِقِي تَوْبَةَ مَا زِلْتُ لِلْسَّائِلِينَ مُجِيبًا
وَأَنْتَ رَقِيبِي يَوْمَ الْحِسَابِ فِي بَكَ يَوْمَ الْحِسَابِ رَقِيبًا
خَشِيتِ الْمَعَاصِيَ بِيَوْمِ الْقِصَاصِ ذَا مَا النَّوَاصِي تَشِيبُ مَشِيبًا
فَكَمْ قَدْ لَهَوْتَ وَكَمْ قَدْ سَهَوْتَ لَكِنْ دَعَوْتُ سَمِيعًا مُجِيبًا

ما يظهر جليا في الخطاب؛ التذلل والضعف للمولى، والذي يمثل عينة مصغرة من سلسلة خطابات، كان قد وجهها الكاتب إلى الله عز وجل لنيل مغفرته ورضوانه، إذ نجده يستخدم الضمير "أنت" للدلالة على بعد تضامني أكثر من إحالته على مرجع من أجل التقرب منه، وعليه يغدو تطبيق هذا الضمير دليلا على وجود علاقة رسمية سمّتها التقدير والاحترام لطرف العملية التخاطبية التواصلية.

وفي قول آخر يوظف الضمير نفسه لمخاطبة النبي في قوله: ⁽³⁾

أَلَا يَا رَبِّيعِ الْخَيْرِ لَازِلْتُ رَائِقًا فَقَدْ جِئْتَنَا بِالرُّحْمَى وَخَوَّلْتَنَا السَّعْدَا
لَكَ الْمَجْدُ صِلْ وافخرْ عَلَى الْحَوْلِ كُلِّهِمْ فَأَنْتَ لَنَا عِيدٌ نُوفِي لَكَ الْعَهْدَا

يكمن البعد التضامني في استعماله الضمير "أنت" بدلا من "أنتم" الذي يجسد الاحترام والرسمية والتي يحقق بذلك درجة أقل من التضامن، وعلى هذا الأساس ندرك أن الاختيار بين أنت وأنتم يرتبط بالعلاقة من حيث السلطة والتضامن ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص290.

⁽²⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص195.

⁽³⁾ نفسه، ص200.

⁽⁴⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص291.

• **الضمير "نحن":** لا يؤول استعمال الضمير للإشارة إلى مرجع غير مرجعه الذي وضع له أصلاً على أنه خطأ، ومن بين الضمائر التي يمكن تأويلها؛ الضمير "نحن" إذ ينبني تصنيفه في اللغة على الدلالة على جمع المتكلم لكنه، لا يتقيد في الاستعمال اللغوي بهذا التقيد، إذ تتدخل عوامل سياقية في توظيفه ليرسم نهج الخطاب وقصديته، فيمكن استعماله تداولياً ليدل على الاستراتيجية التضامنية فيما وضع له وفي غير ما وضع له⁽¹⁾، وقد قسمت "لاكوف" دلالة الضمير "نحن" إلى قسمين رئيسيين: الأول هو "نحن الشاملة" التي تشمل المرسل والمرسل إليه، مما يعادل في بعض الأحيان "أنا وأنت" أو "أنتم"، أما القسم الثاني فهو "نحن القاصرة" أو "الحاصرة"، التي تشير إلى المرسل ومن يضاف إليه دون أن تشمل المرسل إليه⁽²⁾، ويرى "فاولر" أن "نحن الشاملة" تسمى "نحن التعاونية"، لأنها تعكس أو تساهم في تعزيز التعاون بين الأفراد⁽³⁾، وإلى جانب الصنفين السابقين للضمير "نحن" هناك صنفاً آخر لا يتضمن المرسل مع غيره "بل يتجاوز استعمال "نحن" إلى حصر دلالتها على المرسل إليه وحده"⁽⁴⁾ يقول "أبو حمو":⁽⁵⁾

"يا بني إياك والمخاطرة فإنها غير محمودة إلا في طلب الملك والسلطان فإنها محمودة في هذا الشأن، لأن الملك إذا خاطر بنفسه في طلب سلطانه، واسترجاع بلاده وأوطانه، حمدت مخاطرته في سره وعلايته... وقد خاطرنا نحن في ذلك، وسلكنا بحول الله أحسن المسالك، وأوردنا العدى موارد المهالك، وذلك لما هاجتنا الحمية، ودعتنا النفوس الأبية، للانتصار لملكنا وسلطاننا، واستخلاص بلادنا وأوطاننا، ورد دولتنا إلى نصابها، واستخلاصها من أيدي غصابها، فطوينا المراحل وحثنا الركائب والرواحل، ورحلنا مستعنين بالله سبحانه في كل سكة وحركة، مغترفين من الله عز وجل كل يمن وبركة".

يظهر في هذا الخطاب أن الكاتب لجأ إلى استثمار الدال الإشاري (نحن) في بعده

(1) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 291.

(2) ينظر: نفسه، ص 293.

(3) ينظر: نفسه، ص 295.

(4) نفسه، ص 296.

(5) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 33.

التضامني الشامل والمعبر عن ذات المتكلم وابنه وجيشه، فعلى الرغم من أن ابنه لم يشارك في الحرب، إلا أنه أشار إليه في عبارة (وقد خاطرنا نحن في ذلك)، والقصد واضح في بنيه الخطاب العميقة هو (وقد خاطرنا أنا وأنت والجيش في ذلك)، فبه يكون قد فعل قيمة التضامن بين ذاته والمرسل إليه للدلالة على التضامن بينهما.

2.3.2. الضمير المتصل:

ليس من الخطأ أن يستبدل المرسل في السياق اللغوي أحرفاً معينة، أو ضمائر متصلة عن الضمائر المنفصلة لأنها لها نفس دلالتها، ومن هذه الأحرف:

• **حرف النون السابق للفعل المضارع:** تتجاوز وظيفة الضمير في الفعل المضارع من كونه دليلاً نحوياً على الزمن، إلى استخدامه التداولي للإشارة إلى التضامن بدلاً من ضمير الجمع المتكلم (نحن)⁽¹⁾.

وهذا ما يظهر في كثير من خطابات التضامن في كتاب (واسطة السلوك) حينما يوظف هذا الحرف لتحريك العاطفة في نفس متلقي خطابه، وبالأخص ابنه وولي عهده ليعمل هذا الخطاب على تقريبه إليه والتقرب منه⁽²⁾.

"فلم نزل يا بني نستعمل معهم المحاولات والمكائد، وننصب لهم الأشرار بكل المراد، إلى أن استخلصنا جميع بلادنا من أيديهم، وجازيناهم على تعديهم. وذلك بين محاولة وقهر، ومساعدة ودهر، وتأيد ونصر، ولقد دخلناها عليهم دون كثير جيش ولا مال، فبلغنا بالسياسة والمحاولة غاية الآمال. إلى أن صارت أموالنا أكثر من أموالهم، وأحوالنا أحسن من أحوالهم، وأعدادنا أكثر من أعدادهم، وأجنادنا أكثر من أجنادهم، وبلادنا أمهد من بلادهم".

غير أن هذه المحاولات للتخلص من العدو تخص "أبو حمو" وجيشه لا ابنه، إلا أنه استعمل "حرف النون السابق للفعل المضارع" الذي ناب عن الضمير في (نزل، نستعمل، نصب) ليعبر به عن نفسه وابنه وجيشه، وليكون مؤشراً على تضامنه معهما،

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 298.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 35.

من خلال تنازله على سلطته الوظيفية بصفته ملكا، وجعل ذاته في مرتبة واحدة، وليعبر لهما بأن قضيتهم واحدة ومحاربة العدو مسؤولية الجميع، وعلى الرغم من البعد التضامني الذي قدمه "حرف النون السابق للفعل المضارع" نجده يدعم ويقوي دلالاته التضامنية بتوظيفه للفظ من "ألفاظ القرابة" في بداية الخطاب (يا بني) ليكون دليلا قويا هو الآخر على إرادة المخاطب في تعزيز علاقته بالمخاطب والدنو والاقتراب منه.

• **حرف الكاف مع الميم للدلالة على المخاطب الجمع:** يستعمل المخاطب "حرف الكاف مع الميم للدلالة على المخاطب الجمع"، المنصوب أو المجرور، والذي نسميه بالتمليك، إضافة إلى ما يملكه المرسل إلى ملك المخاطب يعد من شواهد التضامن، وهذا راجع إلى سبب تسميتها بالتمليك، والتي تعتمد على سياق الضمائر في توظيفها⁽¹⁾، ومن أمثلة ذلك ما جاء في المدونة في قوله: ⁽²⁾

أَلَفْتُ الضَّنَى وَأَلَفْتُ النَّحِيبَا وَشَبَّ الْأَسَى فِي فُؤَادِي لَهَيْبَا
وَحَقَّ لِنَفْسِي أَسَى أَنْ تَذُوبَا وَلِلدَّمْعِ مِنْ مَقِلَّتِي أَنْ يَصُوبَا
فَقَدْ كُنْتُ بِالْوَصْلِ مِنْكُمْ قَرِيبَا فَأَصْبَحْتُ بِالْهَجْرِ أَخْشَى الرَّقِيبَا
وَقَفْتُ رَجَائِي بِكُمْ فَأَرْحَمُوا وَقُوفِي عَلَى بَابِكُمْ مُسْتَرِيبَا
فَرِيدَ غَرِيبٍ أَنَا بَيْنَكُمْ وَحَاشَاكُمْ تَفَرُّدُونَ الْغَرِيبَا
وَمَالِي ذَنْبٌ سِوَى حُبِّكُمْ وَتَالَهُ عَنْ حُبِّكُمْ لَنْ أَتُوبَا
فَإِنْ تَفْلُلُونِي حَلَالًا لَكُمْ أَنَا أَرْتَضِي مَا يَرْضَى الْحَبِيبَا
وَإِنْ تُبْعِدُونِي عَنْ زَلَّتِي فَشِيمَتِكُمْ تَغْفِرُونَ الذُّنُوبَا

الناظر إلى الخطاب السابق يجد أن الحرف "كم" أوفر حظ في الأبيات من بقية الضمائر الأخرى (منكم، بكم، بابكم، بينكم، حاشاكم حبكم، لكم، شيمتكم)، وقد أدى دورا مهما في الكشف عن مقصديته في الخطاب، وهو التقرب والتودد للمرسل إليه-الرسول- من أجل نيل شفاعته، فمع أن المرسل إليه شخص واحد إلا أن المرسل خاطبه بصيغة

⁽¹⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص298.

⁽²⁾ أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص194.

الجمع، ليعبر عن بعده تضامني الذي جسده دلالة الاحترام التي عبرت عنها الصيغة التعبيرية التي حملها الخطاب للوصول لمقصده ومبتغاه.

• **حرف الكاف الدال على المخاطب المفرد:** يعد "حرف الكاف الدال على المخاطب المفرد" من البدائل التي يستعملها المرسل للضمير "أنت" سواء المذكر أو المؤنث المنصوب أو المجرور جراً أو بالإضافة⁽¹⁾، للدلالة على تضامنه مع المرسل إليه، وقد كثر استعماله في خطابات "أبي حمو" من ذلك قوله: ⁽²⁾

"وأما ركوبك فينبغي لك أن لا تكثر من الركوب إلا في أوقات معلومة، لأنك إذا أكثرت من الركوب ملك الناس. وإذا أقللت من الركوب ذمك الناس، لأنك إذا احتجبت عن الناس ظنوا أنك مشغول بالدنيا ولذاتها. إن كثرت من الركوب كثرت مباشرتك للعامة، إذا كثرت مباشرتهم لك ملوك وزهدوا في النظر إليك، وليكن ركوبك بسكون وسيرك بتؤدة. ولا تلتفت في ركوبك يمينا ولا شمالا، لأن الالتفات يمينا وشمالا دال على ضعف العقل".

جعل المرسل من حرف "الكاف الدال على المخاطب المفرد" في عبارة (ركوبك، لك لأنك، ذمك، أنك، لك، ملوك، إليك، سيرك) ركيعة لغوية مرر من خلالها خطابه الذي يبدو في ظاهره خطابا إرشاديا توجيهيا بامتياز، إلا أنه يخفي من ورائه بعدا تضامنيا يجمع قصد تقوية العلاقة التي تربط بينه وبين ابنه.

• **الضمير المتصل "تا" البديل عن الضمير "نحن":** هو ضمير بارز متصل، والخطاب التضامني لأبي حمو لم يغفل بدوره هذه الصيغة اللغوية، في العديد من السياقات التداولية، منها قوله: ⁽³⁾

"فانظر يا بني ما قسيناه في هذه الأمور الشديدة وما ضربناه لأعدائنا من شدة الحرب ورقة المكيدة، إلى أن تقضينا أبلغ السؤل، وتوصلنا بعناية الله تعالى إلى أوفق مأمول. فكذاك ينبغي لك أن تقتدي بكل أفعالنا، ويؤول أمرك إلى ما آل إليه مآلنا. تأخذ

⁽¹⁾ ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 299.

⁽²⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 42.

⁽³⁾ المصدر نفسه.

باليقظة والحزم، والرفق في بعض الأمور، وبعضها بالعزم، ولا تنيب عن يومك في أمر غدا، إذا وجدت الفرصة من الأعداء".

عبر الكاتب عن تضامنه مع ابنه من خلال استعماله للضمير "نا" في لفظتي (قاسيناه، ضربناه) والمعنى الذين نلمحه هو اشراك المرسل للمرسل إليه في خطابه التداولي، وإذا تمعنا في المقاصد الخفية التي رام إلى تحقيقها، نجد أنه خطاب حجاجي أكثر منه تضامني؛ أي أن مرسله حاول إقناع المرسل إليه المخصوص بضرورة حماية بلاده وملك والده وأن يحميه من غدر الأعداء وأن لا يضيعه.

3.3.2. أسماء الإشارة:

تتجسد الاستراتيجية التضامنية من خلال "أسماء الإشارة" التي تحمل تداوليا أبعادا دلالية أعمق مما يبدو في ظاهرها، والتي تتحدد بالمرسل والمرسل إليه ومقام الخطاب وسياقه العام، وغيرها من العوامل.

"اسم الإشارة" هو اسم يُستخدم لتحديد مدلوله بشكل دقيق، ويرتبط عادةً بإشارة حسية توجه إليه ⁽¹⁾، وله ثلاث أنواع: للقريب ولها المجرد (ذا)، للوسط ولها ذو الكاف (ذاك)، وللبعيد ولها ذو الكاف واللام (ذلك)، وقد يستخدم المرسل الهاء لتنبية القريب بالإضافة إلى حرف اللام ⁽²⁾، فالمرسل يمكنه أن يبادل بينها خصوصا بين الأسماء الدالة على القريب والبعيد، و تُعد هذه المبادلة إحدى الآليات التي يستخدمها المرسل للتقارب، حيث يلجأ إلى استخدام ما يشير إلى البعيد ليدل به على القريب، ويكمن البُعد التضامني في تكريم الشخص المقصود وإظهار رفعة مكانته.

وإذا تتبعنا مدى توظيف الخطاب التضامني في المدونة لهذا النوع من "أسماء الإشارة" نجد العديد من السياقات التداولية الخاصة التي اقتضت توظيف هذا الاسم بالإضافة إلى خصوصية الشخص المتحدث عنه، وهذا ما يدلنا عليه خطابه الذي يوصي فيه ابنه بضرورة ترتيب جيشه أثناء الحرب، فالكاتب يولي العناية التامة لجيشه بتنظيمه وتقويته عددا وعدة لأن في ترتيبه إرهاب للأعداء، وقد اتبع في تقسيم جيشه نفس

⁽¹⁾ ينظر: عباس حسن: النحو الوافي، ج1، ص321.

⁽²⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص301.

الأسلوب المتبع من طرف الجيوش الإسلامية، إذ يقسم الجيش "إلى خمسة أقسام رئيسية كبرى ومنها تسمية الجيش بالخميس: أي المقدمة والميمنة والميسرة، والقلب والساقة"⁽¹⁾ "وإذا جُعِلَت الساقة لإنقاذ الميمنة والميسرة، فإن القلب يقف في الجيش ويصد العدو"⁽²⁾، يقول في ذلك: ⁽³⁾

"فأما التقدمة، فتقدم منهم فرسانا بين يديك، يكونون في نحر العدو إذا قصد إليك، من أنجاد قبائلك الشجعان، وأهل دخلتك العارفين بالضراب والطعان وتقدم عليهم قائدا من الأبطال الخائضين بحور الأهوال، واجعلهم على قسمين: قسم يلي الميمنة بين يديها، وقسم يلي الميسرة بين يديها. ويكون قتال كل قسم من هذين القسمين اللذين في الجهتين مستندا لمن خلفه من الميمنة والميسرة فتكون الأجنحة بأولئك الحماة منتصرة".

ينبئ هذا المقطع الخطابي بوجود اهتمام خاص يوليه "أبو حمو" لجيشه، وهذا ما يفضي إلى توطيد العلاقة حتما بينهما وترسيخها، وما دل على ذلك توظيفه لاسم الإشارة (أولئك) العائد على الفرسان الشجعان، والذي يدل على بُعد تضامني يكفه لهم، جراء مخاطرتهم بالغالي والنفيس من أجل سلامة بلادهم، وبشكل خاص الأنجاد المقاتلين، وهذا ما يظهر في وصفه إيّاهم بـ (الشجعان، العارفين بالضراب والطعان، الخائضين بحور الأهوال الحماة).

كما يظهر في الخطاب التالي استعماه لاسم الإشارة (ذا) لقصد تداولي في نفسه، إذ نجده يعترف بذنوبه التي اقترفها وتقصيره في حق الله عز وجل الذي يمهل في كل إثم ويقابله بالستر والعفو عنه في قوله: ⁽⁴⁾

كَمْ أَجْنِي الذَّنْبَ وَتُمْهَلُنِي وَتُقَابِلُ ذَلِكَ بِالنَّعَمِ
وَلَكُمْ عَصِيَّتُكَ وَتَسْتُرُنِي يَا ذَا الْإِفْضَالِ وَذَا الْكَرَمِ

⁽¹⁾ علي خلاصي: الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة الجزائر، ط1، 2007، ص15.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص77.

⁽³⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص156.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، ص29.

تجاوز "أبو حمو" بتوظيفه "اسم الإشارة" "ذا" الإشارة إلى المشار إليه الله عز وجل، بل تقربه منه، قريبا يليق بعظمته ومكانته فهو أقرب إلينا من حبل الوريد لقوله سبحانه وتعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [سورة البقرة، الآية: 186].

4.2. الآليات اللغوية:

1.4.2. المكاشفة:

يكنى الناس عن الأشياء الخاصة بهم من خلال بعض ألفاظ الكناية المشهورة وهي: كم وكذا وكيت وذيت، فكم وكذا كناية عن العدد إذا كان مبهما، وكيت وذيت كنايتان عن الكلام، وكم كناية عن العدد المبهم الذي يقع على الكثير والقليل والوسط، وتأتي في أمرين الاستفهام والخبر⁽¹⁾، في حين يتفاوت آخرون في كشف ذواتهم واطلاع الغير على خصوصياتهم على حسب العلاقة التي تربط بينهم، إذ تتوسط بين "الرغبة الجادة في الصدق، وبين تحفظ الإنسان على أسراره الشخصية وتكتمه على عيوبه وخوفه منها"⁽²⁾، فاستعمال الصراحة وكشف الخصوصيات مع مرسل إليه معين هو دليل على خلق الثقة بينهما، كما تكشف عن العلاقة الودية التي تربط بينهما واستعداد المرسل لاطلاع المتلقي على بعض ما يخفيه عن الآخرين من مكنوناته وعلى بعض خصوصياته، والاستعداد مبني على الثقة ومدى التضامن، وكذلك على المشاعر الجيدة التي تربطه به، فكشف الذات تعتبر عنصرا من عناصر الاستراتيجية التضامنية ودليلا على القرب والتضامن⁽³⁾.

وعندما يصرح "أبو حمو" في خطاباته عن بعض الأشياء والأحداث التي تخصه يحقق لها خطة مؤثرة تثير نفس المرسل إليه لها ليتعاطف معه، ويحرك تيار وعيه الباطن، وخبيئات وجدانه، ليحدث شعورا جيشانا عاطفيا، لأنه حين يلقي بخبيئات نفسه

(1) ينظر: ابن يعيش أبو البقاء بن علي: شرح المفصل، ج4، ص125.

(2) معيض بن عطية القرني: عبد الحميد بن سيف الحسامي، المكاشفة في السيرة الذاتية -دراسة تداولية-، مجلة آفاق

للعلوم، مج6، ع1، 2021، ص361.

(3) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص303.

أمام متلقيه ويفضي له بمكنونات مشاعره، فإنه يبني بينهما رابطة عاطفية⁽¹⁾، ومن تجليات توظيف آلية "المكاشفة" في خطابه التضامني، قوله: (2)

"فكان ابتداء حركتنا السعيدة من تونس بالجد والاعتزام، عاملين على مدينة تلمسان حضرة أسلافنا الكرام، فارتحلنا من بلاد الأفريقية، إلى البلاد الجريدية، وكان عدونا السلطان أبو عنان ابن السلطان أبي الحسن بن عبد الحق المريني بالبلاد القسنطينية. فبادرنا من حيننا إليه، برسم أن نشن الغارة عليه. ولم يكن بيننا وبينه إلا مرحلة وعصابتنا السعيدة مقبلة. ووعندما علم بإقبالنا ونجدة حماتنا وأبطالنا، وافق ذلك أن وقع بينه وبين قبيله الشتات والشنان، وخشي الفضيحة في تلك الأوطان، فترك بقسنطينة قائدا من قواده، وحصة من أجناده، وعاد راجعا إلى بلاده..."

إن تصريح "أبو حمو" لابنه بالتحضيرات والخطوات الأولى والمحاولات والمكائد لاستخلاص بلاده من أيدي المرينيين واسترجاع ملكه الضائع، تعتبر مكاشفة أراد من خلالها أن يشارك ابنه في بعض خصوصياته لتكون بذلك وسيلته للتقرب منه وتقريبه إليه وتحقيق بذلك قصده التضامني، وبالتالي استدراجه إلى التركيز فيما سيقوله.

ومن "المكاشفات" التي شاركها مع مخاطبه أيضا في المدونة؛ ماجاء في إحدى مولدياته التي صرح فيها بكثرة الخطايا والذنوب التي ارتكبها، والتي يسعى من خلال هذه التقنية إلى كسب مزيد من التقرب من الله عز وجل لنيل مغفرته وعفوه، يقول فيها: (3)

لَقَدْ هَوَيْتُ مِنَ الدُّنْيَا زَخَارِفَهَا الَّتِي بَقَرْتُ هُوَ أَهَا لَا أُطِيقُ لَهَا عَدَا
شَغَفْتُ بِهَا دَهْرًا وَلَمْ أَدْرِ مَا مَضَى وَقَدْ بَدَّلْتُ مِنْ بَعْدِ مَا أَظْهَرْتُ وَدَا
لَبَانَةَ عَهْدِي قَدْ نَقَضْتُ وَقَدْ مَضَتْ وَجَيْشُ شَبَابِي بِالْمَشِيبِ لَقَدْ حَا
وَيَا لَيْتَ شِعْرِي بِالزَّمَانِ الَّذِي مَضَى أَيْرَجُ مَرُّ الْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ شَهْدَا
وَتَغْفِرُ أَوْزَارِي وَتُمَحِّي جَرَائِمِي وَحَصْرُ ذُنُوبِي لَا أُطِيقُ لَهَا عَدَا

(1) ينظر: عبد الدايم يحي إبراهيم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، الدار

البيضاء، بيروت-لبنان د.ط، د.ت، ص110.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص33.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص199.

أَنَا الْمُسْرِفُ الْجَانِي أَنَا الْمُذْنِبُ الَّذِي أَشَاهِدُ بَابَ الْعُفُوبِ الذَّنْبِ قَدْ سَدَا
لَقَدْ حَقَّ لِي أَنْ أَبْكِي عَلَى فَرْطِ زَلَّتِي وَأَسْكُبُ دَمْعًا كَالْعَقِيقِ عَلَى الْخَدَا
أَعَاتِبُ نَفْسِي فِي زَمَانٍ بَطَّالَتِي وَقَلْبِي عَلَى كَسْبِ الْمَآثِمِ قَدْ حَدَا
وَجَيْشُ شَبَابِي قَدْ مَضَى بِسَبِيلِهِ وَجَيْشُ مَشِيبِي قَدْ تَقَدَّمَ لِي وَفَدَا
إِلَهِي هَبْ لِي مِنْكَ عَفْوَاً وَرَحْمَةً فَمَا زِلْتُ يَا مَوْلَايَ تُبَلِّغُنِي الْقَصْدَا

بتوظيف آلية "المكاشفة" في هذه الأبيات التي تقطر حزنا وأسى، تجاوز الشاعر دلالة الاعتراف والتصريح بالذنوب إلى دلالة التقرب، ومما ضاعف القوة التضامنية لخطابه؛ تصريحه بما يعاينه من آلام بسبب الذنوب التي اقترفها مصرحا بتوبته، و التوبة الحقيقية تتمثل في الندم على ما فات، والابتعاد عن الذنب فوراً، والعزم على عدم العودة إليه في المستقبل، وتتحقق هذه الشروط الثلاثة في لحظة التوبة (1)، و"أبو حمو" متيقنا باستجابة الله عز وجل له وفرحته بتوبته، وهو القائل عز قوله: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [سورة الزمر، الآية: 53]، لقد حقق هذا النوع من المكاشفة بعدا تضامنيا، تميز في تعزيز علاقته بالله عز وجل-ولهذا أكثر من استعمال الآلية ذاتها مع المرسل إليه ذاته، فنجد في خطاب آخر يقول: (2)

الْحُبُّ أَضْعَفَ جِسْمِي فَوْقَ مَا وَجَبَا وَالشَّوْقُ رَدَّ خَيَالِي بِالسَّقَامِ هَبَا
وَالْبَيْنُ أَشْعَلَ نَارَ الْوَجْدِ فِي كَبْدِي وَالدَّمْعُ يُضْرِمُهَا فِي الْقَلْبِ وَاعْجَبَا
مَاءً وَنَارًا وَأَكْبَادًا لَهَا شُعْلٌ وَالْقَلْبُ بَيْنَهُمَا قَدْ ذَابَ وَالْأَتَهَبَا
سُهُدٌّ وَبَعْدَ أَشْوَاقٍ تُلَازِمُنِي وَكُلُّهَا لِعَذَابِي قَدْ غَدَا سَبَبَا
أَكَابِدَ اللَّيْلِ بِالتَّسْهِيدِ مُفْتَكِرًا وَلَا أَبَالِي بِهِ إِنَّ طَالَ أَوْ قَرِيبَا
إِلَهِي هَبْ لِي مِنْكَ عَفْوَاً وَرَحْمَةً فَمَا زِلْتُ يَا مَوْلَايَ تُبَلِّغُنِي الْقَصْدَا

(1) ينظر: الشعراوي: التوبة، ص 29.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 197.

هذا النوع من "المكاشفات" يعكس قرب المرسل من المرسل إليه، إلى درجة عدم الإحراج من الكشف له عن خصوصيته ليلبغ قصده المتضمن للاستعطاف والتذلل والاعتراف بالعجز والإقرار بالذنب، طمعا في سعة رحمته "والله عز وجل يحب أن يتوجه عبده إليه بالاعتذار ويتصل من ذنبه (1)".

2.4.2. نكران الذات:

إن تجاهل المرسل لذاته وتواضعه في خطابه يعد علامة من العلامات التي تخدم الاستراتيجية التضامنية "خصوصا عند من يمتلك السلطة" (2)، فيتكرر المرسل لذاته ويتحدث عن نفسه وكأنه يعني شخصا آخر (3)، ومما يظهر تواضع المرسل مثلا: "عندما يبذل المرسل جهده ويخلص في عمله فينجز إنجازا حسنا، مما يجعل الآخرين يشيدون بعمله ويثنون عليه فينفي عن نفسه قيامه بهذا الجهد وحده من باب التواضع ويثبت أنه مجهود الجميع" (4)، فمن شأن هذا الأسلوب أن يرفع نسبة التضامن بين المتواصلين، ويقوي العلاقة بينهم، ومن نماذج "نكران الذات" في المدونة قول "أبو حمو" (5):

وَعَبْدَكَ مُوسَى لَمْ يُزَلْ فِيكَ رَاجِيًا وَمِنْ شَيْمِ الْمَوْلَى أَنْ يَرْحَمَ الْعَبْدَا

يسعى الشاعر إلى التودد، لينال بذلك العفو والمغفرة من الله غافر الذنب وقابل التوبة، يقول الله تعالى: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [سورة الأعراف الآية: 23]، فكانت النتيجة {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} [سورة طه، الآية: 122]، فالشاعر متيقن برحمة الله عز وجل على عباده فهو الغفور الرحيم، وهو القائل عن نفسه {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [سورة طه، الآية: 82] فجاء "أبو حمو" مقرا بالخطيئة منكسر القلب بين يدي علام الغيوب، واستعان في ذلك بذكر "اسمه الأول" (موسى)، وكأنه يتحدث عن شخص آخر وما زاد المعنى حدة لفظة (عبدك) التي سبقت الاسم والتي دلت أكثر على التواضع والانكسار،

(1) ينظر: أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص32.

(2) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص304.

(3) المرجع نفسه، ص304.

(4) المرجع نفسه، ص304.

(5) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص200.

وكلاهما كانت وظيفتهما التقرب من المولى عز وجل ونيل رضاه.

3.4.2. الإعجاب:

تعد الصيغ اللغوية التي يبدي بها المرسل إعجابه بالآخر المتلقي، إحدى الآليات التي يمكن أن يعتمد عليها في إنتاج خطابه التضامني، و"التعجب" "معنى يحصل عند المتعجب عند مشاهدة ما يجهل سببه"⁽¹⁾، ويدل على استحسان شيء ما أو استقباحه، إذ يُظهر العجب عندما يحدث شيء يثير الاستغراب ويخلق في الشخص شعوراً داخلياً يتميز بعدم الألفة أو الغرابة، بشرط أن يكون هذا الأمر مجهولاً أو خفياً، ويتميز "التعجب" في اللغة بأسلوبين رئيسيين: الأول هو الأسلوب المطلق الذي لا يتقيد بضوابط معينة ويعتمد على قدرة المتكلم ومستواه البلاغي، أما الثاني فهو الأسلوب الاصطلاحي أو القياسي الذي يتبع قواعد وضوابط محددة، ولا يختلف في استخدامه بين المتكلمين⁽²⁾.

في الاستخدام التداولي، يحمل التعجب العديد من المعاني التضامنية، فلا يشترط أن يكون المرسل جاهلاً بما يثير تعجبه، بل قد يقوم بذلك عمداً لإظهار التضامن، إذ ليس الهدف من أسلوب التعجب هو الإبهام الحقيقي فقط، بل هو أيضاً تعبير عن التضامن مع المرسل إليه، من خلال جعل الشيء المعروف يظهر كأنه مبهم⁽³⁾، وقد اعتمد "أبو حمو" آلية "التعجب" لإبداء تضامنه وتقريبه من المتلقي، من خلال قوله: ⁽⁴⁾

فَأَكْرَمَ بِشَهْرٍ حَوَى كُلَّ فَخْرٍ مَوْلِدٍ بِدَرْ بَدَا لَنْ يَغِيْبَا

إن البعد التضامني في هذا البيت واضح من خلال استعمال الشاعر للفظ "التعجب" (فأكرم بشهر) والذي يستعظم من خلاله الشهر الذي حوى كل عز وإقبال بطلعة خير الخلق سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ، وقد استغل إعجابه هذا في التقرب والتودد للرسول، كما ضاعف من الدلالة التضامنية بوصفه (بدر) فهو النبي السراج المستنير الهادي، وعليه إن تلقي الخطاب الذي يتضمن الإعجاب يجعل المتلقي يشعر

⁽¹⁾ نفسه، ص305.

⁽²⁾ ينظر: عباس حسن: النحو الوافي، ج3، ص340.

⁽³⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص307.

⁽⁴⁾ أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص195.

بقيته الكبيرة لدى المرسل، مما يترك أثراً طيباً في نفسه. وبالطبع، يعد التعجب شعوراً داخلياً ينشأ عندما تتفعل النفس بسبب أمر نادر أو غير مألوف، أو عندما يكون السبب خفياً أو غير معروف، ويظهر التعجب حين تتجمع هذه العناصر معاً⁽¹⁾.

4.4.2. التصغير:

يعد التصغير من الآليات اللغوية التي يستخدمها المرسل للتقليل من الفجوة بينه وبين المرسل إليه، لا سيما إذا كان المرسل أعلى مرتبة، ويشمل التصغير تعديل بناء الاسم ليحمل معانٍ متعددة مثل التحجيم، التقليل، التقريب، بل والتعظيم أيضاً⁽²⁾، ويستعمل "بصورة متكررة لتعبير عن الألفة ونبذ الرسمية والتودد"⁽³⁾، يقول الشاعر: ⁽⁴⁾

فَصَرَحَ بِتَذْكَارِ الْعَقِيقِ وَحَاجِرٍ لِأَنَّ بِهَا يَشْفِي غَلِيلَ اللَّوَاعِجِ
وَقُلُّ لِسُلَيْمَى لَسْتُ أَسْلُو بِحُبِّهَا وَإِنَّ طَرِيقَ الْغَيِّ لَسْتُ بِنَاهِجِ
وَإِنْ بَرَقَتْ مِنْ أَرْضٍ نَجْدٍ بِوَارِقِ تُذَكِّرُنِي عَهْدُ الْهَوَى وَالْهُوَادِجِ
وَإِنْ جِئْتَ أَرْضًا بِالْحَجَّازِ عَرَفْتَهَا فَاسْقِ ثَرَاهَا بِالدُّمُوعِ الْمَوَارِجِ
وَاقْضِ مَنَاسِكَ الْحَجَّازِ بِأَسْرَهَا وَزِرْ زُورَةَ تَقْضِي جَمِيعَ الْحَوَاجِ
وَشَدَّ الْقَوَى مِنْ مَتْنِ ضَامِرَةِ الْحَشَى لِحَيْرِ شَفِيعِ خَصِهِ ذُو الْمَعَارِجِ
نَبِي كَرِيمَ جَاءَ بِالرُّشْدِ وَالْهُدَى إِلَى كُلِّ قَلْبٍ فِي الضَّلَالَةِ مَارِجِ

تضمنت الأبيات المكانة التي يحتلها الرسول ﷺ في نفس "أبي حمو" فهو دائم الشوق لرؤيته وزيارة الأماكن المقدسة المرتبطة بحياته، ونجده في البيت الثاني يذكر "اسم العلم المؤنث" (سليمى) محبوبته، ويدل على وجود علاقة حب وقرب تربطه بها، وما يؤكد ذلك عبارة (أسلو بحبها) إلا أن حبه لها لم يطفأ نار اشتياقه للرسول ويشفيه من لوعته.

(1) ينظر: عباس حسن: النحو الوافي، ص33.

(2) ينظر: التوحيدي أبو حيان: من ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي،

القاهرة-مصر، د.ط، د.ت، ج1، ص351.

(3) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص308.

(4) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص198.

كما يعتبر استخدام الألفاظ المعجمية التي تدل على التصغير شكلاً من أشكال التأدب غير الرسمي، حيث يسهم في تعزيز وتأسيس علاقات الصداقة بين المرسل والمرسل إليه، مما يساعد على تقوية العلاقة والحفاظ عليها، ومن أمثلة ذلك ما جاء في المدونة في قوله: (1)

"اعلم يا بني إذا رأيت صاحب أشغالك محبوباً عند وزيرك وخاصتك وأهل رأيك مشكور الحالة عندهم، ينالون منهم قصدهم، فتعلم أنه مضيع لأمورك بالجملة، ثم إنك يا بني تختبره في ملبسه ومركبه...، فإن زاد زيادة مفرطة، فتعلم أن ذلك من عين مالك احتواه والتقطه، وإن لم يظهر عليه إلا قدر منفعة، والناس يقولون فيه ليصلوا إلى نكبته، فتعلم أنه نقي الجانب، قليل المعائب، وإن كان مفرطاً في أشغالك فهو لا يخونك في مالك".

يوجه الكاتب ابنه إلى التفرس في صاحب أشغاله، لمعرفة معدنه الطيب من الخبيث، موضحاً له تلك المؤهلات التي تجعله قادراً على التمييز بين الناس من خلال بعض الصفات التي تظهر عليهم، فلفظ "التصغير" (قليل المعائب) يدل على التقليل، أما قصده التداولي فيتمثل في كسب ولاء صاحب أشغاله والتقرب منه، والاعتماد عليه في أمور دولته، إذ يدرك أن ابنه يعلم بأن "تصغير الاسم دليل على صغر مسماه" (2).

كما يلجأ المخاطب إلى تقنية التخفيف في العرض، أو التقليل من الطلب بصفته عنصراً تضامنياً أو دليلاً على القرب من المخاطب، ونجد ذلك في قوله (3):

"وأما جيشك يا بني وأجنادك وأنصارك وقوادك فاخترهم بأن تنظر في أحوالهم وتتوسم في فعالهم، ... فإن رأيتهم آخذين في التفاخر بالخيول والعدة، والتدريع وآلة الحرب والنجدة، فتعلم يا بني أن هؤلاء يعول عليهم في الشدائد، فإن رأيتهم عند القرب من العدويين نشاطاً وشجاعة، واجتهاداً وبراعة، وحرصاً على الملاقاة وكلمتهم خاصة وعامة كلمة واحدة متفقة، فيرجى لك الظفر وعلى عدوك النصر".

(1) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 178.

(2) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 308.

(3) أبو حمو موسى: المصدر نفسه، ص 178.

إن طريقة خطاب المرسل مع المرسل إليه والتقرب إليه لها من الأبعاد التضامنية الشيء الكثير، فالتخفيف في عرض المرسل يجعل من المرسل إليه أكثر تقبلاً لمضمون الخطاب، كما يجعله يشعر باهتمام مرسل الخطاب، فيؤثر الشعور بالاهتمام تأثيراً جميلاً في نفسه خاصة أن مرسل الخطاب هو الولي الناصح العارف بمصالح ابنه، الأمر الذي لجأ إليه "أبو حمو" في خطابه مع ابنه في قوله (يرجى لك الظفر وعلى عدوك النصر).

إن المتحدث اللبق هو من يحقق استجابة إيجابية من المستمعين في البداية، مما يجعل نفسياتهم تتجه نحو الانفتاح والإيجابية⁽¹⁾، ودائماً ما يسعى "أبو حمو" لهذا الأسلوب للتودد والتقرب من المرسل إليه، من خلال تلك العبارات التي ينتقيها لخدم إستراتيجيته التضامنية، ويعتبر "عرض الدعوة" من الآليات التي تقرب المُخاطَب بالمخاطَب وقد استثمرها في خطابه مع ابنه ليكسب بها مودته، ولتقرب منه، يقول في ذلك: (2)

"وقد وضعنا لك يا ابني هذا الكتاب وحررنا كلامه من لباب اللباب وشرحنا فيه وصايا أخروية وسياسية ودنيوية وجمعنا لك ما يصلح لك بين أمور الدنيا والآخرة، فاجعله منهجك الذي تقتدي بمذهبه وسراجك الذي تستضيء به..."

إن دعوة المتلقي إلى ما يصلح له يجعله يشعر بشيء غير قليل من التضامن والاهتمام من المرسل خاصة إذا كان هذا الأخير تربطه علاقة قرابة كما هو الشأن بين الكاتب وابنه، إذ نجده في هذا المقطع قد اختصر كلامه من الفائدة من كتاب (واسطة السلوك) الذي هو في الغالب عبارة عن وصايا أخلاقية دينية وسياسية موجهة إلى ابنه وما يصلح له في حياته، ثم ذيل خطابه بدعوته للأخذ بنصائحه للفلاح في الدنيا والآخرة لقصد الاقتراب منه والتضامن معه، والأخذ برأيه.

كما نجد "أبو حمو" يخفف في عرضه وطلبه لنفس الغاية وهي التودد والتقرب لكن مع مخاطب آخر لزم علينا جميعاً بالإخلاص له وكثرة دعائه لنيل غايتنا وهو الله عز

(1) ينظر: ديل كورنيجي: كيف تكسب أصدقائك، ص114.

(2) ديل كورنيجي: كيف تكسب أصدقائك، ص189.

وجل، فنجده يفرد في ذلك قصيدة تعتبر من أهم ما نظم من مولدياته والتي مطلعها: (1)

أَلَفْتُ الضَّنَى وَأَلَفْتُ النَّحِيبَا وَشَبَّ الْأَسَى فِي فُؤَادِي لَهِيَا

وَحَقَّ لِنَفْسِي أَسَى أَنْ تَذُوبَا وَلِلدَّمْعِ مِنْ مَقْلَتِي أَنْ يُصَوِّبَا

إلى أن قال: (2)

سَقَوْنِي كُؤُوسًا تُذِيبُ النُّفُوسَا وَيَرْجُوكَ مُوسَى تُزِيلُ الْكُرُوبَا

بِحُرْمَةِ أَحْمَدَ خَيْرُ الْوَرَى رَجَائِي وَظَنِّي بِهِ لَنْ يَخِيبَا

لا يخفى علينا ما في الخطاب من تقرب وتودد من المرسل-أبو حمو- الله عز وجل، وبطريقة مباشرة، إذ نجده يكرر رجائه من خلال لفظتي (يرجوك، رجائي) للتوسل بها ولإبراز مقصديته التضامنية، إضافة إلى توسل "أبو حمو" الله عز وجل بخير خلقه الذي من شأنه أن يقبل طلبه وعرضه، كيف لا وهو خاتم الأنبياء، صاحب الشفاعة بإذنه تعالى، "عن أبي هريرة أنه قال: قلت: يا رسول الله: أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه" (3).

وأیضا لعبارات "العزاء والمواساة" قوتها الدلالية الموحية على التضامن، لما تجلت من فوائد ونتائج باهرة على المرسل من الهدوء والراحة، والثقة المتبادلة، والحب المشترك، ولذة الروح ورضا الضمير، والتفاؤل في الحياة (4)، وقد وظفها الكاتب في خطابه التضامني، مثلما دل عليه خطابه الذي يعبر فيه عن الأوجاع والأمراض، التي أنهكت جسمه بسبب الشوق لرسوله الكريم الذي يشعل كبده أسى، ومما قاله في هذا السياق التداولي: (5)

(1) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 194.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 196.

(3) ابن تيمية تقي الدين بن عبد الحلیم: التوسل والوسيلة، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار الفكر اللبناني، بيروت-لبنان ط 1992، 01، ص 16.

(4) ينظر: أبو الحسن علي الحسنی الندوي: مواساة أم مواساة، البعث الإسلامي، د.ب، د.ط، د.ت، ص 25.

(5) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 197.

الْحُبُّ أَضْعَفَ جِسْمِي فَوْقَ مَا وَجَبَا وَالشَّوْقُ رَدَّ خَيَالِي بِالسَّقَامِ هَبَا
لَيْلِي نَهَارِي وَيَوْمِي كُلُّهُ فِكْرٌ وَالنَّوْمُ عَنْ مُقَلَّتِي مِنْ بَعْدِهِمْ سَلْبَا
أَكْفَكَفَ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي فَيَغْمُرُهَا كَمْ بَيْنَ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا وَمُنْتَحِبَا
مِنْ بَعْدَ مَا كَانَ دَهْرُ الْأُنْسِ يَجْمَعُنَا وَالسَّعْدُ يُسْعِدُنَا وَالْوَصْلُ قَدْ عَذَّبَا
وَلَا رَقِيبٌ وَلَا وَاشٍ بِحَضْرَتِنَا وَالْيَوْمُ بِالْبَيْنِ حَالَتْ بَيْنَنَا الرِّقْبَا
كَمْ أَعْلَلَ قَلْبِي بَعْدَ فِرْقَتِهِمْ إِنَّ التَّعَلُّلَ لِلْأَحْبَابِ فِيهِ نَبَا
مَا لِلْمُحِبِّ دَوَاءٌ غَيْرِ وَصْلِهِمْ يَبْرِي لَهُمُ السُّقْمُ وَالتَّبْرِيحُ وَالْوَصْبَا

إن مواساة النفس على مصابها صورة من صور التضامن معها، لأنها تقلل من وطأة المصيبة التي ألمت بها على صاحبها، مثلما نجد ذلك في هذه الأبيات التي يخفف فيه "أبو حمو" من السقم الذي انتابه جراء بعده عن الحبيب المصطفى، وعدم قدرته على الارتحال لأداء مناسك الحج وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم.

5.4.2. المصانعة:

إن أهم مقصد يبتغيه المخاطب في خطابه هو حصوله على استجابة المخاطب، لذا يلجأ هذا الأخير إلى أساليب تتحقق بها مقاصده، منها أسلوب "المصانعة" الذي يعتبر من الوسائل التي يعبر بها المرسل عن استراتيجيته التضامنية هي محاكاة لغة المرسل إليه، وموافقة في الرأي.

- ذكر خصائص المرسل إليه:

يعد التكلم مع المخاطب وذكر بعض سماته من أنواع آلية "المصانعة اللغوية"، التي يجسد بها المرسل معرفته وقربه من المرسل إليه، أو ليعزز علاقته به، ويتم ذلك عبر انتقاء ألفاظ معينة تركز على جوانب إيجابية يمتلكها المرسل إليه، فإنه يؤسس بذلك اتصالاً لغوياً فعالاً، يقول "أبو حمو": ⁽¹⁾

تَهْبُّ النَّوَاسِمُ مِنْ أَرْضِهَا فَيَرْدَادُ نَارَ إِشْتِيَاقِي لَهْيَا

(1) - أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 195، 196.

حَنِينًا وَشَوْفًا إِلَى الْمُصْطَفَى أَثَارَ الْغَلِيلِ وَأَذْكَى الْوَجِيبَا
إِلَى خَيْرِ هَادٍ هُدًى لِلرَّشَادِ جَمِيعَ الْعِبَادِ وَجَلِيَّ الْخُطُوبَا
أَجَلَ شَفِيعٍ مَكِينٍ رَفِيعٍ أَتَى فِي رَبِيعٍ فَأَحْيَا الْقُلُوبَا
فَأَكْرَمَ بِشَهْرٍ حَوَى كُلُّ فَخْرٍ مَوْلِدَ بَدْرٍ بَدَا لَنْ يَغِيبَا
كَرِيمَ السَّجَايَا عَظِيمَ الْمَزَايَا جَزِيلَ النُّعْطَايَا جَمِيلًا وَهُوبَا
فِيَا حَادِي الْعَيْسِ نَحْوِ الْحَمَى إِذَا جِئْتَ ذَاكَ الْجَنَابِ الرَّحِيبَا
لِقَبْرِ الْتَهَامِي لِبَدْرِ التَّمَامِ لَخَيْرِ الْأَنَامِ شَفِيعًا حَبِيبَا
فَبَلَّغَ إِلَيْهِ سَلَامِي عَلَيْهِ فَإِنَّ لَدَيْهِ لِسُقْمِي طَبِيبَا
فَقَبْرَ الرَّسُولِ مَنَّاى وَسُؤْلِي عَسَى بِالْوُصُولِ سَأَحْظَى نَصِيبَا
فِيَا سَعْدَ قَوْمٍ حَدُّوا كُلُّ قَوْمٍ وَعَنْ وَضَعِ نَوْمٍ تُجَافُوا جَنُوبَا
بِحُرْمَةِ أَحْمَدَ خَيْرِ الْوَرَى رَجَائِي وَظَنِّي بِهِ لَنْ يَخِيبَا
إِلَهِي هَبْ لِي مِنْكَ عَفْوًا وَرَحْمَةً فَمَا زِلْتُ يَا مَوْلَايَ تُبَلِّغُنِي الْقَصْدَا

يمكن لهذا العنصر من عناصر "المصانعة اللغوية"، الذي يعتمد بعض المخاطبين تداوله فيما بينهم، أن يوطد العلاقات بينهم ويزيد في تقربهم، من خلال ذكر المرسل لخصائص المرسل إليه عن طريق إنجاز أفعال لغوية معينة تغدو وسيلة لاستثمار الاستراتيجية التضامنية، فيذكر في كلامه بعض المعلومات الذي يجسد بها معرفته به الأمر الذي استعان به الشاعر في قصيدته ليتوحد إلى الرسول ﷺ ويتقرب منه لينال شفاعته من خلال ذكره صفاته في قوله (التهامي، بدر التمام، خير الأنام، شفيعا، حبيبا، لديه لسقمي طبيبا، خير الوري، المصطفى، أثار الغليل، أذكى الوجيب، خير هاد، هدى للرشاد جميع العباد، جلى الخطوب، شفيع مكين رفيع، أتى في ربيع، أحيا القلوب، كل فخر، مولد بدر بدا لن يغيبا، كريم السجايا، عظيم المزيا، جزيل العطايا، جميل وهوب).

6.4.2. الخطاب الغير مباشر:

إن عدم الإكراه أو إلحاح المرسل لمتلقي الخطاب على فعل شيء عند مخاطبته،

يعد آلية من آليات التضامن معه، لأنه يبتعد بذلك عن استعمال الخطاب الدال على الطلب المباشر، ويستبدله بآخر يحفظ البعد بين طرفيه، ويتجسد ذلك من خلال قاعدة التعفف التي جاءت بها "لاكوف" في صيغة مقتضاها "لا تفرض نفسك على المخاطب"⁽¹⁾، فهي بذلك "تفرض على المرسل أن لا يتدخل في شؤون المرسل إليه الخاصة إلا بعد الاستئذان"⁽²⁾، وأحياناً ما تتضمن خطابات "أبو حمو" هذه الآلية حينما يسدي من خلالها مجموعة من النصائح التربوية لنجله، ويعد الخطاب التالي عن تحليله بصفة الكرم إحدى نصائحه الموثقة في طيات كتاب (واسطة السلوك)، تلك الصفة التي تعتبر تجارة رابحة مع الله عز وجل، فيكرم أهلها في الدنيا والآخرة ويمنحهم السعادة والراحة الدائمة، لأنه من يكرم عباد الله يتولى الله كرمه، وقد استعان الشاعر بآلية الخطاب الغير مباشر في بعدها التضامني ليتقرب من ابنه ليقبل بنصيحته لكي يصلح معتقده ويحسن عمله ومعاملته مع غيره، إذ يقول⁽³⁾:

"يا بني وإذا كان الملك شجاعاً بخيلاً كان في شجاعته ذليلاً يسلمه قومه في المواقف ولا يساعده أحد في التزاحف وظلك لسوء فعله وشدة بخله ومثله لا يعد من الشجعان بل يعد من أهل الحسد والهذيان فإذا اشتهر الملك بمكارم الأخلاق هرع له الناس من جميع الآفاق، وكثرت له المادة من أنصاره، وتحلى بالمحامد في أمصاره، وتحدث به في غير أقاليمه وأقطاره، وتوفر جنده وعظم مجده وقل معانده وكثر مساعده وانقهر حاسده ورحبت أوطانه وتفاخم سلطانه لأنه يتحلى بصفة من صفات البارئ فلا يجاريه في سلطانه مجار فهذا يا بني غاية الكرم المحمود الذي يتصف به المتحلي بالجود".

اعتمد "أبو حمو" في خطابه هذا على "الأسلوب الغير مباشر"، في توجيه ابنه ونصحه بالتحلي بصفة العطاء والبذل، باعتبارها من صفات المؤمنين الصالحين الذين يستحقون الثناء والفوز بالآخرة، بالإضافة أنها من أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها الفتى والتي تأهله للملك، فعلى الملك أن يكون كريم اليد والقلب والعقل على رعيته، لأن

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 265.

(2) المرجع نفسه، ص 318.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 112.

البخل يهلك صاحبه في الدنيا والآخرة لقوله ﷺ: (اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَائِهِمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ)⁽¹⁾، فالكاتب عدل عن أسلوب الأمر والنهي الذي اعتادهما في خطاباته التوجيهية، واستعان في خطابه بالحديث عن ما يترتب عن السخاء والجود ليولد في نفس ابنه الشعور بأهميته والواجب التحلي به، فالخطاب في معانيه الظاهرة يجسد الحديث عن تلك الصفة الحميدة المرتبطة بمكارم الأخلاق، وبينما يحقق في معانيه الضمنية مقصدية إقناعية وهي محاولة إقناع المرسل إليه-ابنه-إلى التحلي بالكرم والابتعاد عن البخل، محببا إليه هذه الصفة من خلال تذييل خطابه بعبارة (فهذا يا بني غاية الكرم المحمود الذي يتصف به المتحلي بالجود).

في العديد من خطاباته لابنه، يعتمد على ما يُعرف بـ "تخفيف شدة الطلب"، وهي من آليات التضامن الأساسية، وذلك وفقاً لمبدأ "براون وليفنسون" وقاعدة "لاكوف" التي تنص على "عدم فرض ما تريد"⁽²⁾ عندها يكون المتلقي مرحباً بالطلب لا رافضاً له ونجد ذلك في قوله:⁽³⁾

"فإن كنت يا بني عاملاً على هذا الأسلوب، جبلت على محبتك القلوب، ودعت لك الرعاية ببقاء الدولة، والتمهيد والنصر والتأييد والتأييد، وفي ذلك الصلاح التام لدولتك والخير العام لرعيك".

يتبين من خلال الصيغ التعبيرية للكاتب في قوله (فإذا كنت عاملاً على هذا الأسلوب)، أنه لا يفرض خطابه على ابنه، بل إن هذا الأخير مُخَيَّر في الأخذ بنصائح والده والاستفادة منها، وهذا ما نادى به "لاكوف" في "قاعدة التخيير" والتي مقتضاه هو: لتجعل المخاطب يتخذ قراراته بنفسه، ودع خياراته مفتوحة"⁽⁴⁾، ليحقق بذلك البعد التضامني في تقبل ابنه لخطابه والعمل بنصائحه، كما لجأ في خطابه هذا إلى التركيز على

(1) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تح: محمد ذهني أفندي وآخرون، دار الطباعة العامة، تركيا، 1334هـ، ج8، ص18، رقم الحديث 2578.

(2) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص319.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص112.

(4) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص265، 266.

التصرفات الإيجابية الناتجة عن الأخذ بوصاياهم ليضمن بذلك تقبل ابنه لنصيحته في مجارة الرعية وفق احتياجاتهم.

7.4.2. تأنيب الذات:

تتجسد تطبيق آلية "تأنيب الذات" بغية تحقيق الاستراتيجية التضامنية، من خلال تلك الصيغ التعبيرية التي يستعملها المرسل باتجاه ذاته أمام المرسل إليه ويظهر فيها نظرة سلبية تجاه ذاته، من خلال التذمر من إمكانياته أو تصرفاته أو مظهره الخارجي⁽¹⁾، وبالأخص إذا كان المرسل صاحب سلطة وظيفية لا تحتاج إلى اعتذار في الأصل، أو أية مسؤولية تربطه بجهة معينة، بينما اختار هذه الآلية ليعبر عن رغبته في التضامن مع المرسل إليه ليس إلا، ولكن وفق ضوابط معينة يكون من خلالها المرسل معتدلاً في نظرته لنفسه، فلا يبالغ في الشك فيها ولا يفرط في حسن الظن بها، لأن التوازن في تقييم الذات يعصمه من الوقوع في ظلم نفسه، فالإفراط في توجيه اللوم إليها يُضعفها ويجعلها في موقع الضعيف المظلوم، بينما التساهل الزائد قد يدفعه للغفلة والغرور⁽²⁾، فلا يكون مفرطاً في ذلك، فالعبرة هي إظهار التضامن مع المتلقي باستعمال هذه الآلية ليس إلا، إذ هي مؤشر من مؤشرات الاستراتيجية التضامنية⁽³⁾.

ويمكن لألفاظ العتاب أن تكون ألفاظاً دالة على استعمال آلية "تأنيب الذات"، فعتاب المرسل لنفسه أمام المرسل إليه، ينبئ عن رغبته في التواضع له، وكثيراً ما يوظف "أبو حمو" ألفاظاً وعبارات التحسر والندم والعتاب، من خلال خطابه الموجه لله عز وجل حينما يستفيق ضميره ويؤنبه عن كثرة الذنوب والمعاصي التي اقترفها، فليجأ إلى غفار الذنوب الذي لا يرد لأحد طلبه مهما كثرت ذنوبه، إذ يقول في ذلك: (4)

وَيَا لَيْتَ شِعْرِي بِالزَّمَانِ الَّذِي مَضَى
أَيَرْجِعُ مَرُّ الْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ شَهْدًا؟
وَتَغْفِرُ أَوْزَارِي وَتُمَحِّي جَرَائِمِي وَحَصْرُ ذُنُوبِي لَا أُطِيقُ لَهَا عَدَا

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص319.

(2) ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص93.

(3) ينظر: ابن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص320.

(4) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص199.

أَنَا الْمُسْرِفُ الْجَانِي أَنَا الْمُذْنِبُ الَّذِي أَشَاهِدُ بَابَ الْعَفْوِ بِالذَّنْبِ قَدْ سَدَا
لَقَدْ حَقَّ لِي أَبْكِي عَلَى فَرْطِ زَلَّتِي وَأَسْكُبُ دَمْعًا كَالْعَقِيقِ عَلَى الْخَدَا
أَعَاتِبُ نَفْسِي فِي زَمَانٍ بَطَّالَتِي وَقَلْبِي عَلَى كَسْبِ الْمَآثِمِ قَدْ حَدَا
وَجَيْشُ شَبَابِي قَدْ مَضَى بِسَبِيلِهِ وَجَيْشُ مَشْيَبِي قَدْ تَقَدَّمَ لِي وَفَدَا
إِلَهِي هَبْ لِي مِنْكَ عَفْوَاً وَرَحْمَةً فَمَا زِلْتُ يَا مُؤَلَّيْ تَبْلُغُنِي الْقَصْدَا

ندم العبد على معصية ارتكبها دليل على نقاء قلبه وصدق نيته، وندم "أبو حمو" في هذه الأبيات جلي من خلال تعداد أخطائه التي ارتكبها، والاعتراف بالإسراف فيها، وهذا دليل على الفطرة السليمة على الدين الإسلامي ومدى علاقته بالله عز وجل، فمعاتبته لذاته والانتقاص منها وعدم إصراره على الذنب، يجسد من خلاله بعدا تضامنيا مع المرسل إليه -الله عز وجل- ليتقرب إليه ويتودد له ليغفر خطاياهم من خلال الألفاظ (تغفر أوزاري، تمحي جرائم، حصر ذنوب لا أطيق لها عدا، أنا المسرف الجاني، أنا المذنب، فرط زلتي...)، وما زاد القوة التضامنية لهذا الخطاب استعماله للعبارات التي تزيد من التقرب (مازلت يا مولاي تبغني القصد، من شيم المولى أن يرحم العبد)، والتي تتسم بشحنات عاطفية مадحة ترفع من قيمة المرسل إليه، لأنه يعلم في قرارة نفسه أن باب التوبة مفتوح في أي وقت وأي مكان، وهذا من رحمة الله بعباده ليتب عليهم ويظهرهم، فهو خير الراحمين، فعن النبي يرويه عن ربه قال: (يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا، لِأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)⁽¹⁾.

خلاصة القول:

اتخذ "أبو حمو" من "الاستراتيجية التضامنية" في كتاب (واسطة السلوك) سبيلا لبلوغ مقصده التضامني مع مخاطبه، مراعيًا في ذلك سياق الخطاب والمُخاطَب نفسه،

(1) الطبراني سليمان بن أحمد: الدعاء، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1،

فكان خطابه التضامني محملا بالأدوات والآليات التي تعينه على تحقيق غرضه، والمتمثل في القرب والدنو من المرسل إليه لكسبه والتضامن معه، فنجدته جل خطاباته تتميز بالتهذيب باعتبارها أصل الخطاب التضامني، لأنه يدرك تماما ما يترتب عليه من نتائج في بسط بساط الود والحب والقرب، كما يكمن البعد التضامني في بعض خطاباته خاصة الموجهة إلى ابنه في التنازل على سلطته الوظيفية التي تربطه بالمرسل إليه بصفته ملكا، واكتفائه بتمرير النصائح في ظل علاقة حميمة تجمع بين الأب وابنه بناء على تجربته الشخصية وما يمتلكه من خبرات في هذا الميدان.

الفصل الثالث

الاستراتيجية الخطابية التوجيهية

المبحث الأول: الاستراتيجية التوجيهية
المبحث الثاني: الوسائل اللغوية التوجيهية

الفصل الثالث: الاستراتيجية الخطابية التوجيهية

المبحث الأول: الاستراتيجية التوجيهية:

يسعى المرسل من خلال إنتاج خطابه إلى تحقيق أقصى تأثير له في المتلقي لبلوغ هدفه، إذ ينزاح في بعض الأحيان عن مبدأ التأدب الخطابي، الذي لا يراه مناسباً مع قصده الذي يروم إلى تحقيقه، فيمارس فضولاً خطابياً على المرسل إليه بتوجيهه إلى مصلحته أو إبعاد الضرر عنه، ومن أجل ذلك لا بد أن تتوفر مقومات لدعم عمليات التوجيه منها؛ سلطة المرسل، ويتجلى هذا التنظيم في الخطاب فيما يعرف تداولياً بـ"الاستراتيجية التوجيهية".

1. مفهوم الاستراتيجية التوجيهية:

هي استراتيجية خطابية يسعى فيها المخاطب إلى تبليغ قصده وتوجيه المخاطب إلى الأخذ به دون مراعاة للعلاقات بينهما، ودون الاكتراث إلى بقائها أو انقطاعها، إذ يشكل تبليغ الرسالة الهدف الأسمى من الخطاب، ونجدها غالباً في خطاب النصيح والتحذير، ... فالمرسل يهتم فيها بتبليغ قصده وتحقيق هدفه من الخطاب، مع عدم الاكتراث بالجانب التأديبي التواصلية⁽¹⁾، الذي لا يكون مناسباً للسياق من خلال استخدامه للآليات اللغوية التي تحتوي في أصلها على ذلك، ويُرجع بعض الباحثين سبب تبني المرسل لهذه الاستراتيجية إلى رغبته في توجيه المتلقي نحو ما يعود عليه بالنفع، وفي الوقت نفسه تجنيبه ما قد يسبب له الأذى أو الضرر.⁽²⁾، فيحاول بذلك المتكلم التأثير في المخاطب للقيام بفعل شيء في المستقبل⁽³⁾.

ولكي يتحقق لهذه الاستراتيجية فعلها التوجيهي في النظام اللغوي، لابد أن تتوفر على مقومات لدعم عملية التوجيه منها: ⁽⁴⁾

⁽¹⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص322.

⁽²⁾ ينظر: المرجع نفسه.

⁽³⁾ ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت-لبنان ط1، 1993، ص234.

⁽⁴⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص324، 325.

-سلطة المرسل؛ لأنها تمثل الأداة التي يعبر من خلالها المرسل عن مقصده، وتُسهّم في تحقيق الغاية من الخطاب، إذ أن العلاقة السلطوية عامل مهم لنجاح فعل التوجيه، وتندرج طبيعة هذه العلاقة بين طرفي التخاطب من اختلاف واضح إلى تقارب كبير وملموس.

-جهة المنفعة الإنجازية؛ باتجاه أحد المتخاطبين، وقد تكون عائدة على المتلقي وحده.

ويتم التوجيه بأفعال لغوية صريحة تنتظم صراحتها في مستويين: (1)

-المستوى الأول: استعمال الآليات المعروفة بنيابتها عن الفعل المعجمي مثل فعل الأمر: (اسكت).

-المستوى الثاني: استعمال الفعل اللغوي الصريح كما في الأمر (أنا آمرك أن تسكت)، أو باسم الفعل ذاته مثل: (صه)، والفعل أقوى صراحة للدلالة على الأمر من اسم فعله.

ويمثل استعمال مستوى الصراحة الثاني تدنيا في مراعاة العلاقة مع المتلقي نتيجة موقعه السلطوي، فيؤكد له من خلالها أن قصده هو الأمر تحديدا وليس غيره، فتقع الاستراتيجية التوجيهية تحت ما يسميه (براون ونفسون) بالاستراتيجية التصريح الخالية من الأدوات التي تنعم الخطاب غالبا (2).

وبناءً على ما سبق، يمكن تعريف الاستراتيجية التوجيهية بأنها: طريقة خطابية يعتمدها المرسل بهدف نقل توجيه صريح إلى المتلقي، يدعو فيه إلى تنفيذ فعل معين في المستقبل، وغالباً ما تكون هذه الرسالة مباشرة، دون اعتماد كبير على التلميح أو الاعتبارات التضامنية، إذ يطغى عليها الطابع الإخباري المباشر المختصر (3).

2. مسوغات استعمال الاستراتيجية التوجيهية:

توجد مجموعة من المسوغات التي ترجح استخدام استراتيجية التوجيه وهي (4):

1-اختلاف السمات الشخصية أو الاجتماعية بين الطرفين، مما يجعل التواصل متكافئاً أمراً

(1) ينظر: ابن جني: الخصائص، ج3، ص269.

(2) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص327.

(3) ينظر: جيلي هدية: استراتيجيات الخطاب القرآني، ص101.

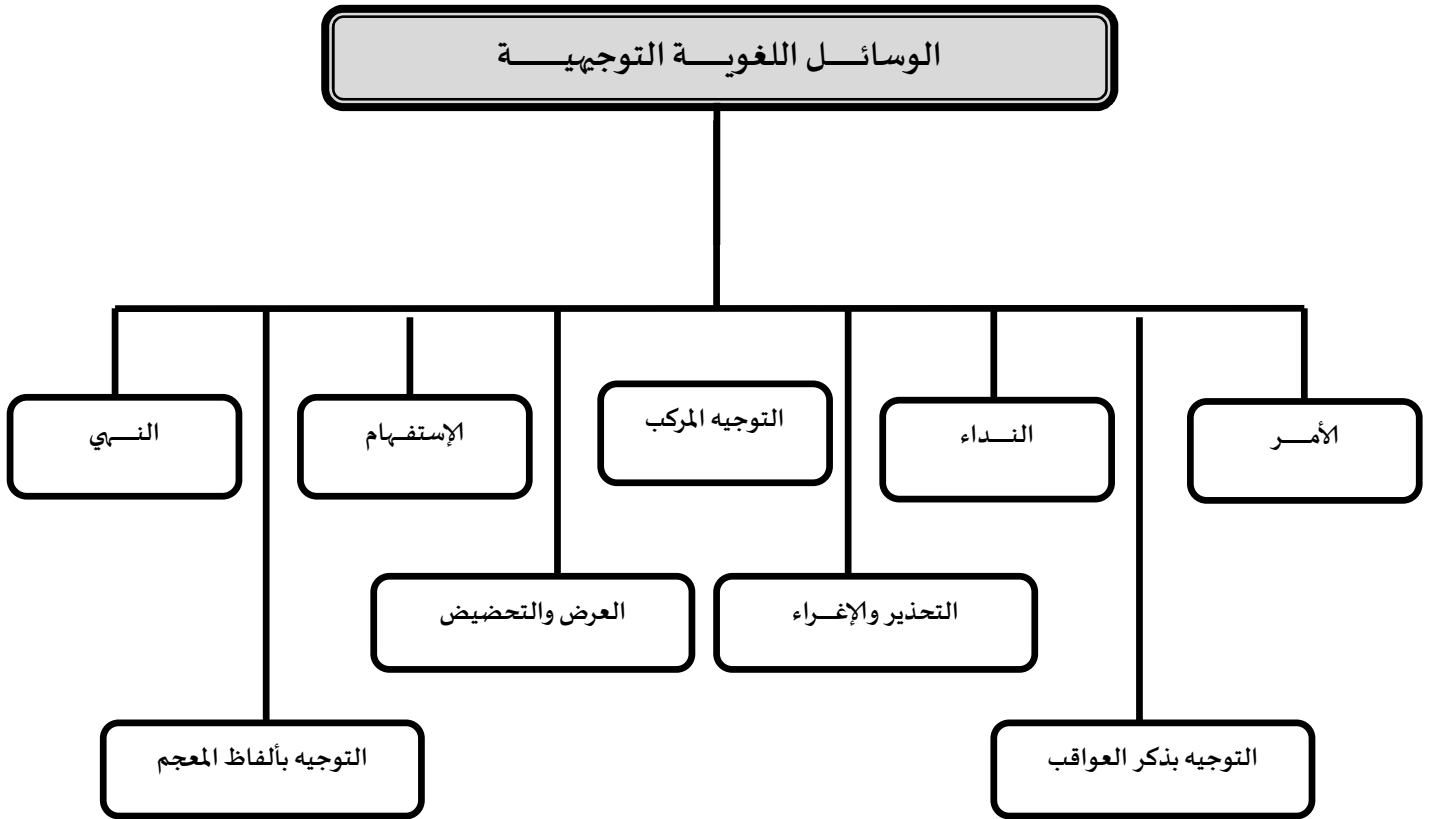
(4) ابن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص328، 329.

صعبًا.

- 2- نعدام التواصل المتكرر بينهما، وهو ما يضعف الروابط التفاعلية ويحد من اعتماد الأساليب التعاونية.
- 3- شعور المرسل بوجود تفاوت معرفي أو ذهني بينه وبين المتلقي، يجعله يرى أن التوجيه المباشر أكثر فعالية.
- 4- إغفال البعد الانفعالي أو العاطفي للمرسل إليه، باعتبار أن تحقيق الهدف أولوية تتقدم على مراعاة المشاعر.
- 5- محاولة إعادة التوازن في العلاقة حين يشعر المرسل بأن المرسل إليه قد تخطى ما يُعد مقبولا في سلم المراتب.
- 6- سعي المرسل إلى تأكيد مكانته الاعتبارية، من خلال خطاب يُبرز سلطته أو تفوقه.
- 7- حرصه على تحقيق الغاية من الخطاب بأعلى درجات الإنجاز، دون تأخير أو تأويل.
- 8- رد فعل على موقف عدائي أو متجاوز من المرسل إليه، كأن يكون قد تحدى الأوامر أو خالف التعليمات أو أساء بشكل واضح، مما يفرض ردًا صارمًا.
- 9- ملاءمة طبيعة الموقف التفاعلي لاعتماد خطاب توجيهي مباشر، خاصة في السياقات التي تتطلب الحسم والوضوح مثل القرارات الإدارية أو التربوية أو السياسية.

المبحث الثاني: الوسائل اللغوية التوجيهية:

أمدّت اللغة المرسلَ بجملة من الأدوات التعبيرية التي يستعين بها لبناء خطابه التوجيهي، وتأكيد قدرته على التحكم في أدوات اللغة وآليات التأثير بها، وتُعد الأفعال الكلامية الإنشائية إحدى أبرز هذه الأدوات، حيث تُفَعَّل داخل الخطاب لأداء وظائف متعددة كالطلب، والنهي، والاستفهام، والتحذير، والإغراء، والنداء... وغيرها، وفيما يلي سيتم عرض مخطط توضيحي يبرز بعض الوسائل اللغوية التي تركز عليها الاستراتيجية التوجيهية في الخطاب.



مخطط رقم 02

1. الأمر:

يُعد "الأمر" من أبرز أساليب الطلب في اللغة، ويُقصد به دفع الطرف الأدنى رتبة إلى إنجاز فعل معين، حيث يصدر الطلب من موقع سلطة أو تفوق، يتضمن حثاً مباشراً وتحفيزاً على التنفيذ⁽¹⁾، وفي ما يخص اللسانيات الحديثة وبلغة التداوليين، هو فعل كلامي من فئة التوجيهيات (directives) حسب تصنيف "سيرل" لأفعال الكلام يحمل قوة إنجازية، تحددها إرادة المتكلم وقصده، وهي إرادة متعلّقة بطلب إيقاع الشيء المأمور به⁽²⁾، ويذهب "أوستن" إلى أنه من أرجح ما يفهم من دلالة الأمر أنه يشير إلى الإلزام، إذ يُستدل من التلفظ بصيغته على وجوب تنفيذ المطلوب⁽³⁾، إن الإلزام في صيغ الأمر لا يفهم بوصفه مسألة لغوية بحتة، بل هو أمر تداولي يتحدد أساساً بمكانة المرسل ومرتبته، فهي التي تمنح صيغة الأمر طابع الوجوب، وحينما تفقد الصيغ الأمرية شرط الاستعلاء فإنها تخرج إلى معانٍ توجيهية أخرى، كالتمني والدعاء والتضرع... إلخ، وهذه معان توجيهية غير إلزامية⁽⁴⁾، لهذا ذهب العلماء إلى أن تحقق الوجوب في الأمر متوقف على توفر شرطين أساسيين؛ وجود الصيغة الدالة على الطلب، وتوفر سلطة المتكلم، وقد بيّن "السكاكي" هذا المعنى حين أوضح أن الطلب الصادر بصيغة تفيد الاستعلاء يُفضي عادة إلى الإلزام بالفعل، لا سيما إذا جاء من طرف أعلى رتبة من المخاطب، ففي هذه الحال تُفهم الصيغة على أنها موجبة للفعل، أما إذا انتفى هذا الشرط، فإنها لا تفيد أكثر من مجرد الطلب⁽⁵⁾.

أشار علماء اللغة إلى أن التعبير عن "الأمر" في اللغة العربية يتم من خلال أربع صيغ رئيسية، وهي: صيغة فعل الأمر الصريح، والفعل المضارع المسبوق بلام تدل على

(1) ينظر: عبد الفتاح فيود بسيوني: علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، المختار للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر ط4، 2015، ص356.

(2) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص115.

(3) ينظر: أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة-كيف ننجز الأشياء بالكلام-، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، د.ب، د.ط، 1991 ص91.

(4) ينظر: لمى عبد القادر خنياب: الاستراتيجية التوجيهية في سورة مريم دراسة في ضوء تداوليات الخطاب، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ع24، 2017، ص08.

(5) ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه: نعيم زوزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 1978، ص318، 319.

الطلب، واسم الفعل الذي يُستخدم في مقام الأمر، بالإضافة إلى المصدر الذي يُستعمل بدلاً عن فعل الأمر⁽¹⁾.

ولأن "الأمر" يعد من أهم الأساليب التي يستعملها المرسل في الاستراتيجية التوجيهية فقد استعان به "أبو حمو" بكثرة في كتابه (واسطة السلوك) وبصيغته المختلفة، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من وصايا أخلاقية، دينية، سياسية...، مستخدماً فيها أسلوب "الأمر" الذي يخرج غالباً إلى التوجيه والإرشاد، والتوجيه هو تلك العملية المخطط لها بوعي وعناية تامة، والتي تسعى إلى مساعدة الفرد لتشجيعه للتعرف على نفسه وفهم ذاته، وحل مشكلاته، للوصول إلى أهدافه⁽²⁾، فالكاتب دائم النصح والتوجيه لابنه وولي عهده، ومن تلك الوصايا باستعمال صيغة "افعل" لإصدار الأمر؛ وهي ذات طبيعة توجيهية مباشرة قوله: (3)

"يا بني البس ثياب العفة، وارثد برداء الوقار، وتتوج بتاج الحياء، وتزيّ بزّي السكينة وتقلد بصارم العدل، وتحل بحلية الكرم، وتختم بخاتم الهيبة".

الخطاب موجه من "أبي حمو" إلى ابنه، مستعملاً فيه صيغة فعل الأمر الصريح "افعل" بكثرة وهي (البس، ارتد، تتوج، تزيّن، تقلد، تحل، تختم)، والملاحظ من هذا التكتيف لهذا النوع من البنى الأمرية أن خطابه يتضمن توجيهات هامة، تتمثل في توجيه ابنه للاتصاف بالعفة وملازمتها حتى تكون له بمثابة اللباس الذي يرتديه ويستتره، والعفة تعني "كف النفس عن المحارم وعما لا يُجمل بالإنسان فعلة"⁽⁴⁾، كما ينصحه بالتحلي بخلق الوقار فيجعله رداء يتجمل به، كما يطلب منه التزيّن بصفة الحياء والتخلق بها، وأن يجعلها تاجاً يزيّن به رأسه، "قال ﷺ: (الحياء لا يأتي إلا بالخير) فهو يمنع صاحبه من ارتكاب القبائح والمنكرات ويردعه عن الفواحش"⁽⁵⁾، لأن السكينة تُعد من خصال النفس المطمئنة،

(1) ينظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: البلاغة العربية (أسسها، وعلومها، وفنونها)، دار القلم، دمشق-سوريا، ط1، 1996، ج1، ص228.

(2) ينظر: عبد الله الطراونة: مبادئ التوجيه والإرشاد التربوي، دار يافا التعليمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009، ص12.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص23.

(4) يحيى بن سليمان العقيلي: العفة ومنهج الاستغفار، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1989، ص95.

(5) المرجع نفسه، ص125.

نجد "أبو حمو" يوجه نصيحته لابنه بأن يجعلها سمةً ملازمةً له، كأنها لباس يليق بالمقام ويعبر عن راحة العقل وسداد الرأي، والملاحظ في هذا الخطاب تكرار فعل الأمر الذي يثير نفس المتلقي، ويكسب النص إيقاعاً خاصاً يتسق مع الدلالة التي يهفو الكاتب إليها؛ وهي توجيهات يجب أن يجد أثرها في ابنه، كما تعكس لغة "الأمر" بصيغة "افعل" على الموقع السلطوي للمرسل على المرسل إليه لتحقيق المراد من التأثير النفسي.

نموذج آخر من نماذج صيغة فعل الأمر "افعل" في قول "أبي حمو": (1)

"يا بني، جالس الفضلاء، وشاور العقلاء، وخذ الرأي مع النصحاء، واقتد بذوي التجارب النبلاء، وجانب مجالسة الجهلاء، فإنه من أخذ الرأي مع من لا يفقه الحديث كمن قدم الطرف للبهائم".

استعمل الكاتب "الأمر" بصيغة "افعل" وبصفة مكررة أيضاً في قوله (جالس، شاور خذ، اقتد جانب)، وذلك لإصرار المرسل على تثبيت المعنى وترسيخه عند المتلقي فالتكرار لسان العرب يلجأ المرسل له في الغالب من أجل التوكيد (2)، وله وظيفتان؛ جمالية وأخرى دلالية، أما الدلالية فتتمثل في إرشاد ابنه نحو سبيل بر الأمان، من خلال مجالسة ومشاورة النبلاء وذوي التجارب، والابتعاد عن الجهال ومجالسهم، فمن وصايا "لقمان" لابنه: "يا بني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء" (3)، وأما الجمالية فتتمثل في إنشاء إيقاع موسيقي يعين على تتبع المعنى، ويزيد الشيء المكرر تميزاً عن غيره في نفسية المتلقي، وعليه نجد في هذا الخطاب توجيه صريح يريد من خلاله المرسل -أبو حمو- تحقيق فعل ما في نفس المرسل إليه -ابنه- وهو النصح والإرشاد والوعظ.

وقد ورد "الأمر" في المدونة أحياناً على سبيل الحقيقة ليُحمل المخاطب على تنفيذ المأمور به، وأحياناً أخرى جاء على سبيل المجاز، بحيث انحرف عن معناه الأصلي

(1) -أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص85.

(2) -ينظر: ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة-مصر، ط2، 1973، ص235.

(3) -الزرقاني محمد بن عبد الباقي: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر ط1، 2003، ج4، ص638.

ليكتسب معاني فرعية متعددة تتحدد بناءً على سياق الكلام والقرائن المصاحبة له، وقد خرج أسلوب "الأمر" عن معناه الأصلي (الوجوب)، إلى معانٍ مستلزمة كثيرة في خطاب الكاتب؛ منها: الدعاء والذي يكون على سبيل التضرع والمناجاة، ونجد ذلك في شدة انشغال "أبي حمو" بالتفكير بالدار الآخرة الأمر الذي جعله يبلغ درجة الورع في مناجاة ربه، والتعلق برسوله الكريم قائلاً: (1)

إِلَهِ هَبْ لِي مِنْكَ عَفْوَاً وَرَحْمَةً فَمَازِلْتُ يَا مَوْلايَ تُبَلِّغُنِي الْقَصْدَا
وَعَبْدُكَ مُوسَى لَمْ يَزَلْ فِيكَ رَاجِياً وَمِنْ شَيْمِ الْمَوْلى أَنْ يَرْحَمَ الْعَبْدَا
تَوَسَّلْتُ بِالْمُخْتَارِ مَنْ آلِ هَاشِمٍ أَجْرَنِي مِنَ النَّارِ الَّتِي أَضْرَمْتُ وَقْدَا

يناجي الشاعر ربه ملتئماً منه الرحمة والعفو والمغفرة، راجياً منه أن يبلغه مقصده، وهو على يقين بأن الله عز وجل رؤوف بعباده، متوسلاً بإياه بأحب خلقه محمد ﷺ ليجنبه نار جهنم التي التهمت سعيراً، فغرض الأمر هنا الدعاء لا غير، لأن الخطاب كان من الأدنى إلى الأعلى، ووضع المرسل هنا كان الدليل الراضخ الباحث عن سبيل النجاة خوفاً من المرسل إليه -الله جل جلاله-، فأسمى الأهداف أن ينال المؤمن رضا الله تعالى، وأن تكون له الصلوات والرحمة من خالقه سبحانه وتعالى (2).

في اللغة العربية، عند الرغبة في إعطاء أمر لشخص غائب أو التحدث عن أمر مستقبلي، يتم استخدام صيغة المضارع المقترن بـ "لام الأمر" (مثل "لِفْعَلْ"). هذه الصيغة تُستخدم للإشارة إلى أمر مُحتمل أو مستقبلي، وبالتالي تُحقق فاعلية في التعبير عن الأمر دون أن تكون موجهة مباشرة للمخاطب، بل يمكن أن تشمل الغائبين أو تكون ضمن حديث عن المستقبل. هذه الصيغة توسع نطاق فعل الأمر لتشمل الأزمان أو الحالات التي يتعذر فيها استخدام فعل الأمر المباشر، حيث ذهب (سبويه) إلى أنه إذا كان الأمر للغائب فإنه يؤمر بالفعل المضارع المسبوق بلام الأمر، فيكون لمنزلة "افْعَلْ" للمخاطب، نحو: زيدا ليضره عمرو، وبشراً ليقْتُلْ أباه بكرٌ لأنه أَمُرٌ للغائب بمنزلة افْعَلْ للمخاطب (3)، ويسمى

(1)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 199، 200.

(2)- ينظر: الشعراوي: التوبة، ص 124.

(3)- سبويه عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار التاريخ، لبنان، ط6، دت، ج1، ص 137.

"صاحب المغنى" اللام العاملة للجزم باللام الموضوعية للطلب⁽¹⁾، أي يطلب بها إحداث فعل ما.

ومن أمثلة استعمال "أبو حمو" الصيغة الثانية الصريحة للأمر "لِيَفْعَلْ في المدونة خطابه الذي يوجه فيه ابنه إلى الأناة والروية في الأمور، وعدم ركوب العجلة لأنها تورث الزلل، فلا شيء يعدل التآني، لأن من تآنى نال ما تمنى، يقول في ذلك: (2)

"يا بني، وإذا قربت من عدوك فلا تجعل عليه بالحيلة، ولتأخذ في أمرك بالتآني والمهلة، فإنه لا بد لكل دفعة من رجعة، ولكل كبوة من رفعة، وليكن انتهاضك إلى عدوك زحفاً، فإنك ترهبه خوفاً ورجفاً، فإن أبطالك تقاتل بين يديك معتمدة في قتالها عليك، فإن انهزم العدو وفر أمامك ونلت من هزيمته مرامك، فلتبادر من فورك إليه، ولا تمهل من مسيرك عليه، ولتكن خلفك محلتك وأثقالك، وأسبابك وأموالك، ولتصل في أثره مسيرك في ليالك ونهارك حتى تنال من عدوك غاية اختيارك".

في هذا المقطع، استخدم الكاتب خمسة أفعال مجزومة بلام الأمر، أربع منها موجهة إلى المخاطب المفرد، وهي: "لتأخذ"، "لتكن"، "لتبادر"، "لتصل"، بينما الفعل الخامس "ليكن" موجه إلى ضمير الغائب، هذه الصيغة هي من الصيغ التي تستخدم للتوجيه أو الطلب من المخاطب، وتبين كيفية تغير الحركة الإعرابية للام وفقاً للسياق اللغوي الذي ترد فيه، ويوحى الفعل مع لام الطلب للوهلة الأولى بشدة الأمر غير أننا حين نلتمس المعنى نجده مختلفاً، فطلب الأخذ بهذا الطرح يوحي عن مدى حرص الكاتب وخوفه على ابنه وإرشاده إلى ما فيه منفعة وصلاح له، وكما هو معلوم أن خروج الأمر في الخطاب إلى التوجيه لا يتحقق بمجرد التلفظ به، وإنما يجب أن يقترن بسلطة المرسل، ولا يقصد بالسلطة هنا بمفهومها الضيق، فتوسعت اللام لتشمل كل ما يمتلكه المرسل من علم ومعرفة، مما يعزز من مكانته ويزيد من رتبته، ويأتي توجيه الكاتب لابنه كونه والده وسيد قومه ويعي بنصيحته، بفضل تجاربه العميقة التي اكتسبها من كثرة المواجهات ضد المرينيين والحفصيين، ونجاحاته

(1) - الأنصاري جمال الدين بن هشام: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت-سوريا د.ط، 1991، ج1، ص249.

(2) - أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 158.

العديدة إلى جانب بعض الانكسارات التي أثرت في خبرته، قدم "أبو حمو" هذه التجارب لابنه وللأساسة من الملوك. فكان يبرز في سياق حديثه صور الكرّ والقرّ، ويجمع بين الحكمة والفتنة مع الشجاعة في خوض الحروب.

يعتبر "اسم فعل الأمر" من الصيغ المستخدمة في اللغة العربية للتعبير عن الأمر، ويُعرف بأنه ألفاظ تدل على معنى الفعل دون أن تحمل جميع علامات الفعل الأصلية، و من أبرز الأمثلة على ذلك "صه"، التي تستخدم بمعنى "اسكت" ⁽¹⁾، يقول في ذلك: ⁽²⁾

"يا بني، وأما أعوانك فلتتخير لنفسك عونا تجعله مقدما على أعوانك، ومنصرفا في أمور سلطانك يصرف شرطه بين يديه فيما لا يمكن توصله إليه، ويتولون الانتقام ممن سخطت عليه".

استخدم الكاتب حرف الجر (على) متصلا بضمير المخاطب (الكاف) لأداء معنى الأمر، فعبرة (عليك بالجد والإيثار) بمعنى الزم الجود والإيثار، والأمر نفسه في (عليك بالتقوى والحلم)، أي الزم التقوى والحلم، إذ إنّ شبه الجملة من الجار والمجرور تعتبر من أدوات التوجيه وتستعمل للأمر بالاعتماد على الخلفية اللغوية المشتركة بين المتخاطبين، والتي تمكّنهم من فهم تراكيب الجمل الكاملة ⁽³⁾، وكذلك تُساهم التداولية في الوصول إلى التفسير المناسب للخطاب وفهم المقصود منه بدقة ⁽⁴⁾، فأبو حمو يدرك أن ابنه يملك معرفة باللغة ويفهم قصده، والغرض من استعمال "أسماء أفعال الأمر" هو الإيجاز والاختصار وأحيانا المبالغة، وقد عد "ابن هشام" "عليك" من أساليب الإغراء، ... ويفسّر اللغويون والنحاة بما يقترب من معنى: الزم، احفظ، خذ" ⁽⁵⁾.

ومن أدوات التوجيه بـ"الأمر" أيضا في اللغة العربية؛ الأمر بـ "المصدر النائب عن فعل الأمر"، والمقصود هو استخدام المصدر بدلا من فعل الأمر، بحيث يأخذ وظيفته ويدل

⁽¹⁾ ينظر: عبد المطلب: الجديد في الأدب، بلاغة، قواعد، عروض، دار الشريعة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر. د. ط، 2012، ص22، 23.

⁽²⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص190.

⁽³⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص348.

⁽⁴⁾ ينظر: المرجع نفسه.

⁽⁵⁾ محمد عبد الله جبر: أسماء الأفعال وأسماء الأصوات في اللغة العربية، دار المعارف، د. ب، د. ط، 1980، ص253.

على نفس المعنى، ومن الأمثلة على المصادر التي جاءت في موقع الفعل: (سعيًا في سبيل الخير) ⁽¹⁾؛ أي اسعوا في سبيل الخير. يقول "أبو حمو" ⁽²⁾:

زَمُّوا إِلَى زَمَزَمَ وَالْقَلْبُ يَتَّبِعُهُمْ وَالصَّبْرُ بَغْدَهُمْ عَنِي لَقَدْ عَزَبَا
وَحَلَفُونِي بِغَرْبِ مُغْرَمًا بِهِمْ أَشْكُو لَهُمْ وَبِهِمْ مِنْ عِبْرَتِي عَجَبَا
فَقُلْتُ يَا حَادِيَا وَالرَّكْبُ يَسْمَعُنِي رِفْقًا عَلَى الصَّبِّ يَا حَادِيَهُمْ فَأَبَى
مَزَجْتُ دَمْعِي دَمًا مِنْ بَعْدِ رَحْلَتِهِمْ فَأَنْظُرُ تَرَى عَجَبًا لِلدَّمْعِ مُخْتَضِبَا

في قول الشاعر (رفقا) ناب عن فعل الأمر (ارفق بـ)، وهي توصية من عند الشاعر لسائق الإبل الذي يغني لها كي يحثها على السير، أن يرفق بالمشتاق الولهان العاشق لقبر رسول الله مستعطفا إياه كي ينتظره، إلا أن حادي العيس رفض التوقف ومضى في دربه، تاركًا خلفه قلبًا تملّكه الحنين وأضناه الشوق، وهذا المصدر يدل على طلب الفعل الذي جاء بهذه الصيغة فما يميز هذا الاستخدام أنه يقوم على إيجاز في بنية المصدر ⁽³⁾، إذ أن (رفقا) أوجز من (ارفق بـ)، وهذا لتيسير التلفظ به عند التخاطب، فـ "لـ" المصدر النائب عن فعل الأمر "دلالة على الاختصار مع إعطاء معنى التوكيد، ويرى الدكتور "تمام حسن" إن استخدام المصدر يختلف عن الفعل من حيث كونه لا يعبر عن الطلب المحض مثل صيغة الأمر، بل يضيف إليه بُعدًا انفعاليًا وتعبيريًا، يتضمن الحث والتحفيز على الفعل، وهو ما لا يتوفر في صيغة الأمر المباشرة ⁽⁴⁾.

والى جانب "صيغ الأمر" المذكورة سابقا، قد يستعين المخاطب في توجيه أمره أيضا بـ "اللفظ الصريح لفعل الأمر"، لأنه من الوسائل اللغوية للتعبير عن الأمر، كأن يستخدم المتكلم اشتقاقا جذر (أمر) بصيغ متعددة، دون أن يقتصر على شكل لغوي محدد أو زمن واحد ⁽⁵⁾، يقول الكاتب: ⁽⁶⁾

⁽¹⁾ ينظر: أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تحقيق: محمد التتويجي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، د. ط. د. ت، ص 71.

⁽²⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 197، 198.

⁽³⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 346.

⁽⁴⁾ ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 224، 225.

⁽⁵⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 346.

⁽⁶⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 24.

"يا بني، إنَّ الملك خليفة الله في أرضه، الموكَّل بإقامة أمره ونهيه، قلَّده بقلائد الخلافة وجعله حصناً منيعاً لذوي المخافة، وأمره بإقامة الشرائع، وسد الذرائع، ليقيم قسطاس الحق، في رعاية الخلق، وأتاه الله من ملكه، وجعل الرعية إِيالته وملكه، فإن أطاعه في ما قلَّده به، وأنفذ الحق في حكمه ومذهبه، دام له الملك، ونجا من الهلك، وإن خالف الحق وآل إلى التقصير، لم يكن له من ولي ولا نصير".

رغب المرسل في إيصال رسالة واضحة إلى ولي عهده، مفادها أن ما تحت سلطانه ليس ملكاً شخصياً يتصرف فيه كما يشاء، بل هو مسؤولية ائتمنه الله عليها، وسيُحاسب عنها يوم القيامة بين يدي الله عز وجل. فالله - جلَّت قدرته وعلت كلمته - يهدي السلطان إلى البصيرة ليرى الأمور على حقيقتها، ويجعله حريصاً على آخرته، مُحسناً إلى خلق الله ورعيته. إذ إن بين أفراد رعيته آفاقاً من البشر، فإن عدل فيهم صاروا شفعاء له يوم الحساب، ومن شفع له المؤمنون نجا من العذاب. أما إن ظلمهم، فسيكونون خصومه، وحينها يعظم خطره، وتشتد عاقبته⁽¹⁾، والشاهد في هذا المقطع الصيغة الدالة على الوجوب التي جاءت على لسان الكاتب، والأمر في هذا الخطاب هو الله في قوله (وَأَمْرُهُ بِإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ).

إلى جانب الألفاظ والصيغ المباشرة التي تعبّر عن الأمر، توجد أيضاً تعبيرات أخرى يستخدمها المتكلم لتعزيز هذا المعنى، وهي ما يُعرف بالألفاظ الوجوب وما يُشابهها في الدلالة، وقد أشار الإمام الغزالي إلى هذا المعنى حيث اعتبر أن الألفاظ مثل: (أمرتكَ)، تتنوع بين ما يدل على الإيجاب وما يدل على النذب؛ فمثلاً يدل على النذب قولهم: (ندبتك) أو (رغبتك) أو (افعل، فهو خير لك)، بينما تفيد الوجوب ألفاظ مثل (أوجبت عليك)، (فرضت عليك)، (حتمت عليك، فافعل، فإن تركت فأنت معاقب)، وتُعدّ هذه التعبيرات - بحسب الغزالي - من صيغ الأمر، لا سيما في الخطابات الرسمية أو التعليمات الحازمة، حيث يُقصد التأويل، ويحدّد من احتمال إساءة الفهم من قبل المتلقي⁽²⁾، يحث الكاتب ابنه على ضرورة حسن اختيار وزرائه، مؤكداً أن مكانة السلطان وسمعته ترتفع إذا كان الوزير

(1) ينظر: الغزالي أبو حامد محمد: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ضبطه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط1، 1988، ص42.

(2) ينظر: الغزالي أبو حامد محمد: التبر المسبوك، ص348.

صالحاً، عادلاً، وأميناً؛ ذلك أن الملك لا يستطيع إدارة شؤون الحكم بمفرده، بل يحتاج إلى وزير يعينه على تدبير أمور دولته (1)، فقال في ذلك: (2)

"فأما وزراؤك يا بني، فيجب عليك أن تختار وزيرا كبيرا مهذبا خبيرا بالأمور بصيرا يجمع من محمود الخصال ثمانية من الخصال، وهي، أن يكون من خيار قومه وعترته وكبير عشيرته وبيته، وأن يكون وافر العقل، عاريا عن الجهل، حاضر الذهن، سريع الذهن راجح الرأي محمود السعي، محبا ناصحا، ودودا صالحا، شجاعا في المهمات وعند نزول الملهمات. حسن الصورة فصيح اللسان، بديع العبارة، بليغ البيان، كثير المال، غير ذي حاجة ولا إقلال".

الأمر واضح في هذا المقام الذي أراد من خلاله المرسل-أبو حمو-أن يؤكد للمرسل إليه -ولي عهده-الأمر وضرورة الالتزام والقيام به، من خلال توجيهه إلى أن يكون حريصا في اختيار وزرائه بأن يكونوا جامعين لمجموعة من الخصال الحميدة لأن ملازمة أصحاب الأخلاق الفاضلة، "تُعَدّ المحاكاة من أقوى الوسائل في ترسيخ مكارم الأخلاق وغرسها في النفوس، إذ يميل الإنسان بطبعه إلى تقليد من يحيطون به"(3)، إن صحبة أصحاب الدين والعقل والمروءة تُعد من أبرز دلائل التوفيق الإلهي والهداية، فإذا وُفّق الإنسان لمرافقتهم، فذلك مؤشر على صلاح مساره (4)، وقد وظف "لفظ الوجوب" (يجب) للدلالة على أهمية الأمر، وأفعال التوجيه لا تستمد قوتها من البنية اللغوية للفعل فحسب إنما تستمد قوتها أيضا من سلطة المرسل، فالكاتب هنا يخاطب ولي عهده من مرتبة المسؤول، الذي يتحمل المسؤولية وما يمليه عليه الواجب، كل هذا يعطي للفعل الكلامي قوة ومصداقية، ويمكنه من استيفاء شروط الملائمة، مما يؤدي إلى نجاح الأفعال، ومن ثم يُحقق التوجيه فعاليته ويتحقق الفعل التأثيري متجسدا في امتثال المخاطب للطلب.

ويستمر الكاتب في توجيه ابنه إلى الطريق الصحيح ويحدد له المهام المنوطة له

(1) ينظر: الغزالي أبو حامد محمد: التبر المسبوك، ص83.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص60.

(3) ينظر: ابن تيمية محمد بن إبراهيم الحمد: الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة، دار بن خزيمة للنشر والتوزيع

الرياض- السعودية، ط1، 1997، ص44.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص45.

موظفا "الأمر بلفظ الوجوب" في قوله: (1)

"اعلم يا بني، أنه ينبغي لك أن تتخذ جيشا بقدر ما تحكم به بلادك، ولا يحملك الحرص على أن تكثر أعدادك، فليكن جيشك قدر ما يكفيه من المال، ولا تكن مفرطا لئلا يتعذر عليك الحال، لأنك إذا ضعف مالك وكثر جيشك كثر همك وتكد جيش وصار عليك جيشك أعوانا، وأصبحت لقلّة ذات يدك مهانا".

يعي الكاتب جيدا أهمية الجيش في البلاد، نتيجة خبرته الطويلة في ممارسة الحكم فنجده دائما حريصا عليه، ففي هذا المقطع يوجه ولي عهده إلى ضرورة الموازنة بين الجيش والبلاد التي تحت إمارته، وما يتوفر لدى السلطان من أموال تكفي جيشه حتى يتمكن من قيادته، يُطلب من السلطان أن يتحلى بالقوة في ذاته وفي تعامله مع غيره؛ فتكمن قوته الذاتية في تحليه بالحلم والصبر، بينما تظهر قوته على الآخرين من خلال شجاعته، وخبرته، واعتماده على مقومات القوة من الرجال والمال وسائر الوسائل (2)، يجب على كل من يتولى سلطانا، ومن ينوب عنه في شؤون العطاء، أن يلتزم بإعطاء كل ذي حق حقه دون جور أو تمييز (3) لقوله ﷺ: (أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم) (4)، فنجد الكاتب يستعمل في توجيهه اللفظ (ينبغي) فلم يحتاج في خطابه إلى اختيار صيغة محددة أو زمن ظرفي ما، فهو يهتم في توجيهه بالكلمة التي تناسب إستراتيجيته وتبليغ قصده، وعليه إنه يستعمل لفظ الوجوب تأكيدا على ذلك.

نموذج آخر يستعمل فيه الكاتب "الأمر بلفظ الوجوب" في قوله: (5)

"...لأنّ الوَزِيرَ لا بدّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ وَحُسَادٍ عَلَى مَنَزَلَتِهِ وَطَالِبِينَ لِمَرْتَبَتِهِ، فَيَحْتَاجُ بِهَا إِلَى التَّحَرُّزِ مِنْهُمْ بِحُسْنِ السِّيَاسَةِ فَهُوَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: خَوْفٌ مِنْ فَوْقِهِ وَهُوَ الْمَلِكُ وَمِنْ دُونِهِ

(1)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص145.

(2)- ينظر: ابن تيمية، السياسة الشرعية في رعاية الراعي والرعية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ب، د.ط، د.ت، ص35، 36.

(3)- ينظر: المرجع نفسه، ص42.

(4)- البخاري محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق-سوريا، ط05، 1993، ج3، ص1273، رقم الحديث3268.

(5)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص61.

ممن يَطْمَعُ فِي مَرْتَبَتِهِ، وَيَرْغَبُ فِي مَنْزِلَتِهِ....".

ومن "ألفاظ الوجوب" استعمال المرسل-أبو حمو-لفظة (لابد) بصورة توجيهية في عبارة (لأن الوزير لابد له من أعداء وحساد على منزلته)، لأن هذا الخطاب يتضمن قيمة هامة تفيد السامع في تسيير أموره السياسية ألا وهي دعوته إلى التحرز من الأعداء والحساد.

إن المقصد الحقيقي للأمر هو الوجوب والالتزام والمقاصد الأخرى تستفاد من السياق والقرائن، وهي مقاصد تداولية، تكمن في ذهن المتكلم وعلى المخاطب أن يكون على درجة من الوعي والفهم والإدراك لها.

2. النهي:

يعدّ النهي من الأساليب الإنشائية الطلبية، ويستخدم للدلالة على طلب الامتناع عن القيام بفعل ما بأسلوب يتسم بالاستعلاء، وقد عرّفه "العلوي" بأنه تعبير يُفيد المنع من الفعل بصيغة فيها سلطة أو توجيه، مثل: (لا تفعل!)، ويشمل جميع الصيغ التي تدل على الكفّ عن الفعل في مختلف اللغات⁽¹⁾، يندرج النهي أيضاً ضمن الأساليب التوجيهية، ويتقاطع مع الأمر في كونهما يندرجان تحت مظلة الطلب؛ إذ يُعبّر الأول عن طلب الفعل، بينما يدل الثاني على طلب الترك، . كما يشتركان في صدورهما من مقام سلطوي أعلى، مما يعني أن كليهما يتطلب سلطة من المتكلم تُحوّله إصدار التوجيه. وقد أشار المبرد إلى هذا المعنى، موضحاً أن النهي يشترك مع الأمر من حيث كونه طلباً، ويُعامل في بنيته النحوية معاملة قريبة من الأمر، رغم اختلاف الصيغة بينهما؛ فبينما تأتي صيغة الأمر الأساسية بصيغة (افعل)، يتم التعبير عن النهي باستخدام أداة واحدة هي (لا) الجازمة، كما في قولنا: (لا تفعل)⁽²⁾. أما تداولياً فإن "النهي" فعل كلامي يحمل قوة إنجازية يحددها السياق وإرادة المتكلم وقصده⁽³⁾.

(1) ينظر: العلوي علي بن إبراهيم: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر 1914، 1، ج3، ص258.

(2) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص349.

(3) ينظر: وناسة كرازي: أفعال الكلام في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، دراسة تداولية في موطأ الإمام مالك، دكتوراه، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر، 2017-2018، ص99.

وأسلوب "النهي" الطلبي من بين الآليات اللغوية التي أثبتت حضورها في كتاب (واسطة السلوك)، وهي كثيرة، منها خطاب الكاتب مع ابنه عن حفظ المال وطريقة التصرف فيه، فلا يحق لولاة الأمور التصرف في أموال العامة كما يفعل المالك في ملكه الخاص، إذ إنهم ليسوا أصحاب ملك، بل وكلاء وأمناء على تلك الأموال، يُفترض أن يتقيدوا فيها بما تمليه المصلحة والعدل. وقد عبّر النبي ρ عن هذا المعنى بقوله: (إني والله لا أعطي أحداً ولا أ منع أحداً، وإنما أنا قاسم أضع حيث أمرت)، مؤكداً بذلك أنه لا يتصرف بهواه، وإنما وفق ما أمر به من الله تعالى⁽¹⁾، حيث قال: (2)

"واعلم يا بني، أنه ينبغي لك أن لا تنفق مالك إلا في حقه، ولا تخرجه إلا في مستحقه، ولا تعطه إلا فيما يصلح عليك ويجلب المنفعة إليك، ولا تسرف فيه في لذات دنياك، ولا في زخارف لا توصلك إلى هواك كالخروج عن الحد في الزينة واللباس، والبناء المفرط الخارج عن القياس، فإن خير الأمور أوسطها وأحسنها أوفقها وأضبطها".

في هذا الخطاب متوالية من الأفعال الكلامية بصيغة "النهي"، (لا تنفق، لا تخرجه، لا تعطه، لا تسرف، لا توصلك)، وقد عمد المرسل-أبو حمو- إلى استعمالها لحرصه الشديد على توجيه المرسل إليه -ابنه- إلى الحفاظ على ماله، ولا يتم الحفاظ عليه إلا إذا تجنبها، فخرج بذلك أسلوب "النهي" إلى الإرشاد والنصح بعدم تبذير الأموال في أمور لا تنفعه، لأنه تُشبه المجتمعات في نظامها الأخلاقي بالسوق؛ فهي "ينبغي على ولي أمره أن يعرف أنه تجتذب ما يروج فيها ويُقبل عليه الناس. فإن كان الرائج فيها الصدق، والعدل، والبر، والأمانة، سادت هذه القيم، وإن شاع فيها الكذب، والظلم، والخيانة، والفجور، انجذب الناس إليها أيضاً، ومن هنا تبرز مسؤولية ولي الأمر، الذي يجب عليه أن يجمع المال من مصادره المشروعة، ويوزعه على مستحقه بعدل، دون منع أو تمييز⁽³⁾، وفي قوله: (4)

"اعلم يا بني، أن العقل راحة النفس فاجعل عقلك راحة نفسك، وجالب أنسك، واجعل العقل ميزان رأيك، والفكرة مرآة عقلك، واعلم أن الدنيا متقلبة فلا تغتر بغرورها، ولا تطمئن

(1) ينظر: ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص 44.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 145.

(3) نفسه، ص 45.

(4) نفسه، ص 26.

لسرورها، ولا تفرح لها إذا أقبلت، ولا تحزن عليها إذا أدبرت".

وردت في المقطع مجموعة من النواهي بصيغة "لا تفعل" (لا تغتر، لا تطمئن، لا تفرح، لا تحزن)، وبما أن أبا حمو كان ينظر إلى ابنه باعتباره الحاكم المستقبلي، فقد حرص من خلال وصاياه على ترسيخ أهمية العقل، والتنبيه إلى ضرورة التحلي به، إدراكاً منه لدوره الجوهري في القيادة الرشيدة واتخاذ القرار، فعزة المرء وصلاح أحوال دنياه وآخرته بالعقل وتمامه، وللعقل أربع علامات تميزه عن سواه، تجاوزه لمن ظلمه، والتواضع لمن دونه، والتسابق لفعل الخير لمن أعلى منه، وذكر ربه دائماً وأبداً، وإذا وقع في محنة لجأ إلى الله⁽¹⁾، كما أوصاه بآلا يغتر بزينة الدنيا ومظاهرها الجذابة، حتى لا ينشغل بها عن الآخرة الباقية ونعيمها الدائم، إدراكاً منه بأن التعلق بالدنيا قد يُلهي عن الغاية الحقيقية للإنسان.

ويذكر "المبرد" أن أداة النهي هي (لا) وتستعمل للفعل الغائب والمخاطب، كقولك: لا يقف عمر، ولا تقفي يا هند، والفعل يأتي بعده مجزوم به⁽²⁾، وقد وردت في المدونة دخول (لا) الناهية على الغائب في حديثه عن العفو، فعلى السلطان أن يع عظمة هذا الخلق الفضيل وما يدخره لصاحبه من ثواب جميل، إذ يعتبر من أخلاق السيادة التي تتأكد بها قوة المؤمن... ويثبت بها نبله، ولا يكتمل نبل الإنسان إلا إذا اتصف بخصلتين أساسيتين: التعفف عما في أيدي الآخرين، والتسامح معهم في أخطائهم، فبهما يسمو خلقه ويتحقق مروءته⁽³⁾،

يقول في ذلك "أبو حمو":⁽⁴⁾

"أن يعفو الملك عن يستحق العفو ومن لا يستحق العفو، فهذا عفو غير محمود، لأن من الجرائم جريمة لا يحسن العفو فيها لأحد من عثار، وكذلك هتك الأستار لأن ذلك في جنابك هضم، وقلة قدرة وعجز ووصم، وذلك مما يؤدي إلى جور الوزراء ومد اليد من الحجاب والكبراء وفساد ظاهر للبادي والحاضر، فاعلم ذلك يا بني وافهمه وتدبره وخذ به

(1) ينظر: الغزالي: التبر المسبوك، ص115.

(2) ينظر: المبرد: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة-مصر، ط3، 1994، مج2، ص132.

(3) ينظر: محمود محمد عمار: العفو أو الفضيلة الغائبة، مكتبة الأزهر بالمنوفية، د.ب، ط1، 1999، ص04.

(4) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 166.

وعلمه".

استعمل الكاتب آلية "النهي" للغائب في قوله (لا يستحق، لا يحسن)، ليلبلغ قصده الموجه إلى ولي عهده، وليفهم منه مدى حرصه على تطبيق هذه الأوامر وعدم مخالفتها، إذ لا تحتل تأويلاً آخر غير معناها الحرفي، فالمتكلم يلجأ إلى أسلوب النهي تنبيهاً للمخاطب لاجتناب أمر قد يقع فيه، والكاتب استعمله هنا لتبيان أهمية العفو ولكن عدم الاستخفاف به ومسامحة كل مخطئ مهما كان خطؤه، وما يترتب عن هذه الأخيرة من آثار وأضرار بل يجب على السلطان أن لا يتجاوز المخطئ في كل أخطائه، لأن هناك من الأخطاء لا تغفر بل يستحق صاحبها العقوبة والتعزير، كل من ارتكب محرماً أو ترك واجباً يكون مستحقاً للعقوبة، فإن لم تُحدد له عقوبة شرعية مقدرة، تولى ولي الأمر تقديرها ضمن ما يُعرف بالتعزير، وفق ما يراه محققاً للمصلحة ومناسباً للجرم⁽¹⁾.

وكثيرة هي أفعال "النهي" الواردة في المدونة، فمنها ما جاء على الصيغة القياسية للنهي "لا تفعل"، ومنها ما جاء على شكل ألفاظ معجمية تستعمل للنهي؛ وهي الألفاظ تدل على النهي عند نطقها، كمشتقات الفعل حرم، ومنع، وحظر، ونهى، وتسمى صيغ النهي⁽²⁾، وقد جاءت في المدونة في مثل قوله: (3)

زَجَرْتُ النَّفْسَ فَمَا انْزَجَرَتْ وَنَهَيْتُ الْقَلْبَ فَلَمْ يَرْمُ

استخدم الكاتب آلية "النهي" بصيغة "ألفاظ المعجم" في قوله (زجرت، انزجرت نهيت) والملاحظ أن الشاعر استعمل المعنى نفسه مرتين، وعلى التوالي لكن بلفظتين مترادفين واللذان تساوتا في أداء قصده؛ وهو قصد النهي؛ نهى النفس عن الإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب، بعدما أثبت أن تطاوعه في التوبة والأوبة إلى الله، فخرج "النهي" عن معناه الحقيقي للدلالة على معنى مختلف يظهره سياق الكلام، وهو توبيخ النفس ورجاء الثواب لنيل رضا المولى، وقد اختار صيغة "النهي" رغبة في الاستجابة والامتثال لما قصده، إن شدة الخوف من العقوبة العظيمة تؤدي إلى انكسار القلب وانصداعه ندماً

(1) ينظر: ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص 61.

(2) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 351.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 29.

وخشية، وهذا ما يُعبر عن جوهر التوبة؛ إذ يتفطر قلب التائب حزناً على ما بدر منه، وخوفاً من سوء العاقبة (1).

كما جاء "النهي" في المدونة على صيغة "اللفظ الدال على الترك معجمياً" مثل قوله: (2)
 "يا بني، وأما فقهاؤك فلتتخير لنفسك فقيها عالماً نبيها موسوماً بالصلاح، سالكا
 طرق الرشاد والفلاح، يرشد إلى الهدى، ويهدي إلى الرشاد، ويسدد الأمور ويأمر بالسداد
 ليبين لك ما أشكل عليك من الأحكام، وما تأتته من الحلال وتدعه من الحرام".

يُدرِك الكاتب حجم المسؤولية المُلقاة على عاتقه تجاه ابنه وولي عهده، لذا نجده
 يحرص على تقديم وصايا متنوعة وشاملة، تتناول مختلف جوانب الحياة، سواء كانت سياسية
 أو اجتماعية، ففي المقطع السابق يُوجّه انتباه ابنه إلى أهمية انتقاء الفقهاء من أصحاب
 السيرة الحسنة، إدراكاً منه لأثرهم الكبير في توجيه الحاكم وترشيد قراراته، واستقام منهجهم
 حتى يكونوا عوناً له في مسيرته ويضعونه في الطريق الصحيح، أولئك الذين إن نسي ذكرهم
 وإن غفل وعظوه، وإن أخطأ لم يبيئسوه، مجالسهم تحفها الملائكة، وألسنتهم لله ذاكرة، وقلوبهم
 للإيمان عامرة، يزداد المرء بمجالستهم علماً، وبمخالطتهم طهراً، وملازمتهم طمأنينة وأنساً
 في الدنيا والآخرة (3)، فوجب على ولي عهده أن يبحث عن هؤلاء بحث المضل لصالته
 ليسلك طريق الاستقامة، فنجد الكاتب يستعمل لفظ الترك (تدعه) وهو فعل طلبى، غرضه
 طلب الكف، ويريد منه أن يفهم ابنه بأنه ينهاه عن الحرام ويحثّه على الابتعاد عنه، وغرضه
 من النهي التوجيه والإرشاد إلى ما فيه خير له.

من المعلوم أن أسلوب النهي يصدر غالباً من مقام أعلى إلى مقام أدنى، بهدف
 الإلزام بترك الفعل، إلا أنه قد يتحرر من هذا المعنى الأصلي في بعض السياقات، ليكتسب
 دلالات جديدة تختلف باختلاف الموقف والسياق الذي يرد فيه. ، وفي موضوع ما يحتاج إليه
 الملك في قوام سلطانه يقول "أبو حمو": (4)

(1) ينظر: الشعراوي: التوبة، ص39، 40.

(2) أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص132.

(3) ينظر: يحيى العقيلي: العفة ومنهج الاستغفار، ص155.

(4) المرجع نفسه، ص87.

"يا بني وأما قوادك فلتتخير قوادا من أنجاد جندك زعماء صادقين في محبتك وافين بعهدك ذوي حزم وكفاية ومعرفة ودراية، لا يصلون إلى الرعية بمضرة ولا بإذاية، ولا يسدون الثغور، ويصدون العدو المحذور، ويحوطنون البلاد، ويمنعونها من كل باغ وعاد، وساع في الفساد، فتكون بهم مطمئن خاطر، آمنة في الباطن والظاهر، لسدهم الثغور المخوفات وكفهم الأكف العاديات، وإجزائهم عنك في المعضلات، بحيث إذا بعث العدو جيشا لفساد البلاد، قابلته بقائد من هؤلاء القواد".

يوصي الكاتب ولي عهده إلى حسن اختيار قادة بلاده، لكي يكونوا أعوانا له ولملكه عند الحاجة إليهم، مستعينا بصيغة "النهي" في قوله (يمنعونها من كل باغ وعاد)، الذي يحمل بين طياته النصيحة الخالصة للذي وُجّه إليه الخطاب.

3. النداء:

يعتبر "من أقسام الطلب الدال على الاستحضار [...] وإرادة الإقبال عليك"⁽¹⁾، ويتمثل ذلك في دعوة المتكلم للمخاطب إلى الانتباه والإصغاء لما سيُقال، بما يعكس حرصه على إيصال الرسالة بوضوح وجذب انتباه السامع⁽²⁾، وعرفه "الزركشي" أنه "طلب إقبال المدعو للداعي بحرف مخصوص"⁽³⁾، والذي يقوم مقام فعل النداء، وفي التخصص التداولي عرفه "ظافر الشهري" بقوله: "يعد النداء توجيهها لأنه يحفز المرسل إليه لردة فعل اتجاه المرسل وللنداء أدوات كثيرة"⁽⁴⁾ وعليه فإن أسلوب النداء يُستخدم لتوجيه الخطاب إلى المخاطب وتنبهه للانتباه لما سيقوله المتكلم، وذلك من خلال أحرف النداء الخاصة، التي تقوم مقام الفعل مثل (أدعو) أو (أنادي)، وتُوظف لتحقيق غرض التنبيه والإصغاء⁽⁵⁾، فأسلوب "النداء" قوامه ثمانية حروف يستند إليها والتي تثبت تمظهره اللغوي داخل الخطاب، وهي (أ، أي، آ، هيا، أيا، وا، أي)، وأهمها (يا) والتي تعد من أوسع أدوات النداء وأكثرها انتشارا

(1) أحمد محمد فارس: النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبناني، بيروت-لبنان، ط1، 1989، ص28.

(2) ينظر: عباس حسن: النحو الوافي، ج4، ص01.

(3) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة-مصر، ط3، 1984، ص323.

(4) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص164.

(5) ينظر: حسناء قيراطي: الاستراتيجية التوجيهية في مجموع رسائل الجاحظ، ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة08ماي

1945 قالمة- الجزائر، 2016، ص50، 51.

في كلام العرب⁽¹⁾، و"النداء" ينقسم إلى نداء حقيقي وآخر مجازي، والقسم المجازي للنداء هو مركز اهتمام البحث التداولي فلا تبحث التداولية في النداء الحقيقي وإنما المجازي الذي يحدده المقام التخاطبي.

و"النداء" من الأفعال الكلامية التوجيهية أيضا التي لجأ إليها "أبو حمو" في كتابه (واسطة السلوك) ليتقرب من مخاطبه، كونه منبها ومحفزا للخطاب لرد فعل المتكلم، وإذا قمنا بنظرة شاملة على الخطابات التوجيهية في المدونة، نجد أنها ابتدأت أغلبها بأداة النداء (يا) ولفظ المنادي (بني)، والتي تعتبر بمثابة المدخل إلى الأفعال الكلامية الأخرى التي تأتي بعده، ف "النداء" يعتبر من أساليب الاستهلال المفضلة عند العرب، وهذا ما أشار إليه "سبويه" حيث جعل لفعل النداء موضعا قارا، وهو أول كل كلام فيقول: "فأول الكلام أبدا النداء إلا أن تدعه استغناء بإقبال المخاطب عليك"⁽²⁾، وفي هذه المقاطع الخطابية الآتية متوالية من الخطابات التوجيهية بصيغته "النداء" والذي يقصد به مخاطبا معينا -ابنه- والغرض الإنجازي من هذه الصيغة ليس التنبيه فحسب، ولفت نظر المخاطب بل جعله يقبل على ما سيلقيه المخاطب، ويوجهه للتسليم على ما يندرج من مقاصد بعده، من خلال التنبيه الذي يحدثه النداء في المتلقي، وهي محاولة من "أبي حمو" كي يرسخ في ابنه تلك الأفكار التي تتضمنها وصاياها.

"يا بني، إن المال تدفع به العدى، وحسن يتقي به الردى، به تدفع آلام الأعراض ويتوصل إلى المقاصد والأغراض"⁽³⁾.

"يا بُنَي تَقْتَبِرِ الْمَرْءَ عَلَى نَفْسِهِ تَوْفِيرٌ مِنْهُ عَلَى غَيْرِهِ"⁽⁴⁾.

"يا بُنَي، اسْتَعِنْ بِثِقَاتِ عُمَالِكَ، عَلَى جَمْعِ مَالِكَ، فَوَلِ الرَّفِيقَ فِي الرَّعِيَّةِ، الْجَارِي عَلَى سَبِيلِ السَّوِيَّةِ، تَتَلِ بِذَلِكَ فِي الدَّارَيْنِ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا"⁽⁵⁾.

(1)- ينظر: السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر: الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: غازي مختار طليمات، مطبوعات مجمع اللغة، دمشق-سوريا د.ط، د.ت، ج2، ص248.

(2)- سبويه: الكتاب، ج2، ص208.

(3)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص28.

(4)- المصدر نفسه، ص28.

(5)- المصدر نفسه، ص28.

وعلى الرغم من شيوع استخدام أسلوب النداء في الخطاب، إلا أن المقصود منه ليس النداء ذاته، بل ما يتبعه من مضمون، إذ يُوظف غالبًا كوسيلة تمهيدية لتهيئة المخاطب لتلقي الكلام اللاحق، وبذلك لا يقصد بتركيب النداء طلب الإقبال الذي هو المعنى الأصلي لها، بل يقصد توجيه خطاب النداء لإنجاز أفعال لغوية أخرى غير الإقبال والتبنيه والاستحضار، فغالبًا قد لا يأتي النداء في مثل هذا السياق وحده بل لتوجيه تابع⁽¹⁾ يطلب منه شيئًا ما، فتصاحب النداء صيغ "الأمر" و"النهي" ويقل أن تصحبه "الجملة الخبرية"، يقول "أبو حمو":⁽²⁾

"يا بني عليك بالإيثار مما أفاء الله عليك من الأنعام خصوصاً على حجاج بيت الله الحرام، وزوار قبر النبي عليه الصلاة والسلام، واجعلهم وسيلة يدعون لك في ذلك المقام، فإن الدعاء هناك مجاب، وليس بينه وبين الله حجاب".

فعلى الرغم من أن طرفي الخطاب كان قريبين من بعضهما إلا أنه استخدم أداة النداء(يا)، مما يدل على أن لـ "نداء" أغراض أخرى غير لفت الانتباه، فالغرض الإنجازي من لفظة النداء(يا بني) هو التودد والتحبب وإعطاء جو من الراحة النفسية للمتخاطبين، واستمالة المخاطب وجعله أحرص على الاستجابة لما طُلب منه، فالكاتب في هذا المقطع الخطابي يرى عظمة طلب الدعاء من عباد الله الصالحين المتقين الأخيار، العالمين بكتاب الله والسنة "فهذا نوع من أنواع التوسل المشروع، دلت عليه الشريعة المطهرة، وأرشدت إليه"⁽³⁾، و"أبو حمو" استخدمه كنوع من الاستراتيجية في خطابه مع ابنه؛ فحرصه عليه جعله يردد لفظه(يا بني) في كل مقطع من مقاطع المدونة، وبث روح خطابية في النص.

كما نجده يستعمل "نداء" كذلك في المدونة بلون مغاير عن خطابه الموجه لابنه، منه النداء في القصيدة التي نظمها رجاء للثواب قال فيها:⁽⁴⁾

نام الحبيب ولم تتم عيني بمصارعة الندم

⁽¹⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص381.

⁽²⁾ أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص29.

⁽³⁾ الألباني: التوسل أنواعه وأحكامه، نسقه: محمد عيد عباسي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض-السعودية، ط01

2001، ص38.

⁽⁴⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص29، 30.

والدمع تحذر كالديم جرح الخدين فيا ألمي
وكذا الأيام لها عبر وليالي الدهر كما الحلم
يا نفس خدعت بزخرفها كم تغترين بها وكم
يا رب ذنوبي قد عظمت فامنن بالعفو لمجترم
يا رب إذا لم تعصمني مالي بذنوبي من عصم
يا رب أنلني منك رضا فرضاك الفوز المغتنم
يا رب سألتك تغفر لي بشفيح الخلق وكهفهم
أدعوك إلهي معتذرا في جنح الليل وفي الظلم
قلب بنواه أسير هواه فيا شوقاه إلى الخيام
ونخصك يا أسنى قمر بصلاة فائقة العظم

لقد خرج "النداء" في أغلب الأبيات القصيدة عن معناه الأصلي المتمثل في طلب إقبال المدعو إلى الداعي، إلى معنى الدعاء والتضرع إلى الله، معتمدا على لفظ النداء (يا رب) والتضرع غرض يلجأ إليه الإنسان عند شعوره بالضعف والخوف من أمر عظيم، و"أبو حمو" تكاثرت ذنوبه وتعاضمت آثامه فخاف نارا لم يخبو سعيها ولا يخدم لهيبها، لقوله عز وجل: {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [سورة الأنعام، الآية: 15] فضاقت يداه بما يصنع، فأردف ينادي الله عز وجل لغرض الدعاء وطلب الاستغاثة والمغفرة والعفو منه.

وفي السياق ذاته، يُلاحظ توظيف الشاعر لصيغة النداء مرة أخرى في قوله: (يا خالقي)، وهو نداء يحمل في طياته رغبة صادقة وعميقة في العودة إلى الله تعالى. إذ يُعبر الشاعر من خلاله عن توقه للتوبة، راجياً من خالقه توبة واحدة تمحو ما اقترفته يداه من ذنوب وخطايا.

كما لم يأت "النداء" بصيغته المعهودة (حرف النداء + المنادى) بل جاء بصيغة الإخبار عن النداء، في قوله (أدعوك إلهي)، فالشاعر يواصل دعائه لله عز وجل مناديا بفعل النداء

التوجيهي الصريح (أدعوك)، والغرض من هذا النداء الصريح هو تبين مدى ندمه الشديد على ما ارتكبه من ذنوب وآثام فيما مضى من أيامه "فلا سبيل إلى النجاة أو السعادة في الدنيا والآخرة إلا من خلال رجوع صادق إلى الله تعالى، ينبعث من أعماق القلب، إذ إن هذا الرجوع هو السبيل الأوحى إلى الفلاح الحقيقي والنجاة الأبدية، لقوله تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [سورة الأنعام، الآية: 153] .

لجأ صاحب الخطاب إلى أسلوب النداء عن طريق حرف النداء (يا) في قوله (يا ألمي) و (يا نفس)، (يا حسرتي)، لا لغرض التقرب من مخاطبه وإثارته للإقبال على خطابه فالمنادى غير عاقل، ولا يُراد من النداء هنا مجرد النداء اللفظي، بل هو تعبير عن الألم والحسرة التي يشعر بها الشاعر تجاه نفسه، التي لا تزال مشدودة إلى زخارف الدنيا ومتعلقة بملذاتها، من دون أن تسعى إلى إصلاح حالها. وهذا ما يُعرف بجهاد النفس، وهو جهاد ذو مراتب متعددة، تبدأ أولها بمجاهدة النفس على طلب العلم الشرعي والهداية، إذ لا فلاح ولا سعادة حقيقية في الدنيا أو الآخرة إلا بهما، وإن حُرمت النفس منهما، فقد شقيت في الحياتين⁽¹⁾.

كما نجده يتحسر على عمره وشبابه الذي مضى، فالشاعر متفجع ومتألم على أيام شبابه التي ذهبت بدون رجعة وهو في غفلة من أمره، إضافة إلى صيغة "النداء" في قوله (يا شوقاه) فالشاعر المشوق للزيارة بيت الله وقبر الرسول وقد أعياه شوقه وحنينه إلى هناك، وهو المتخلف عن الركب لأسباب فوق إرادته وطاقته، غير أنه لا يقوى على صرف تفكيره إلى أي أمر آخر، لاسيما حين يتخيل مشهد الركب وهو ينتقل من مكان إلى آخر. وحين يعجز أبو حمو عن مرافقتهم بجسده، يبقى وجدانه معلقاً بهم ، فإن القلب قد مضى معهم وتركه وحيدا في مغربه يشكو الألم والحسرة، وفي آخر الأبيات يصادفنا أيضا النداء في قوله (يا أسنى قمر) ويخرج النداء هنا إلى المدح فقط أي مدح الرسول ﷺ.

وفوق ذلك، يبرز استخدام النداء في سياق مختلف، ويتجلى ذلك في قوله: (2)

إِلَهِ هَبْ لِي مِنْكَ عَفْوَاً وَرَحْمَةً فَمَا زِلْتُ يَا مَوْلَايَ تَبْلُغُنِي الْقَصْدَا

(1) - ينظر: أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص55.

(2) - المصدر نفسه، ص199.

ورد فعل النداء في هذا البيت محذوف الأداة⁽¹⁾ معتمدا على لفظ (إلهي) دلالة على قرب المنادى حسا ومعنى، فالله تعالى أقرب من حبل الوريد إلى عباده، لقوله تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [سورة ق، الآية: 16]، فاستعمل "أبو حمو" صيغه "النداء" لغرض الدعاء والمغفرة والعفو والرحمة من المولى العزيز الجبار.

4. الاستفهام:

من أساليب الطلب وفيه يطلب الإفهام والإعلام من أجل فائدة علمية مجهولة لدى المتكلم⁽²⁾، وفي الدرس التداولي "فیدرج الاستفهام ضمن أفعال الكلام الإنجازية، ويصنفه (أوستن) ضمن مصطلح التوجيهات ويشاطره الرأي (سيرل) في هذا الموقف، وقد أطلق عليه اللغويون العرب مصطلح الطلبيات، وكل ذلك يؤدي غرضا إنجازيا واحدا وهو حمل المتلقي على فعل شيء معين"⁽³⁾، وهكذا يعد أسلوب الاستفهام أسلوبا طلبيا بامتياز.

ويحوز أسلوب "الاستفهام" على دليل لفظي يحيل إليه، يتمثل في أدوات الاستفهام وهي كثيرة منها: الهمزة وهل، وهما حرفان، والباقي أسماء وهي: ماذا، كيف، ما، من، متى، أين، كم، أنى، ومن ذا، وأيان، أيّ وتدخل هذه الأدوات جميعا على الأسماء والأفعال والحروف، ما عدا "أيّ" التي تختص بالأسماء فقط، وتنقسم أدوات الاستفهام من جهة وظيفتها إلى قسمين، وجميعها تُستخدم لطلب التصوّر، باستثناء (الهمزة) و(هل)؛ إذ إن (الهمزة) يُمكن أن تُفيد طلب التصوّر أو التصديق بحسب السياق، بينما تُستخدم (هل) حصرياً لطلب التصديق.⁽⁴⁾ ويقصد بالتصوّر إذا كان المطلوب من الاستفهام معرفة أحد مفردات الجملة من فعل أو فاعل أو مفعول به أو غيرها، أمّا التصديق إذا كان المطلوب

(1) - أجاز النحاة حذف أداة النداء من الكلام تخفيفاً، إذ كان المنادى مقبلاً عليك منتبهاً لما تقوله، ولذلك جعلوه خاصاً بالمنادى القريب وتقدر "يا" عند الحذف دائماً.

(2) - ينظر: عبد الرحمن حنبكة الميداني: البلاغة العربية، ج1، ص258.

(3) - عبد الله بوقصة: حاجية الاستفهام في قصيدة "ما قيمة الدنيا" سليمان جوادي، مقاربة تداولية، مجلة لغة الكلام، مج6، ع 3، 2020، ص88.

(4) - ينظر: إبراهيم أحمد الشيخ عيد: أسلوب الاستفهام في شعر راشد حسين، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية)، مج 21، العدد1، 2017، ص07.

معرفة مضمون الجمل ككل⁽¹⁾.

من المعلوم أن عملية التواصل لا تُبنى إلا على التخاطب، ويُعدّ الاستفهام من أبرز أدواته، لكونه يُجسّد عناصر دورة التخاطب المتمثلة في المرسل، والمرسل إليه، والرسالة. ونظرًا لأن الاستفهام شكل من أشكال الخطاب، فقد تنوّعت أغراضه البلاغية بحسب السياق. فهو قد يُستخدم في معناه الحقيقي طلبًا للفهم أو المعرفة، كما قد يُوظف مجازيًا ليؤدي دلالات أخرى تتجاوز المعنى الظاهري، مثل: النفي، والإنكار، والتقريب، والتوبيخ، والتعظيم، والتحقير، والاستتباط، والتعجب، والتسوية، والتمني، والتشويق، والأمر، والاستئناس، والتهويل، والاستبعاد، والتهكم، والوعيد، إضافة إلى التنبيه على الخطأ، أو الإشارة إلى الباطل، أو الضلال، أو حتى التعبير عن التحسر. وهذه الدلالات تُستمد غالبًا من السياق الذي يرد فيه الاستفهام⁽²⁾ وبعض هذه الأغراض من أهم سمات الخطاب التوجيهي.

ولأنّ التوجيه الاستفهامي يعد ذا قيمة خطابية كبيرة يوظفها المرسل في خطابه التوجيهي، والمقصود هنا ليس الاستفهام الحقيقي الذي يُراد به طلب المعرفة حول أمرٍ يجمله السائل بالفعل، بل نقصد الاستفهام المجازي الذي لا ينحصر معناه في دلالة واحدة في غالب الأحيان، فإذا انتقلنا إلى المدونة متتبعين أساليب "الاستفهام" الواردة فيها وجدنا أنها غالبًا ما خرجت عن المعاني الأصلية إلى أسرار وأغراض بلاغية أخرى، وقد تجلّى أسلوب "الاستفهام" فيها بمختلف حروفه وأدواته كالهزمة، وهل، وكيف، وأين، وأي....

يتمنى الشاعر عودة الزمن الجميل فيقول: ⁽³⁾

لِبَانَةِ دَهْرِي قَدْ نَقَضَتْ وَقَدْ مَضَتْ وَجَيْشَ شَبَابِي بِالْمَشِيبِ لَقَدْ قَدَا

وَيَا لَيْتَ شِعْرِي بِالزَّمَانِ الَّذِي مَضَى أَيْرَجُ مَرَّ الْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ شَهْدَا؟

وَتَغْفَرُ أَوْزَارِي وَتُمْحَى جَرَائِمِي وَحَصْرَ ذُنُوبٍ لَا أُطِيقُ لَهَا عَدَا

تنهض هذه الأبيات على استفهام مجازي في قوله: (أ) يرجع مر العيش من بعده

⁽¹⁾ ينظر: زين الدين الأفندي: الاستفهام في سورة النحل (دراسة تحليلية تداولية أفعال الكلام)، <https://ebook.univeyes.com>، ص26.

⁽²⁾ ينظر: زين الدين الأفندي: الاستفهام، ص31.

⁽³⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 199.

شهدا؟)، ويتبين بأن "همزة الاستفهام" قد دخلت على جملة فعلية مثبتة فعلها مضارع، لذا دلت على الحال والاستقبال، والأصل عند "سبويه" دخولها على الفعل حيث يقول: "وحروف الاستفهام أيضا قد بُنيت للفعل، غير أنهم توسعوا فيها فابتدئوا بعدها الأسماء والأصل غير ذلك"⁽¹⁾، ونلاحظ في هذا السياق أن "أبا حمو" قرن الطلب بالتمني في قوله (يا ليت شعري) بالتساؤل بالاستفهام بالهمزة، والتمني يكون في مقام طلب المستحيل معبرا بذلك عن رجاء حصول طلبه وبلوغ مراده في عودة أيام شبابه، متمنيا التوبة والغفران من الله عز وجل، فالشاعر قد تقدم به السن ففاجأه الشيب وأيقظه من غفلته بعدما كان منغمسا في ملذات الدنيا، ولو تعمقنا في الدلالة القصدية الأصلية للاستفهام لوجدناه غير حقيقي بل استفهاما مجازيا جاء به المتكلم ليعبر عن معنى الحسرة والندم، والتحسر يكون في مقام يظهر فيه المتكلم الحزن على شيء مضى، فـ "أبو حمو" قصد أن يبين للمخاطب مدى شجنه على شبابه الذي مضى دون رجعة وندمه على اقتراف المعاصي والذنوب فاختلفت نفس الشاعر بمشاعر تتباين بين الألم والحزن والحسرة والندم والكسرة، فالتوبة الصحيحة هي حسرة كبيرة تصيب القلب وتكون خاصة بالمذنب فقط، تجعله يلقي نفسه بين يدي ربه طريقا ذليلا خاشعا⁽²⁾، وقد أطلق "التداوليون" على الانزياح عن المعنى الحقيقي للاستفهام بـ "الاستفهام البلاغي" وهو مالا يحتاج فيه صاحبه إلى الإجابة لبداهته، فيحمل قيمة الخبر نفيا وإثباتا، إذ يتحول الاستخبار إلى خبر⁽³⁾.

كما نجد الكاتب في خطاب آخر يستعمل "حرف الاستفهام" "هل" في قوله:

"يا بني، إذا سمعت عن وزيرك سقطة في جانبك، وأردت اختبار حقها من باطلها، وهل صدرت منه كما سمعت من قائلها ؟ ويظن وزيرك أنك سمعتها عنه؟ فتفرس في وزيرك فإن رأيت منه زيادة في البشاشة، والخضوع والتذلل والهشاشة، وتلك خلاف عادته فإن ذلك دليل على الريبة، وتحقيق لتلك السقطة المريبة، فحقق ذلك من غير ارتياب، فإنه لا تخفى حالة المرتاب، وإن لم ينتقل عن حالته المرتابة، ولا عن طريقته المعتادة ولم يظهر في كلامه نقصان ولا زيادة، فتعلم أنه بريء مما قيل لك فيه، لأن ظاهره دل على ما

(1) سبويه: الكتاب، ج1، ص51.

(2) ينظر: الشعراوي: التوبة، ص40.

(3) لمى خنياب: الاستراتيجية التوجيهية في سورة مريم، ص11.

يخفيه⁽¹⁾.

اختار "أبو حمو" أن يطرح السؤال بـ "هل" في عبارة (هل صدرت منه؟) فدخلت على جملة فعلية مثبتة فعلها ماض، وهنا يوصي ولي عهده ويعلمه طريقة التعامل مع وزرائه وكيفية التحري عن المعلومات التي تصله، فلا يحكم على الغير وفق ما يسمعه بدون تمحيص وتدقيق منه، وإنما يوجه ابنه بأن لا يرى بعين غيره ولا يسمع بأذنهم، لكي لا يكون ظالماً لأحد، خاصة وزيره، لما له أهمية في قيام ملكه وسلطانه، فإن أصلح الأصحاب للملك: وزيره العاقل المتقي الأمين الصالح المدبر معه أمره⁽²⁾، وعليه فإن صيغة "الاستفهام" التي وظفها الكاتب في هذا المقطع تشد انتباه ابنه وتلزمه إلى التفكير والبحث، إذ أن "الاستفهام" هنا خرج عن معناه الحقيقي وهو طلب الفهم إلى معنى التحقيق والتأكيد، وقد ذهب جماعة النحاة إلى أن "هل" تكون بمعنى "إن" في إفادة التوكيد والتحقيق⁽³⁾.

يواصل الكاتب توجيه ابنه بلغة "الاستفهام" مستعملاً في هذا الخطاب الأداة "كيف" في قوله:

"يا بني إذا رأيت كاتب سرك كثير الألفة للناس، طويل اللسان، لا يرجع إلى قياس، لا يحتفظ في كلامه ولا يكف لسانه في جلوسه وقيامه، ويزخرف لك أموراً يرى أنه ينفعك بها وهي مما تضر الغير بسببها، فهذا غير محافظ على دينه. ومن لا يحافظ على دينه فلا يحافظ على سرك، فكيف تشاركه في أمرك؟"⁽⁴⁾.

في عبارة (كيف تشاركه في أمرك؟) استعان المتكلم -أبو حمو- في توجيه المخاطب -ابنه- باسم الاستفهام "كيف" وقد دخل على جملة فعلية مثبتة فعلها مضارع، والملاحظ في هذا التوجه الاستفهامي أن "كيف" لا تحتاج إلى إجابة فالكاتب ساقها ليجعل غرضها

(1)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص172.

(2)- ينظر: الغزالي: التبر المسبوك، ص83.

(3)- سهيلة طه محمد البياتي: أسلوب الاستفهام في ديوان الحطيئة (دراسة نحوية تطبيقية)، مجلة جامعة تكريت للعلوم

الإنسانية، مج14، ع 7، أبريل 2007، ص 98.

(4)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص175.

الإنجازي منصرفاً إلى التعجب، ويراد به "أن يكون المستفهم عنه مثيراً للعجب والدهشة"⁽¹⁾، فهو استفهام مفعم باستغراب الكاتب فيطرح آثاره متسائلاً معبراً عن غرابة الموقف كيف أن ابنه ائتمن من لا يكون أهلاً للأمانة والثقة، فالكاتب هنا اختار "الاستفهام" عوض الإخبار المباشر لقوته الإقناعية، بإثارة ذهن المتلقي للبحث عن إجابته بنفسه وبذلك يكون قد حاج نفسه بنفسه، فأسلوب "الاستفهام" هنا لم يأت لمجرد الاستفهام فقط بل تجاوز ذلك لغرض التعجب من هذه الحال، وهنا تكمن فعالية الإقناع في تعجب "أبو حمو" من ابنه وعليه فأسلوب "الاستفهام" "جاء ليؤدي وظيفة تداولية وهي إقناع المتلقي عن طريق خروجه إلى الأغراض السابقة الذكر"⁽²⁾.

كما استعمل الشاعر أداة الاستفهام "من" في قصيدته من رنيات الأشعار يتوسل بها لله عز وجل بقوله: (3)

إِثْمِي كُثْرًا شَيْبِي ظَهْرًا وَقَدْ اِسْتَهَرَا وَالْأَمْرُ جَلِيٌّ
فِي الْقَلْبِ شَجَى كَيْفَ الْمُنْجَى لِمَنِ الْمَلْجَا بَارَتْ حِيلِي؟
مَنْ يَنْقُذُنِي؟ مَنْ يُسْعِدُنِي؟ مَنْ يَرْحَمُنِي؟ مَنْ يَغْفِرُ لِي؟

تقف هذه الأبيات على أداتين من أدوات الاستفهام هما: "كيف" و"من"، والملاحظ أن اسم الاستفهام "كيف" في عبارة (كيف المنجي؟) قد دخلت على جملة اسمية مثبتة، إذ يظهر الشاعر معترفاً بآثامه وذنوبه التي اقترفها، وقد حل به الشيب وافداً كي يخبره عن اقتراب الأجل، مدركاً ما ينتظره من عقاب، الأمر الذي جعله حزينا نادماً باحثاً على طريق التوبة عزاء وأملاً في الخلاص، باعتبار الشيب جسراً إلى مرحلة الموت، فبذلك خرجت صيغ "الاستفهام" عن معناها الحقيقي لمعان أخرى تعرف من سياق الكلام وهي التوجع والتحسر وتغيير حال الشاعر من المعاصي والذنوب إلى التوبة والندم، ويكاد "أبو حمو" في هذه الأبيات

(1) عبد الكريم يوسف: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، (غرضه - إعرابه)، مطبعة الشام-سوريا، د.ب، ط1، 2000، ص18.

(2) عيدة ناغش: أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين (دراسة نحوية بلاغية تداولية)، ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو -الجزائر، 2012، ص116.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص24.

يذوب ألما وأسى من خلال الإكثار من الأداة "من" في قوله (مَنْ يَنْقُدُنِي؟ مَنْ يُسْعِدُنِي؟ مَنْ يَرْحَمُنِي؟ مَنْ يَغْفِرُ لِي؟)، وبصفة متكررة، وأهمية التكرار هي تأكيد الكلام، وهو ما يخدم الغرض التداولي فنقرر المؤكد في نفس المتلقي باستعمال أسلوب التكرار، وقد دخلت في كل مرة على جملة فعلية مثبتة فعلها مضارع، وأريد بها هنا معنى النفي، فالمعنى المقصود أنّ لا أحد ينقذني ويسعدني ويرحمني ويغفر لي إلا الله، فالشاعر في هذه الأبيات تخير أسلوب "الاستفهام" ليكون وسيلته للتأثير والإقناع والاستعطاف، فجاءت "من" خارجة عن معناها الحقيقي أي طلب الفهم، إلى الندم والتوسل والاستعطاف، فالشاعر جاء متوسلاً نادماً على كل الذنوب التي حالت بينه وبين مولاه طالبا الغفران، مما جعله يكرر الأداة نفسها أربع مرات متتالية، حرصاً منه على تقوية دلالة قوله، وهذا ما تذهب إليه التداولية فهي تبحث في المعنى الحقيقي وراء الملفوظ، رغبة منه في تبين هلعه الذي يعيشه بسبب تكاثر ذنوبه وشدة خوفه من المولى عز وجل، فلا شيء أحب إليه من هذا الخضوع والتذلل والكسرة والاستلام بين يدي رحمته، ملجأً ولا منجى منك إليك⁽¹⁾.

إن التداولية نظرت لأسلوب "الاستفهام" على أنه فعل كلامي يهدف إلى التأثير في المستمع من خلال دعوته إلى فعل أو ترك أو نفي أو تقرير وغيرها من المعاني، وقد استعان به الكاتب ليس كأداة تعبيرية فقط، بل جعله عنصر من عناصر الإقناع والإبلاغ لقدرته الكبيرة على إيقاظ الشعور والتأثير على النفس.

5. التحذير والإغراء:

لإيصال المعنى للمرسل إليه في اللغة العربية أساليب كثيرة وأشكال عديدة، ولكل سياق طريقته التي تساعد على إيصال المبتغى بصورة واضحة ودقيقة، وواحد من هذه الأساليب المستعملة "أسلوب التحذير والإغراء"، الذي يعتبر أحد آليات التوجيه التي يستغلها المرسل لتبنيه وتوجيه المرسل إليه، وفي هذا الأسلوب يجتمع أمران أولهما: التحذير، وثانيهما: الإغراء.

(1) ينظر: الشعراوي: التوبة، ص 41.

1.5. التحذير:

في الدرس التداولي وحسب رأي "الشهري": "يعد أسلوب التحذير من آليات التوجيه"⁽¹⁾، وهو "تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليجنبه"⁽²⁾، إذ يعتبر أسلوب طلبه يستعمله المتكلم من أجل تنبيه المخاطب وتخويفه من أمر ما حتى يجنبه، ويجمع ثلاثة عناصر أساسية؛ "المحذّر"، و"المحذّر"، "المحذّر منه"⁽³⁾، وقد ورد في المدونة في قول الكاتب:⁽⁴⁾

"يا بني، إياك والإعجاب، فإنّه للملك خطأ غير صواب، ومن أعجب بنفسه قرب من رمسه".

يرى الكاتب أنه من المفيد نقل تجربته في الحياة، والخبرات التي حصل عليها لنجله من أجل تعزيز قدرته في مواجهة الاختبارات الصعبة المرجح مقابلتها، مستعملاً أسلوب "التحذير" في قوله (إياك والإعجاب)، فجاءت بنية التحذير كالتالي؛ المحذّر: أبو حمو، المحذّر: ابنه، المحذّر: الإعجاب، ف "أبو حمو" في هذا المقطع يوجه ابنه إلى اجتناب مرض خطير يفسد النفس ويحتاج المؤمن أن يتقطن له حتى لا يغلبه على أخلاقه الحسنة، فيوقعه في آثار وخيمة لقوله ﷺ: (ثلاث مهلكات شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه)⁽⁵⁾، فكلّام "أبو حمو" هنا قاله في معرض التنبيه والتحذير ذلك أن الإعجاب بالنفس أحد عوامل الهلاك في الدنيا والخسران في الآخرة، لأنه خلق يجر إلى الفخر والتكبر مما يجران كراهية الناس والغرة بالإثم والبغي بغير حق، فكان إنجاز فعل التحذير هنا من باب النصيح الضمني للمرسل إليه، لأن "حق التحذير أن يكون للمخاطب"⁽⁶⁾.

ويواصل الأب في إسداء نصائحه لابنه مستعملاً أسلوب "التحذير" بلفظه الصريح في قوله:⁽⁷⁾

(1)- ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص355.

(2)- عباس حسن: النحو الوافي، ج4، ص126.

(3)- ينظر: المرجع نفسه، ص126.

(4)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص23.

(5)- أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، تح: شعيب الأرنؤوط وآخر، دار الرسالة العالمية، سوريا، ط1، 2009، ج6، ص398، رقم الحديث4342.

(6)- ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص355.

(7)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص26، 27.

"يا بني لا تكثر من مجالسة النساء لئلا يفسدن عقلك بعقولهن، ويسرقن طبعك من طباعهن، فإنهن ناقصات عقل ودين، وإن أشرن عليك بأمر فخالفن فيه لأن عقول النساء غير موافقة لعقول الرجال، فإنك إن أحسنت إليهن قابلن الإحسان بالإساءة، ومن ضعف عقولهن لا يفرق بين المحسن والمسيء فاحذر مطاوعتهن، ولو كان فيهن أخت ملك الخزر".

يرى "الغزالي" أن من الواجب على الرجال مسايسة النساء لنقص عقولهن، و لا يمكن لأحد أن يتدبر برأيهن⁽¹⁾، "وقيل: شاوروهن وخالفوهن"⁽²⁾ الأمر الذي ذهب إليه "أبو حمو" في هذا المقطع الخطابي، في توصية لابنه بعدم الأخذ برأي النساء، إذ يرى أن ما ينال الرجل من المحن والهلاك، نتيجة اتباعه رأي النساء فقد قيل: "لا يتدبر أحد برأي النساء، فإن من تدبر بأرائهن أو ائتمر بمشورتهن خسر درهمه درهمين"⁽³⁾، والمرسل في هذا المقام استعمل الفعل الصريح (احذر)، وتعد هذه الحالة من أقوى درجات الصراحة بسبب ذكر لفظ "التحذير"، وأسلوب "التحذير" أقل توجيهها من أسلوب "الأمر" و"الاستفهام" و"النهي"، فهو إن كان ينتظر فعلا إنجازيا إلا أن درجة الإلزامية قليلة فيه، فالمحذر يقوم بذلك لفائدة المحذر غالبا مما يقلل من درجة الإلزامية.

ونصائح "أبو حمو" لابنه امتدت لجميع مجالات الحياة حتى إلى طريقة سيره وركوبه على الخيل وذلك في قوله: ⁽⁴⁾

"وكذلك التقلب في سرجك، والهمز الكثير في سيرك، واقصر عن الحديث في ركوبك لا مع وزيرك ولا مع خاصتك، إلا ما تدعو الضرورة إليه".

دائما "أبو حمو" حريص على توجيه ابنه إلى ما يصلح له ويحذره من المخاطر التي قد تواجهه، فنجد في هذا المقام الخطابي يستعمل أسلوب "التحذير"، بذكر المحذر منه بأسماء ظاهرة معطوفا بالواو، فلفظة (التقلب والهمز)، وقد دعم تحذيره بتوظيف فعل

(1) ينظر: الغزالي: التبر المسبوك، ص130.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص131.

(3) المصدر نفسه، ص42.

(4) المصدر نفسه، ص42.

الأمر(اقصر)الذي يحمل مدلولاً قوياً حيث اضطره السياق إلى توظيفه حتى يزيد من قوة خطابه الذي يوجهه إلى المرسل إليه ليقنع به.

2.5. الإغراء:

يعد "الإغراء" فعلاً توجيهياً أساسه التنبيه، والترغيب في الفعل، والملاحظ أن "الإغراء" يشترك مع أسلوب "التحذير" في البنية التركيبية للخطاب إلا أن له عمل عكسي، فالتحذير توجيه بالإبعاد في حين الإغراء توجيه التقريب⁽¹⁾، فهو مضاد للتحذير إلا أنه يأخذ في الأحكام والأدوات ما يأخذه التحذير، ويعتمد المخاطب على كفايته التداولية لتحديد قصد المتكلم في الخطابين فمثل قول المتكلم: (ابنك ابنك) فإن المخاطب سيدرك أن القصد: الزم ابنك لا احذر ابنك ووفقاً لبنية الخطاب المنجزة.

وكون "التحذير" هو الحث على الإمتناع عن الفعل فإن "الإغراء" هو عكس ذلك (الحث على الفعل)، وهو يشبه التحذير في درجة الإلزامية وله أساليبه اللغوية والبلاغية المعروفة، وقد اجتمعا كلا الأسلوبين في قول الكاتب:

"يا بني، التزم الصبر عند الشدة، والعفو عند المقدرة، وأظهر المحبة لمن تحب، ولا تفش البغض لمن تكره"⁽²⁾.

إن أسلوب "الإغراء" واضح وصريح في هذا الخطاب من خلال الفعل(التزم)، أما المغريان بهما فهما(الصبر والعفو)، وتعد هذه الحالة أقوى درجات الصراحة بسبب ذكر فعل الإغراء.

ومن أساليب "الإغراء" أيضاً في المدونة قول الكاتب:

"يَا بُنَيَّ لَا زِمِ التَّقْوَى، وَتَجَنَّبِ اللَّهْوَ وَالْهَوَى، وَلَا تَعْتَزْ بِالدُّنْيَا، وَكُن حَازِمًا فِي جَيْشِكَ وَمَالِكَ، تَبْلُغْ جَمِيعَ آمَالِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى"⁽³⁾.

نجد الكاتب يجمع في خطابه هذا بين "التحذير والإغراء"، مستعينا باللفظ الصريح

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص358.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص23.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص152.

لكل من "التحذير" (تجنب) والمحذر منه هو (اللهو والهوى)، ولفظ "الإغراء" (لازم) والمغرى به هو (التقوى)، وقد جاء كلاهما اسما ظاهرا، وقد تم في هذا المقطع انجاز فعل "التحذير والإغراء" من قبل المتكلم من باب النصيح والمتمثل في الإلتزام بتقوى الله سبحانه وتعالى وعبادته، بتطبيق أوامره وترك نواهيه خوفا منه ورغبة فيما عنده، وخشية له، وتعظيم لحرماته، وحب صادق له ولرسوله ﷺ".⁽¹⁾

6. العرض والتحضيض:

من آليات التوجيه ويعرف التحضيض بأنه "طلب بحَثٍّ وإزعاج، أما العرض طلب بِلين وتَأدب"⁽²⁾، وفرق "المرادي" بينهما بناء على أثر المقام ففي العرض تعرض على المتلقي الأمر للنظر فيه، أما التحضيض فتقول: الأجدرك أن تفعل، قيل ولذلك يحسن قول العبد لسيده: ألا تعطيني، ويقبح لولا تعطيني⁽³⁾، وينطويان على مقاصد أخرى من متبوع التركيب؛ كالأمر والاستفهام والنفي والتمني والدعاء....، ونبه النحاة والبلاغيون إلى تلك المقاصد في شذرات متفرقة، فأما إفادة الأمر فهي من أوضحها وبخاصة إذا كانت الأداة للتحضيض لأنه حث على إيجاد الفعل"⁽⁴⁾.

ويتحقق التوجيه في "العرض والتحضيض" بأدوات لغوية مختصة بالفعل وهي "هلا، لولا، ألا، ألا لوما" وأحيانا لو"⁽⁵⁾، يقول "أبو حمو":⁽⁶⁾

لَوْلَا الْخِلَافَةُ شَدَّتْنِي فَلَا نَدَهَا لَمْ أَقْعَ بِخَيَالٍ أَوْ يَرِيحَ صَبَبًا

استعمل الشاعر في هذا الموضع الأداة "لولا"، وقد خرجت هنا من معناها الأصلي إلى معنى آخر هو الشرط، و"لولا" أداة شرط غير جازمة (حرف امتناع لامتناع) وقد دخلت على

(1) - عمر سليمان عبد الله الأشقر: التقوى تعريفها وفضلها ومحذوراتها وقصص من أحوالها، دار النفائس للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2012، ص09.

(2) - الأنصاري: مُغْنِي اللَّيِّبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعْرَابِ، ص303.

(3) - ينظر: المرادي: الْجَنَى الدَّانِي فِي حُرُوفِ الْمَعَانِي، فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط 1، 1992، ص 382، 383.

(4) - لينا علي محمود الجراح: الاستراتيجية التوجيهية في التراكيب النحوية، دكتوراه، جامعة اليرموك، كلية الآداب، 2014- 2015 ص109.

(5) - ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص358.

(6) - أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص198.

جملتين؛ الأولى اسمية (الخلافة شدتني قلاندها)، والثانية فعلية (لم أقنع بخيال أو بريح صيبا) لربط امتناع الثانية لوجود الأولى، فالشاعر لم يقتنع بعدم ذهابه لبيت الله الحرام إلا لسبب الخلافة وأمورها ومسؤوليته اتجاه بلاده، فهو السلطان والحاكم والمسؤول عن بلاد والحاميه من الأعداء.

كما نجد أسلوب "العرض والتحضيض" في البيت التالي الذي عبر فيه الشاعر عن استفاقته من غفلته والذي يوحي ويدل على انتصار الإيمان في قلبه والتغلب على شهوات الدنيا، فالإيمان يرفع الإنسان من أسافل الشهوة إلى أعالي العفاف⁽¹⁾، قال في ذلك: (2)

نَفْسِي ضَجَرَتْ لَمَّا افْتَكَّرْتُ هَلَّا نَظَرْتُ مَا يَصْلُحُ لِي

في عبارة (هلا نظرت) دخلت "هلا" على جملة فعلية؛ فعلها ماضي والتي أفادت التوبيخ واللوم، لأن أدوات التحضيض إذا جاء بعدهن الماضي كان توبيخا فيما تركه المتلقي⁽³⁾، فالتوبيخ من حيث المعنى كالتحضيض على فعل ما فات، لأن المخاطب يلام على تركه شيئا في الماضي يمكن أن يتداركه في الحاضر أو المستقبل، و"أبو حمو" هنا يخاطب نفسه على كثرة ارتكابها للذنوب والآثام، فكأنه يلومها ويوبخها على ابتعادها عن الطريق الصحيح، ويحضرها على ترك المعاصي التي تهلكه وأن تتظر إلى ما يصلح له، وهذا ما يسميه "السكاكي" "بتوليد معنى التدبیر إذ يصبح معنى الخطاب هو : ليتك فعلت كذا"⁽⁴⁾، أي ليتني لم أرتكب تلك المعاصي ونظرت إلى ما يصلح لي، إذن أفادت "هلا" في هذا البيت فضلا عن التحضيض "معاني التوبيخ والتدبیر واللوم لهذه النفس، إذ جعلت الشاعر يحس بالندم على ما فاته ولكنه في الوقت نفسه تحثه وتحضه على القيام بما يصلح له في المستقبل، فالتحضيض "فعل تأثيري بالقول، فهو حث المخاطب على انجاز فعل ما، أي تأثير فعلي سلوكي".⁽⁵⁾

(1)- ينظر: يحيى العقيلي: العفة ومنهج الاستغفار، ص108.

(2)- المرجع نفسه، ص24.

(3)- ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص358.

(4)- المرجع نفسه، ص358.

(5)- ينظر: شكري المنجوت: دائرة الأعمال اللغوية (مراجعات ومقترحات)، دار الكتب الوطنية، بنغازي-ليبيا، ط1،

وفي خطاب آخر قال "أبو حمو": (1)

لَوْ كَانَ لِي قُدْرَةٌ مَا كُنْتُ أَتْرَكُهُمْ حَتَّى أَمُوتَ بِفَرْطِ الْحُبِّ مُحْتَسِبًا

الشاهد في هذا البيت هو حرف "العرض والتحضيض" "لو" الذي دخل على جملة فعلية فعلها ماض ناقص (كان) مما أفاد معنى التمني، فكأن الشاعر قال (ليتني كان لي قدرة)، وكل من العرض والتمني من أساليب الطلب، وذلك لما بين "لو" و"ليت" في التلاقي والتقدير، حيث أنك إن عرضت على المخاطب أمراً فقد حثته عليه، ولا تحته إلا على ما تنمناه (2)، ويرى "السكاكي" أن اللفظة الموضوعية للتمني هي (ليت)، وأما (لو) و(هل) فيفيدان العرض (3)، ويرى أيضاً أن "التحضيض" من أقسام التمني يقول: "وكان الحروف المسماة بحروف التنديم والتحضيض وهي (هلا، إلا، ولولا، ولوما) مأخوذة منها مركبة مع (لا)، و(ما) (المزيدتين مطلوباً بالتزام التركيب التنبيه على إلزام (هل) و(لو) معنى التمني" (4)، والشاعر يتمنى زيارة الكعبة المكرمة ليطفئ نار شوقه لها بماء زمزم إلا أنه غير قادر على السفر من أجل رعيته وخوفاً على بلاده، إذن مشاعر كثيرة متضاربة فهناك ألم ووجع جراء حرمان ما يتمناه فؤاده.

7. التوجيه بذكر العواقب:

من الآليات المباشرة والصريحة المجسدة لإستراتيجية التوجيه في العملية التخاطبية استعمال ما يعرف "بالتوجيه بذكر العواقب"؛ فالمتكلم يستخدمها لتوجيه المتلقي للقيام بفعل ما، والسياق وحده من يكشف لنا أغراض هذه الآلية فهي "ليست حكراً على ميدان بعينه أو مرسل خاص" (5)، حيث قام "الشاطبي" بتصنيف بعض الخطابات على أنها أوامر غير مصرح بها وقسمها إلى ثلاث أقسام: (6)

الأول: ما كان خبراً عن حكم ما.

(1) - أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 198.

(2) - ينظر: الجرجاني: المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، العراق، د.ط، 1982، ج 02، ص 1064.

(3) - ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص 408.

(4) - المرجع نفسه.

(5) - ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 362.

(6) - ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 362.

والثاني: ما كان مدحا في الأمر، أو ذما في النهي وترتيب الثواب في الأوامر، وترتيب العقاب في النواهي .

والثالث: المفروض في ما لا يتم الواجب إلا به.

ويأتي التوجيه بهذه الآداة بصور متعددة، كوصف الفعل بالخير أو بالشر في أي خطاب ما، وذلك في مثل قول الكاتب:

"يا بني من تدرع بدرع العدل وفي شر العداء، ومن تلبس بلبس الجور سقي كأس الردى، والعدل خير من ماء الحياة، والجور أشر شيء يتقى، والعدل نعم ما يجتنى، والجور بئس ما يقتنى، والعدل كنز الأمير، وحياة الغني والفقير"⁽¹⁾.

في الخطاب توجيه صريح وحض من المرسل -أبو حمو- إلى المرسل إليه -ابنه- إلى التحلي والتمسك بصفة العدل مما يجعله يتمتع بأخلاق معتدلة، بلا إفراط ولا تفريط، فيجعله جوادا سخيا ويبعده عن التبذير والبخل، والتخلق بالشجاعة، والتي تفصل بين الجبن والتهور، والحلم، الذي يتوسط الغضب والمهانة ، ومصدر كل هذه الأخلاق الحميدة⁽²⁾، فالواجب على الملوك تقوى الله في رعيته والعدل بينهم، لأنهم جميعا في الذمة أمانة، وفي نفس السياق توجيه صريح ونهي بالابتعاد والتخلي عن صفة الجور.

وفي خطاب آخر قال "أبو حمو":

"يَا بُنَي خَيْرَ الْمَالِ مَا وَقَعَ بِهِ الْإِنْتِفَاعُ، وَشَرَّ الْمَالِ مَا تَرَكْتَهُ لِلضِّيَاعِ"⁽³⁾.

يعتبر المال من نعم الله تعالى على عباده، وكل نعمه تستحق التقدير، والكاتب حريص على تعليم ابنه الحفاظ على المال وإرشاده بأن يحسن تدبيره وإنفاقه في الخير .
كما يأتي "التوجيه بذكر العواقب" من خلال وصف الفعل بأنه سبب لنتيجة سيئة كمثل قول "أبي حمو":

(1)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص24.

(2)- ينظر: خالد بن جمعة بن عثمان الخراز: موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2009، ص25.

(3)- المرجع نفسه، ص28.

"يا بني إذا لقيت عدوك في الحرب فاجعل رايتك أمامك ونظرك أمامك ولا تلتفت يمينا ولا شمالا يورث خبالا لأنك ربما رأيت في احد الجناحين انكسار خاطرك لذلك ويدعوك الشره ابتدارا فتميل إليهم بمن معك من العساكر في الباطن والظاهر، لأن ميلانك سبب الفساد والخروج عن الاقتصاد"⁽¹⁾.

الشاهد في هذا المقطع عبارة (لأن ميلانك سبب الفساد) وتوجيه الكاتب لولي عهده هنا واضح وصريح في الانتباه في الحرب والتقليل من التقلب والتحريك يمينا وشمالا لأن هذا الأخير يشنت الانتباه ويؤدي إلى عدم التركيز فيكون سبب في الخسارة.

كما أن التوجيه بذكر الحسنات للأمر، يعتبر آلية من آليات التوجيه الصريحة التي استخدمها "أبو حمو" في كتابه ونجد ذلك في قوله:

"اعلم يا بني، أن العفو وصف محمود، وفضل يتصف به أهل الجود ويألفه الوجود. لا سيما في الملوك عند القدرة، فإنه من أحمد الخصال في الشهرة"⁽²⁾.

لجأ الكاتب إلى تعداد حسنات العفو حتى يوجه ابنه إلى للتخلي به واكتسابه عن اقتناع ورغبة في ذلك ولهذا عمد إلى توجيهه بذكر بعض صفاته أمامه وذلك أقوى لتوجيهه فالعفو تاج يزين به المرء نفسه، يقول ﷺ: (ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا)، فالحديث يؤكد أن العزة ثمرة أكيدة لممارسة العفو في دنيا الناس، وتزداد شعبية العافي، وبخاصة إذا كان رجلا قياديا، وكل من رآك تعفو سيكون جندي في خدمتك يدافع عنك⁽³⁾، ومن صيغ "التوجيه بذكر العواقب" أيضا، إنجاز الفعل بوعده أو وعيد كقول الكاتب:

"يا بُني مَنْ أَفْشَى سِرِّكَ سِرًّا فَعَاقِبُهُ سِرًّا، مَنْ أَفْضَى سِرِّكَ جَهْرًا فَعَاقِبُهُ جَهْرًا"⁽⁴⁾.

أمر آخر يراه الكاتب لازما للعدالة وهو العقاب، والموضوع هذه المرة كان كشف السر، وخيانة الثقة في كتم الأسرار وحفظها، وكما يظهر أن "أبا حمو" متخوف على ابنه من أن يأتهم أسرارهم لأشخاص ليسوا أهلا لذلك، فأراد توجيهه من خلال لفظ الوعد بالعقاب

(1)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص155.

(2)- المصدر نفسه، ص166.

(3)- ينظر: محمود محمد عمارة: العفو أو الفضيلة الغائبة، ص21.

(4)- محمود محمد عمارة: العفو أو الفضيلة الغائبة، ص167.

في عبارة (فعاقبه) والتي تكررت مرتين في سطر واحد لتبيان أهميته في تحقيق النظام داخل المجتمع.

اعتمد الكاتب على أسلوب "الشرط" بفعليه، لذكر النتائج، والتي تعتبر من مؤشرات "التوجيه بذكر العواقب" كقوله: (1)

"يَا بُنَيَّ، الْعَقْلُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ الْإِنْسِ مَنْ اسْتَظَلَ بِهَا وَلَازَمَهَا اجْتَنَى مِنْهُ ثَمَرَةَ الْمَحَبَّةِ، يَا بُنَيَّ، مَنْ يَرْحَمَ يَرْحَمَ، وَمَنْ يَصْنُمْتُ يُسَلَمَ، وَمَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ يَغْنَمَ، وَمَنْ يَقُلُ الشَّرَّ وَالْبَاطِلَ يَأْثَمَ، وَمَنْ لَا يَمْلِكُ لِسَانَهُ يَنْدَمَ".

في هذا الخطاب متوالية من الأفعال الشرطية وهي على التوالي (استظل بها ولازمها، يرحم يصمت، يفعل الخير، يقل الشر والباطل، لا يملك لسانه)، مرتبطة بأفعال جواب الشرط وهي على التوالي (اجتنى منه ثمرة المحبة، يرحم، يسلم، يغنم، يأثم، يندم) فالمرسل حريص على إرشاد ابنه على تغليب عقله على هواه، "قال سعيد بن جبر: ما رأيت لباسا أشرف من العقل [...]"، وأول ما يحتاج إليه البليغ العقل⁽²⁾، والمرسل إليه يدرك أن هذا الخطاب يؤدي عند تأويله أنه خطاب أمر ونهي، فأما خطاب الأمر فيأمره أن يكون عاقلا حليما رحيفا فاعلا للخير، وأما النهي فينهاه عن الباطل وأن لا يكثر التكلم في كل الأمور حتى لا تعود عليه بالضرر.

كما أن احتمال حدوث أمر ويكون حدوثه بعيدا أو مشكوكا في حصوله في المستقبل آلية من آليات "التوجيه بذكر العواقب" مثل ما جاء في قول "أبي حمو": (3)

"يا بني، وإذا فعلت فعلا حسنا، فلا تكن شاكرا نفسك لغيرك، ولا تظهر الإعجاب لنفسك، وعليك بالزينة في جلوسك وركوبك، والتطيب والتجمل بالحسن من الثياب فإن ذلك يزيد مهابة وجمالا في أعين الناس".

قال الله تعالى: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ} [سورة النحل، الآية: 23]، والكاتب يخشى على ولده أن يغتر بنفسه، فيتحجر قلبه ويضعف إيمانه، فيوجهه إلى عدم الإعجاب بنفسه،

(1)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص26.

(2)- الغزالي: التبر المسبوك، ص115، 116.

(3)- المرجع نفسه، ص42.

وهذا الأمر مشكوك في حصوله إلا أن الكاتب نصح ابنه وحذره كي لا يقع فيه.

8. التوجيه بألفاظ المعجم:

من الآليات المجسدة لإستراتيجية التوجيه في العملية التخاطبية، استعمال ما يعرف بـ "الألفاظ الدالة على التوجيه"، بغرض النصح أو التوسل أو التهديد أو الوعيد، والتي يستخدمها المرسل تداوليا للتأثير والتغيير في حال المرسل إليه، ومن الألفاظ التي يستخدمها الكاتب للدلالة على التوجيه؛ "لفظ الوصية" ونجد ذلك في قول "أبي حمو":⁽¹⁾

"يا بني، اعمل بوصيتي تنجح، وجانب معصيتي تفلح، فإنك إن عملت بوصيتي رجوت لسلطانك الدوام، ولخلافتك السعادة مدى الأيام والله خليفتي عليك فيما دونته إليك".

تقول "ديبرا هابيني سياقولا": ابذل جهدا واعيا لحث ابنك، وأظهر إيمانك له بما سيصبح عليه، وتساهم المشاعر الإيجابية في التعلم والنجاح⁽²⁾، والكاتب حريص على توجيه ابنه للنجاح في أموره من خلال لفظة (وصيتي)، والتي تكررت في هذا المقطع مرتين وذلك لتأكيد كلامه، وتبيان أهمية وصيته في سعادة أيامه ودوام ملكه، ولأن المواعظ ترقق القلب وترد إلى الحق ردا جميلا، وتبصر إلى المنافع، فمن ثم أمر الله وذكر بها، قال الله تعالى: { وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا }⁽³⁾.

وكذلك نجده يستعمل اللفظ الدال على النصح في وعظه لابنه، فهو أعلم به وأعلم بما يصلح له وينفعه، قوله: ⁽⁴⁾

"فَاخْذِ يَا بُنَيَّ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ تَسْعِدُ وَتَرْشِدُ".

ولما كانت الذكرى تنفع المؤمنين، قال الله تعالى: { وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } [الذاريات، الآية: 55]، وفي المقطع السابق توجيه واضح من الأب لابنه من خلال لفظتي (تسعد وترشد) بأن لا يهمل نصائحه التي أوصاه بها التي تعود عليه بالتأكيد بالنفع،

⁽¹⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص44.

⁽²⁾ ديبيرا هابيني سياقولا: 50 طريقة لمصادقة ابنك المراهق، ترجمة: دينا إرنست، الأنجلو، القاهرة-مصر، د.ط، 2003، ص24.

⁽³⁾ ينظر: مصطفى العدوي: قصة وصايا لقمان، دار الصحيفة، د.ب، د.ط، د.ت، ص06.

⁽⁴⁾ مصطفى العدوي: قصة وصايا لقمان، ص30.

وأن ينصت لما قاله تمكيناً له من اجتياز مشاكل الحياة فيكون بذلك سعيداً قد اختار الطريق الصحيح، وهذا الخطاب ذو طبيعة توجيهية مباشرة لأن مجاله يحتاج إلى توجيه صريح في الخطاب.

كما يظهر أيضاً التوجيه بـ "ألفاظ المعجم" في المدونة من خلال "ألفاظ التوسل"، التي تدل هي الأخرى على التوجيه في مثل قوله: (1)

إِنِّي بِذُنُوبِي مُعْتَرِفٌ وَالْخَوْفُ أَشَدُّ مِنِ الْأَلَمِ
يَا رَبِّ إِذَا لَمْ تَعْصِمْنِي مَالِي مِنْ ذُنُوبِي مِنْ عَصَمِ
كَمْ أَجْنِي الذَّنْبَ وَتُمْهَلْتِي وَتَقَابِلُ ذَلِكَ بِالنِّعَمِ
وَلَكُمْ عَصِيَّتُكَ وَتَسْتُرُنِي يَا ذَا الْأَفْضَالِ وَالْكَرَمِ
مَا زِلْتُ بِفَضْلِكَ تَرْحَمُنِي وَتَجُودُ عَلَيَّ مِنَ الْقَدَمِ

يتوجه المرسل -أبو حمو- بكلامه إلى الله جل شأنه، لطلب الرحمة والمغفرة، من خلال الألفاظ التالية (تعصمني، تمهلي، تسترني، ترحمني) الواردة في الأبيات الشعرية السابقة والتي تنتمي إلى "ألفاظ التوسل"، فمن خلالها يتضرع الشاعر لربه طالباً التوبة والمغفرة من العزيز الغفور، لينال رضاه وعفوه، والتوسل واجب على كل مؤمن ظاهراً وباطناً، ولا سبيل إلى النجاة من عذاب الله إلا الخضوع له والتوسل إليه (2).

كما أن "ألفاظ المناشدة" من ألفاظ التوجيه، ونجدها في قوله: (3)

نَدِمِي إِذَا لَمْ أَعْمَلْ قَدَمِي عَوَظَ الْقِرْطَاسِ مَعَ الْقَلَمِ
بَدْعَاءَ مُوسَى وَبِإِدْرِيسَا يَرْجُو مُوسَى كَشَفَ الْأَلَمِ

من خلال خطاب المرسل -أبو حمو- نلمس توجيهها من خلال الفعل المضارع (يرجو) والذي يعتبر لفظاً من "ألفاظ المناشدة"، وكان قصده واضحاً وهو مناشدة الله عز وجل وطلب المغفرة، والتوسل إليه لإزالة عنه الألم والعذاب الذي يعتريه جراء ذنوبه التي

(1)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 29.

(2)- ينظر: ابن تيمية: التوسل والوسيلة، ص 05، 06.

(3)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 30.

اقترفها.

كما نجده يستعمل "ألفاظ التوجيه" من خلال "لفظ التحذير" في قوله: (1)

"اعلم يا بني أن أصل السياسة التدبر، ولا يكون التدبير إلا بفكر صائب سليم لأنه من تفكر تدبر، ومن تدبر تخير وتحذر، وكاد الحذر أن ينجي من القدر".

استخدم الكاتب "لفظ الحذر" بالصيغة الصريحة، والذي تعتبر من "ألفاظ المعجم" ليدل على حرصه الشديد بتبليغ قصده التوجيهي والغرض؛ هو إرشاد ابنه بأن يكون حذرا في كل تصرفاته، متبعا مواعظه، "وهذا شأن أهل الفضل مع أبنائهم يقدمون لهم المواعظ، ويخوفونهم بالله، ويحذرونهم من عقابه، ويرشدونهم إلى من ربهم ولقائه، ويسألون لهم الله الهداية"(2)، لقوله عز وجل: {وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي} [الأحقاف، الآية: 15].

من خلال هذه المقاطع السابقة نجد أن المخاطب ابتعد عن الخطاب التوجيهي الصريح المباشر، الذي قد ينفر منه المخاطب مستعينا الطريقة الغير المباشرة حتى يتمكن من استمالته وتبليغ مقاصده.

9. التوجيه المركب:

تتحقق الاستراتيجية التوجيهية بجمع أكثر من آلية توجيهية في نفس السياق في توجيه متلقي الخطاب، حيث تدعم أحدهما الأخرى ويطلق عليها بـ "التوجيه المركب"؛ فقد يجمع بين أسلوبين مختلفين في الخطاب نفسه، كاستعمال آليتي النهي والأمر المعاكسين لبعضهما شكلا، غير أنهما ليس كذلك، إذ يكمل أحدهما الآخر ويوضحه، فيعمد المتكلم مثلا بالأمر إلى تعيين المنهى عنه أو توضيح قصده، وذلك لأن قصد المتكلم فيهما واحد(3)، كما جاء في الخطاب التالي لـ "أبي حمو": (4)

"يا بني وإذا قربت من عدوك فلا تعجل عليه بالحملة ولتأخذ في أمورك بالتأني والمهلة فإنه لابد لكل دفعة من رجعة ولكل كبوه من رفعة".

(1) نفسه، ص 58.

(2) مصطفى العدوي: قصة وصايا لقمان لابنه، ص 25.

(3) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 363.

(4) أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص 158.

استعمل الكاتب في توجيه ابنه صيغة "النهي" في عبارة (لا تعجل عليه بالحملة)، ثم فسر قصده بعد ذلك بصيغة "الأمر" بعبارة (لتأخذ في أمرك بالتأني والمهلة) فنجدته يجمع بين مؤشرين من مؤشرات التوجيه في خطاب واحد، ويمكن أن يرجع هذا إلى أن الخطاب مكتوب لا شفهي، لأن القصد لابد أن يقوم على التحديد والتفسير، فلا فرصه للمتلقي ليفهم القصد، حيث لا تجمعته إشارات خطابية مصاحبه للخطاب كما في الخطاب الشفهي، ولا يمكنه الإستفسار عن أي غموض مباشر من المتكلم، الأمر الذي قد يفكر فيه عند إلقاء كلامه، فيضع نفسه موضع المتلقي، فالمتكلم لا يريد أن يدعه يؤول خطابه التأويل السيئ خصوصا إن كان يتضمن قرارات مهمة⁽¹⁾، وقد أبرزت الأفعال السابقة رغبة المتكلم -أبو حمو- في توجيه ابنه إلى التأني وعدم الإسراع في اتخاذ أموره، وكذا أبرزت الاستعداد من قبل المخاطب -ابنه- فاقتضى المقام النهائي للتعبير عن توجيه مركب يتكون من "الأمر والنهي".

كما قد يجمع المتكلم بينهما -الأمر والنهي- بالتلفظ بأحدهما ويجعل الثاني مستلزما له وهذا حاصل في أن الأمر بالشيء هو نهي عن ضده من طريق المعنى في مثل قوله: "يا بني خذ المال من حقه وأنفقه في مستحقه تكن أعدل الناس وأفضل من ملك وساس فما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان الخرق في شيء إلا شانه"⁽²⁾.

وجه "أبو حمو" ابنه إلى حسن اكتساب المال، وحسن التصرف في إنفاقه، "فالواجب أن يبتدأ بالقسمة بالأهم فالأهم من مصالح المسلمين العامة"⁽³⁾، وقد استعمل في ذلك أسلوب "الأمر" في قوله (خذ المال من حقه)، وكذلك في قوله (أنفقه في مستحقه)، ليكون بذلك أعدل الناس وأفضلهم، وإذا حمله حب المال على المغامرة في تحصيله وإنفاقه، لن يكون بذلك عادلا، فعلى الرغم من عدم التلفظ بـ "النهي" إلى أن السياق جعله لازما لـ "الأمر" في خطابه، فليس المراد أن الأمر هو النهي، بل المراد بأمر بالشيء يدل على منعه من عكسه عن طريق الإلزام ولا يمكنه أن يقوم بالمأمور به إلا بأن يترك ضده وعليه وجب أن صيغة الأمر

(1) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 364.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 29.

(3) ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص 72.

تتضمن النهي عن ضده (1).

وقد يجمع الخطاب الواحد أكثر من آلية لا علاقة بينهم من الناحية اللغوية، كـ "الجملة الخبرية وفعل "الأمر" كما في خطاب "أبي حمو" التالي: (2)

"يا بني تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره فاجمعه من مواضعه ووفره، ولمّ جبايته وثمره، وقو مادته بالعدل، وتوسط في العطاء والبذل".

وجه الكاتب ابنه إلى كيفية توفير المال واستغلاله باستعمال "الجملة الخبرية" (تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره)، وجمع معها "الأمر" (اجمعه، ووفره، لمّ، قو، توسط) وفيها توصية إلى الحفاظ على المال وادخاره وحسن التصرف فيه ليعود بالخير على نفسه ودولته ورعيته، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: - ليس أحد أحق بهذا المال من أحد". (3)

كما تم الجمع بين "الجملة الخبرية" و"أسلوب النهي" من جهة كما في قوله: (4)

"اعلم يا بني أن العدل سراج الأمة فلا تطفئ سراج العدل بريح الظلم، فإن ربح العدل إذا عصفت قصفت، وريح العدل إذا هبت ربت، ومن شروط الإمامة العدل في الأحكام، ...".

استخدم الكاتب "الجملة الخبرية" (العدل سراج الأمة) ليبين لنا أهمية العدل في قيام أي دولة، وقد شبهه بالسراج الذي ينير الدرب، مضيفاً صيغة "النهي" (لا تطفئ سراج العدل بريح الظلم)، والتي جاءت مدعمة لما سبقها، فالقارئ لهذا الخطاب يتحسس مدى حرص الكاتب على نصح ابنه وتخويفه من عاقبة الظلم، فديننا يحثنا على الحكم بين الناس بالعدل، لقوله {فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات، الآية: 09].

كما قد يجمع المرسل بين أسلوبين متدافعين؛ أي بين حث و"إغراء" من جهة، و"تحذير" من جهة أخرى، فيمنح الخطاب قوة حيث يفرغ ذهن المتلقي أولاً ثم يملؤه في ثانياً

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص364.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص28.

(3) ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص72.

(4) أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص23.

كما في قول "أبي حمو" التالي: ⁽¹⁾

"يَا بُنَيَّ لَا زِمَ التَّقْوَى وَتَجَنَّبَ اللَّهُ وَالْهَوَى، وَلَا تَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا، وَكَنْ حَازِمًا فِي جَيْشِكَ وَمَالِكَ، تَبْلُغَ جَمِيعَ آمَالِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى".

نصائح ثمينة تعلمها الكاتب إبان تجربته الطويلة في الحياة، وأراد أن ينقل تجربته لابنه فنجده في هذا الخطاب التوجيهي يوصي ابنه بملازمة التقوى لأنها إذا حلت في القلوب، "اطمأن القلب، وانشرح الصدر... وأعظم تقوى أن نتق الله حق تقاته... وهو أن يُطاع، ولا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر، فلا يُكفر"⁽²⁾، وقد استعان الكاتب في توجيهه بأسلوب "الإغراء" بعبارة (لازم التقوى)، وكذلك أسلوب "التحذير" في عبارة "تجنب اللهو والهوى" لإرشاده إلى لزوم التقوى ومخالفة شهوات الحياة الدنيا، فعافية الدين في أمور ثلاثة: عدم اتباع الهوى، والعمل بأوامر الدين، وعدم الحسد ⁽³⁾، والتقوى نقيض الهوى فجاءت بذلك آلية "التحذير" مدعمة لآلية "الإغراء"، فكان وراء توظيف هذين الأسلوبين كلام غير مباشر خرج إلى التوجيه النصيح والوعظ والإرشاد.

خلاصة القول:

أراد "أبو حمو" من خطابه التوجيهية تبليغ مقصده التوجيهي، مع الإصرار على تثبيت المعنى وترسيخه في نفس متلقيه بصيغة صريحة مباشرة بعيدة عن المرونة، ودون اعتبار لطبيعة العلاقة التي تجمعهم بالمرسل إليه، مستندا في ذلك على البعد السلطوي من خلال فرض سيطرته على المتلقي وتوجيهه للفعل، أو التركن خلال خطابه المشبع بآليات الاستراتيجية التوجيهية بما تحمله من أوامر ونواهٍ وغيرها، والتي تعتبر إضافة فعالة للخطاب إذ لا يحمل تأويلا غير معناه الحرفي.

⁽¹⁾- أبو حمو موسى، واسطة السلوك، ص152.

⁽²⁾- عمر سليمان الأشقر، التقوى، ص35.

⁽³⁾- ينظر: الغزالي: التبر المسبوك، ص109، 110.

الفصل الرابع

الاستراتيجية الخطابية التلميحية

المبحث الأول: الاستراتيجية التلميحية
المبحث الثاني: الوسائل اللغوية التلميحية

الفصل الرابع: الاستراتيجية الخطابية التلميحية

المبحث الأول: الاستراتيجية التلميحية:

في الكثير من الأحيان يعدل المرسل في خطابه مع المرسل إليه، من الخطاب الظاهر المباشر الصريح، إلى الخطاب الخفي الغير المباشر لتحقيق أهدافه التواصلية، فيتوخى بذلك بعض الضوابط التي تضمن الإفادة والتبليغ، إذ من خلالها يتم تحديد آليات تمكن المتكلم من الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى الضمني، مستثمرًا كفاءته التداولية، ومدركًا أن هناك العديد من الأساليب التي تمكّنه من قول شيء بينما يقصد به شيئًا آخر ، وهذا ما يعرف تداوليا بـ "الاستراتيجية التلميحية".

1. مفهوم الاستراتيجية التلميحية:

لا تتجاوز استراتيجيات المرسل عند إنتاج خطابه نوعين من الاستراتيجيات من حيث الدلالة، فإما أن يستعمل الاستراتيجية المباشرة التي يتضح فيها قصده مباشرة دون أي عمليات ذهنية للاستدلال عليه، وإما أن يستخدم الاستراتيجية الغير مباشرة، وهي عمليات تتطلب من المتكلم جهدًا ذهنيًا يتجاوز الشكل اللغوي الظاهري من أجل الوصول إلى المقصد الحقيقي من الخطاب ⁽¹⁾، ويرى "أحمد المتوكل" أن القوة الإنجازية الملازمة للعبارة اللغوية يمكن أن تتجلى في شكلين اثنين أو قوتين متميزتين؛ قوة إنجازية حرفية؛ مدلول عليها بطريقة مباشرة، وتبقى تلازم العبارة في مختلف المقامات التي ترد فيها، وقوة إنجازية مستلزمة؛ تتولد عن العبارة اللغوية الأولى طبقا لمقتضيات مقامات معينة، ومرتبطة بها بحيث تتولد إلا في طبقات مقامية معينة⁽²⁾.

هذه الاستراتيجية الغير مباشرة يطلق عليها "الاستراتيجية التلميحية" وتعرف بأنها "الاستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقول، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر به بغير ما عند اللفظ مستثمرًا في ذلك عناصر السياق⁽¹⁾، من غير طريق التصريح المباشر والدلالة الظاهرة،

⁽¹⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 369، 370.

⁽²⁾ ينظر: أحمد المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، د.ب، ط 1، 1993، ص ص 21، 23.

⁽¹⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص 370.

وعليه، يمكن القول إن الأفعال اللغوية الإنجازية غير المباشرة لا تُفهم إلا بعد إجراء عملية ذهنية استدلالية، تصبح فيها العبارة اللغوية الظاهرة مجرد وسيط يُمكن المتلقي من الوصول إلى الفعل الإنجازي غير المباشر الذي يقصده المرسل⁽¹⁾.

2. مسوغات استعمال الاستراتيجية التلميحية:

مما يدعو المرسل إلى اختيار الاستراتيجية التلميحية ما يلي: (2)

- التأدب في الخطاب، إذ يُعد أحد أهم الدوافع لاستخدام الاستراتيجية غير المباشرة في الخطاب، حيث توجد صيغ عديدة تُعد بطبيعتها وسائل مألوفة للتلفظ في التعبير عن الطلب بطريقة غير مباشرة، وبناءً عليه تستند هذه الاستراتيجية إلى المعنى الضمني المستلزم من البنية الظاهرة للخطاب، ويُعرف المعنى الضمني بأنه المعنى غير المصرح به صراحة في العبارات المنطوقة، بل يُفهم من السياق أو من خلال الاستدلال.

- سعي المرسل إلى تعظيم ذاته وإبراز تفوقه مقارنة بالآخرين، ولو كان ذلك على حسابهم.

- نزوع المرسل إلى التملص من مسؤولية خطابه والتهرب من تبعاته المباشرة.

- دافع الخوف، يلجأ المرسل إلى هذه الاستراتيجية تجنباً لاحتمال اتخاذ المرسل إليه لخطابه حجةً ضده، ولهذا قد يردّ عليه المرسل إليه بخطاب تلمحي يتّسم بالحدز بدوره.

- الابتعاد عن محاولة إكراه المتلقي أو إحراجه لإنجاز فعل ما غير راغب في إنجازه، ومنحه فرصة للرفض.

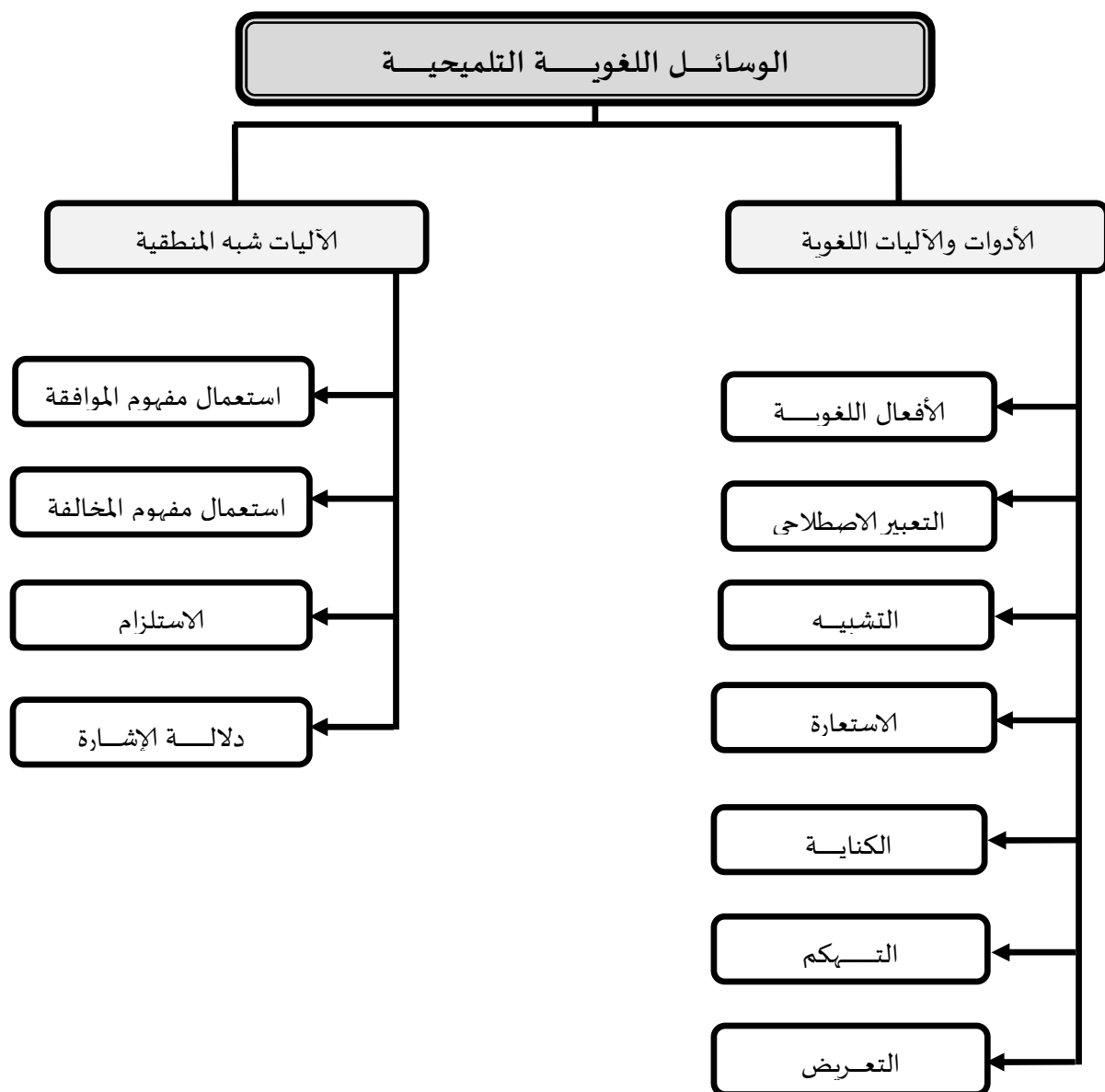
- الاكتفاء بإنتاج خطاب واحد يؤدي معنيين الحرفي والمستلزم منه في آن واحد بدل عدد من الخطابات.

(1) نفسه، ص 370.

(2) نفسه، ص 371، 373.

المبحث الثاني: الوسائل اللغوية التلميحية

هناك طرق عديدة تعبر بها عن شيء ما وأنت تعني به شيئاً آخر، هذه الطرق هي عبارة عن الأدوات والآليات التي تعتمد عليها الاستراتيجية التلميحية، وهي "قسمين: تشمل الأدوات والآليات اللغوية، بما في ذلك الآليات البلاغية والشبه منطقية، مجموعة من الأساليب التي تتدرج تحتها العديد من الأدوات والآليات المختلفة⁽¹⁾، وسنعرض فيما يلي مخططاً توضيحياً لتلك الوسائل: مخطط رقم 04



⁽¹⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 385.

1. الأدوات والآليات اللغوية:

يمكن للمرسل في العملية التواصلية أن يعبر عن مقصده التلمحي من خلال اختيار آليات لغوية مناسبة تؤدي إلى المعنى الضمني المقصود، يُطلق على هذا النوع من التواصل "غير المعلن" أو "الضمني"، حيث يقوم المتكلم بإيصال رسالة ضمنية قد تختلف عن المعنى الظاهر للكلام، بينما يستقبل المستمع الرسالة ويفهم ما هو أبعد من الكلمات المنطوقة⁽¹⁾، ومن هذه الأدوات:

1.1. ألفاظ الكنايات والروابط والظروف الإنجازية:

من الآليات التي يمكن أن يستند إليها مرسل الخطاب لتبليغ مقصده الخطابية بطريقة غير مباشرة؛ "ألفاظ الكناية"، وهي تُستخدم الألفاظ المبهمة للدلالة على عدد غير محدد أو حديث أو فعل غير مشخص، ومنها: "كم"، "وكذا"، "وكأين"، "وكيت"، و"ذيت"⁽²⁾، والتي لها الدور البارز في التلميح عن ما يكنه المتكلم في نفسه ويريد إيصاله للمتلقي، ومن "ألفاظ الكناية" الذي أكثر استعمالها "أبو حمو" في خطابه التلمحي "كم الخبرية"، منها قوله: ⁽³⁾

إني بذُنُوبِي مُـغْتَرَفٌ وَالْخَوْفُ أَشَدُّ مِنَ الْأَلَمِ
يَا رَبِّ، إِذَا لَمْ تَعْصِمْنِي مَالِي بِذُنُوبِي مِنْ عَصَمٍ
كَمْ أَجْنِي الذَّنْبَ وَتُمْهَلُنِي وَتَقَابِلُ ذَلِكَ بِالنَّعَمِ
وَلَكُمْ عَصِيَّتُكَ وَتَسْتُرُنِي يَا ذَا الْإِفْضَالِ وَذَا الْكَرَمِ
مَا زِلْتُ بِفَضْلِكَ تَرْحَمُنِي وَتَجُودُ عَلَيَّ مِنَ الْقَدَمِ

يقوم لفظ الكناية "كم" على "كاف التشبيه، وما الاستفهامية"⁽⁴⁾، وهي عبارة عن أداة

⁽¹⁾ ينظر: العياشي أدواري: الاستلزام الحوارية "من الوعي بالمخصوصات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الطابطة لها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص07.

⁽²⁾ ينظر: مصطفى بن محمد سليم الغلابي: جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط28، 1993، ج1، ص145.

⁽³⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص29.

⁽⁴⁾ التوحيد أبو حيان: ارتشاف الضرب، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط01، 1998، ج02، ص776.

للإخبار عن معدود كثير، ولكنه غامض العدد والكمية⁽¹⁾، وفي عبارة (كم أجنبي الذنب وتمهلني) لم تأتي من أجل الاستفهام بل من أجل الإخبار، لأن "المتكلم بالخبرية لا يتطلب جواباً من السامع، لأنه مخبر غير مستخبر، بخلاف الاستفهامية"⁽²⁾، كما جعل منها حلقة وصل بين المعنى الحرفي الأصيل، والمعنى المتضمن في شكل الجملة، فالذي يفهم من هذه العبارة أن الشاعر لا يخبر الله عز وجل بكثرة معاصيه وذنوبه، بل يلمح بأن زلاته قد بلغت حداً لا يطاق، وقد استفاق ضميره واعترف بها وأراد التوبة، إذ أراد أن يقول (كانت أخطائي كثيرة، ومع كثرتها إلا أنك العزيز الغفور تقابل ذلك بالستر والنعم الكثيرة علي)، وهذه رحمة الحق سبحانه وتعالى على عباده، فالذنب لا يؤدي إلى العقاب إذا تاب الشخص المذنب وقبل الله توبته وغفر له، فالله سبحانه وتعالى يصفح عن المذنبين والعاصين الذين تابوا وعادوا إلى الطريق المستقيم⁽³⁾ كما ورد في قوله تعالى: {وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [سورة غافر، الآية: 107].

كما نجد توظيف "كم الخبرية" في المدونة في قوله: ⁽⁴⁾

وَكَمْ مِنْ فَيَافٍ قَدْ قَطَعَتْ أَكَامَهَا وَكَمْ نَسْمَةٍ جَادَتْ عَلَيْهَا نَسَائِمِي

إن استعمال "كم الخبرية" في البيت السابق لا يعبر بها مرسل الخطاب عن كثرة قطعه للصحاري والطرق الوعرة، وإنما يلمح بها إلى قصد آخر مغاير تماماً لمجموع الكلمات التي تكون الجملة، والذي يتمثل في الافتخار بقوته وشجاعته في اقتحام المخاطر، وهذا ما يعرف بـ"التعمية والتغطية"، وذلك بعدم الإفصاح عن الشيء الذي تريده⁽⁵⁾، ومن هنا يكون الدافع لاستخدام "كم الخبرية" هو التعبير عن الفخر والمدح من خلال الإشارة إلى كثرة شيء مرغوب ومعروف⁽⁶⁾، وبطبيعة الحال فإن متلقي الخطاب لابد أن يتمتع هو الآخر بالكفاءة اللغوية والتداولية ليفهم قصد المرسل التلمحي من هذا الاستعمال، وفهم الكلام وتأويله من

(1)- ينظر: عباس حسن: النحو الوافي، ج4، ص572.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، ص576.

(3)- الشعراوي: التوبة، ص137.

(4)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص38.

(5)- ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص26.

(6)- عباس حسن: النحو الوافي، ص573.

قبل المستمع يكون مرتبطا بالسياق، لأن هناك ظروفًا معينة ينتج من خلالها الخطاب لابد من مراعاتها عند القيام بعملية التأويل لمعرفة معنى ذلك الخطاب، و"الكثير من العبارات اللغوية، إذا رعي ارتباط معناها بسياقات إنجازها لا تتحدد فقط فيها ما تدل عليه صيغها الصورية، لذا يلزم اعتماد تأويل آخر ملائم يحتم الانتقال من معنى صريح إلى معنى مستلزم"⁽¹⁾.

ويمكن للأداة "حتى" هي الأخرى أن يستعين بها المرسل إلى التعبير عن قصد خفي في فحوى كلامه التلمحي، وإلى رغبته في عدم الإفصاح بالشيء الذي يريده، ويشترط أن يكون "ما بعدها عظيما، أو حقيرا، أو قويا، أو ضعيفا"⁽²⁾، مثلما جاء في خطاب "أبي حمو" التالي مع ابنه عن موضوع الجهاد: ⁽³⁾

"وقد خاطرنا نحن في ذلك وسلطنا بحول الله أحسن المسالك، وأوردنا العدى موارد المهالك، وذلك لما هاجتنا الحمية، ودعتنا النفوس الأبية للانتصار لملكنا وسلطاننا... فلما التقى الجمعان، وشرعا في الضراب والطعان، رأوا منا ما لا قبل لهم به...، وتزلزلت منهم الأقدام، وانهزموا هنالك أي انهزام، حتى كان البطل الشجاع من أبطالنا يقدم منهم عشرة من أمام، طعنا بالرمح وضربا بالحسام".

نظرا لما يحتله الجهاد من مكانة هامة في الإسلام، حث الله عز وجل عباده المؤمنين عليه في سبيله، ووجههم إليه بالأمر والتشجيع، وقدم لهم وعدًا بالمكافأة من خلال وعدهم بالجنة التي عرضها السماوات والأرض⁽⁴⁾، والكاتب من خلال المقطع الخطابي يشيد بشجاعة الفرسان الأبطال ويفتخر بحماستهم وقدرتهم على استرجاع ملكهم من بني مريـن، كما يسعى أيضا إلى تبليغ قصده التلمحي إلى ولي عهده والتأثير فيه وتوجيه سلوكه إلى التحلي بصفة الشجاعة التي تعتبر وسط عدل بين فضيلتي التهور والجبن، والتي تركز على الجود في الاستعداد لبذل كل غال ونفيس في سبيل تحقيق جلائل الأعمال⁽⁵⁾، لأن الملك إذا

(1)- العياشي أدوري: الاستلزام الحواري، ص 87.

(2)- التوحيد: ارتشاف الضرب، ج 02، ص 1999.

(3)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 33، 34.

(4)- ينظر: عبد الله بن المبارك: كتاب الجهاد، تحقيق: نزيه حماد، دار المطبوعات الحديثة، جدة، د. ط، د. ت، ص 40.

(5)- ينظر: مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مديولي، القاهرة، ط 2، 1999، ص 98، 99.

كان شجاعا كان منصورا مطاعا، يعتمد عليه جيشه في الحروب، ويخاف من سطوته الأعداء، فتصبح بذلك "حتى" أداة فاعلة في خطاب "أبي حمو" الضمني، ويرى النحاة أن الرابط "حتى" يفيد الانتهاء، وأن ما بعدها داخل فيما قبلها، إذا كان جزاء ونتيجة لما قبلها⁽¹⁾، و في اللغة اليومية، وتحت تأثير أهداف تواصلية محددة، قد يتم استخدام جملة معينة للتعبير عن معنى مغاير لما يبدو عليها ظاهراً. وبذلك، يحدث الانتقال من المعنى "المباشر والصريح" إلى معنى غير صريح أو مستلزم، يعتمد على السياق والنية المخفية للمتكلم، هذا النوع من التواصل يعتمد على فهم المتلقي للرسالة في إطار الظروف والسياقات التي تطرأ، مما يجعله أكثر مرونة في تفسير المعنى المقصود⁽²⁾.

ومن أمثلة أيضا توظيف التلميح بالأداة "حتى" في المدونة قوله: ⁽³⁾

"وهذا يا بني مثل الوليد بن عبد الملك"⁽⁴⁾... وكان الوليد كثير الهتار مخلوع العذار، لا يرعوي لعذل عاذل، ولا يسمع النصح من قول قائل، حتى انتزع ملكه وتبدد سلكه، فهذا يا بني لم يصلح دنياه ولا أخراه، ولا ظفر بطائل مما تمناه".

وظف "أبو حمو" الأداة "حتى" في خطابه السابق مع ابنه في حديثه عن الملك الظالم الجائر على الرعية، مقدما له مثالا على قوله بالملك (الوليد بن عبد الملك)، وما كان مصيره جراء جوره وظلمه، والملاحظ من عبارة (حتى انتزع ملكه وتبدد سلكه) أنها تحمل خطابا تلميحيا أيضا عن طريق أسلوب التضمين الغير مباشر، والذي يقتضي على المخاطب التنقيب عنه بالاعتماد طبعا على السياق الذي يعتبر خير معين على ذلك، والذي استعان به الكاتب ليبلغ قصده من هذا الخطاب، والمتمثل في تنبيه ولي عهده إلى أن لا يغلب شهوته على عقله، وجوره على عدله، فيؤدي بنفسه إلى الهلاك وبمملكته إلى الزوال والخراب؛ إذ ينبغي عليه أن يكون عادلا في نفسه ورعيته جاريا معهم على الطريق السوية موافقا للأحكام

(1) مصطفى الغلايبي: جامع الدروس العربية، ج3، ص157.

(2) ينظر: العياشي أدواري: الاستلزام الحوارية، ص15.

(3) المرجع نفسه، ص144.

(4) الوليد بن عبد الملك، أحد خلفاء بني أمية (86- 96 / 687-714) قام بإصلاحات داخلية كبيرة، واهتم بالعمارة وحفر الآبار اعتمد كثيرا على الحجاج بن يوسف، وفي عهده اتسع العالم الإسلامي وامتد حتى شمل الأندلس، وكان مترفا، قليل العلم حرص على النحو أشهرا وما نفع. أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص144.

الشرعية، وأن يأخذ العبرة ممن سبقوه وألحقوا هلاكهم وخربت بلادهم، وزال ملكهم بسبب جورهم واتباعهم لملذاتهم ومبالغتهم لشهواتهم، فالسلطان الجائر يُعد سبباً رئيساً في زعزعة استقرار المجتمعات وخراب العمران، بينما يشكل العدل حجر الأساس في تحقيق الأمن وازدهار الرعية، ومن هنا فإن أثر الحاكم في عمارة الدنيا أو خرابها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى التزامه بمبادئ العدل والإنصاف⁽¹⁾، وإن كان ظالماً حدث العكس.

وقد يلجأ المرسل في خطابه التلمحي إلى استخدام أداة الحصر "إنما"، نظراً لما تحققه من فاعلية بلاغية ودلالية في مقام التعريض، فهي من جهة تؤدي المعنى المقصود دون حاجة إلى التصريح بالطرف المقابل أو المخالف، ومن جهة أخرى تترك أثراً إيحائياً يعزز قوة الرسالة، إذ توحى بأن ما لم يُذكر مناقضاً أو معارضاً هو أمر واضح لا يستدعي التصريح به، مما يكسب الخطاب كثافة دلالية وإيجازاً مؤثراً⁽²⁾، ومن أمثلة توظيف "إنما" في المدونة قول "أبو حمو":⁽³⁾

إِنَّمَا الْمَلِكُ الزَّابِي وَلَسْتُ بِزَابِيءَ وَلَكِنِّي مَفْنِي الطُّغَاةِ الْأَعَاظِمِ

تدل "إنما على الحصر لأنها مركبة من جزأين هما: "إن" المشددة الموضوعية للإثبات، و"ما"، وما كانت تفيد في حالة الانفراد فينبغي اصطحابه في حالة التركيب...، إذ يرى ابن تيمية أن أداة الحصر "إنما" تؤدي وظيفة دلالية شبيهة بالحصر الذي يتم عبر أسلوب النفي والاستثناء (مثل: ما زيد إلا كاتب)، إذ إن كليهما يُستخدم لتأكيد القصر على عنصر واحد ونفي ما عداه، فالتركيب بـ"إنما" لا يثبت الحكم إلا للمذكور بعد "إنما"، وينفيه عما سواه، وهو ما يجعلها أداة فعالة في تحقيق غرض الحصر سواء في البيان أو التلميح، لما فيها من قوة في توجيه المعنى وتضييق دائرته على طرف بعينه⁽⁴⁾، وقد أراد الكاتب من عبارة الحصر (إنما الملك الزابي) إثبات أنه من قبائل "بني ميزاب" وجعل لنفسه مزية وفضيلة يمتاز بها عن غيره، وفي نفس العبارة كلام ضمني وتلميح غير مباشر بعيد عن التصريح، والمتمثل في مدى احترام وتقدير الشاعر لـ "بني ميزاب"، والمكانة العظيمة التي يحتلونها في

(1) ينظر: الغزالي: التبر المسبوك، ص44.

(2) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص27.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص41.

(4) ينظر: محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة، دار الموقع للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص336.

نفسه نتيجة ما امتازوا به من روح الإقدام والشجاعة والقوة، فأعطى بذلك أسلوب التلميح سمة دلالية تبعث على التفكير لا يتمتع بها أسلوب التصريح، ويقف الغرض من ذلك إلى توصيل هدف الرسالة الخطابية.

ومن بين الأدوات اللغوية أيضا التي قد يستند إليها المرسل في خطابه التلمحي "لو الشرطية الامتناعية"، والتي تعبر عن امتناع وقوع الشرط وجوابه في الماضي، أي أن المتكلم يستعمل تركيباً شرطياً (غالباً باستخدام "لو") ليشير إلى أن شيئاً ما لم يحدث، وبالتالي امتنع حصول نتيجته أيضاً، وهذا النوع من الشرط يُعرف في البلاغة والنحو العربي بـ الشرط غير الحقيقي أو الممتنع لامتناع⁽¹⁾، وقد استعان به "أبو حمو" في خطابه التالي:⁽²⁾

"يا بني لا تكثر من مجالسة النساء لئلا يفسدن عقلك بعقولهن، ويسرقن طبعك من طباعهن، فإنهن ناقصات عقل ودين، وإن أشرن عليك بأمر فخالفن فيه، لأن عقول النساء غير موافقة لعقول الرجال، فإنك إن أحسنت إليهن قابلن الإحسان بالإساءة، ومن ضعف عقولهن لا يفرق بين المحسن والمسيء، فاحذر مطاوعتهن، ولو كان فيهن مثل أخت ملك الخزر".

فمن أجل أن يمرر الكاتب مجموعة من النصائح والتوجيهات لابنه، استعمل الأداة "الشرطية الامتناعية" "لو"، في عبارة (ولو كان فيهن مثل أخت ملك الخزر) والتي تتضمن ربطاً دلالياً بين عبارتين مستقلتين، بحيث يُعَلَّق مضمون إحداها على تحقق مضمون الأخرى، وهو ما يقتضي بالضرورة وجود ترابط معنوي بين الجملتين يُحقق انسجام النص ويعكس منطقية تتابع المعاني⁽³⁾، فامتناع الجواب امتناعاً حتمياً (مطاوعة النساء) هو لامتناع الشرط (كان فيهن مثل أخت ملك الخزر)، هذه الصبغة بما اتصفت به من حسن البلاغة والرأي الصائب، والتي لها الفضل في تحسين أحوال أخيها الملك والرعية بعدما أصابتهما مجاعة شديدة والتهب شرارها بحرارة الآفات والمصائب⁽⁴⁾، فبدخول "لو" على العبارة تجاوز قصد الكاتب مجرد المعنى الحرفي للخطاب إلى غير ما يقف عنده اللفظ، والمتمثل في عدم

(1) ينظر: عباس حسن: النحو الوافي، ج4، ص491.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص26، 27.

(3) ينظر: عباس حسن: النحو الوافي، ص491.

(4) ينظر: أبو حمو موسى: المصدر السلبق، ص27.

الائتمان للنساء والأخذ برأيهن في أي حال من الأحوال ولو كان رأيهن صائب، وقد "قيل: شاوروهن وخالفوهن"⁽¹⁾، و مرسل الخطاب يعي أن ذلك الربط موجود في الكفاءة اللغوية والتداولية للمرسل إليه خاصة في قالبها النحوي والمعرفي، لهذا لم يشر إليها في خطابه⁽²⁾، وقد دعم توظيف هذه الأداة بضرب مثال تاريخي مستوحى من التاريخ العرب (أخت ملك الخزر).

والملاحظ في هذه الأمثلة هو الاقتضاء في إنشاء الخطاب، والذي يعني اللزوم العقلي الذي يحصل بين معنى وآخر، وينتمي عند العرب إلى الدلالة العقلية أو ما سماه "عبد القاهر الجرجاني" بمعنى المعنى... فكل كلام في الواقع يقتضي شيئاً آخر غير ما يدل عليه الوضع"⁽³⁾.

والى جانب الأدوات اللغوية السابقة الذكر هناك أدوات أيضا تتخذها الاستراتيجية التلميحية كمؤشر من مؤشراتنا، والتي يستعملها المرسل متجاوزا المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر مستلزم، والمتمثلة في "الظروف الإنجازية"، إذ يُذكر الظرف "لبيان زمان الفعل أو مكانه...، والظرف في الأصل ما كان وعاء لشيء...، وسميت الأزمنة والأمكنة ظروفًا لأن الأفعال تحصل فيها، فصارت كالأوعية فيها...، والظرف سواء كان زمانيا أم مكانيا إما مبهم أو محدود"⁽⁴⁾، ومن أمثلة تطبيق هذه الآلية في خطاب "أبي حمو" خطابه الذي يعبر به عن قوته وبطولاته التي حققها من أجل استرجاع بلاده من أيدي العدو، قال فيه: ⁽⁵⁾

"فاستقلنا بحضرتنا العلية، والبلاد كلها مرينية، واستولينا على ما كان بتلمسان، واستقر لنا بها الملك والسلطان، ومرين محدقة بنا من كل جهة ومكان. ليس بيننا وبينهم إلا مسيرة يوم أو نصف يوم، ومن شدة الحزم لم تكتحل أجفاننا بنوم، فلم نزل يا بني نستعمل معهم المحاولات والمكائد، وننصب لهم الأشراك بكل المرصد، إلى أن استخلصنا

(1)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 131.

(2)- ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 388.

(3)- ريمة كعبش: نظرية الاستلزام الحواري -المفهوم والمبادئ-، مجلة الخليلي في علوم اللسان، مج 1، ع 1، جامعة

العربي بن المهدي، أم البواقي، الجزائر، سبتمبر 2021، ص 60.

(4)- مصطفى الغلايبي: جامع دروس العربية، ص 48.

(5)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 35.

جميع بلادنا من أيديهم، وجزيناهم على تعديهم".

إن استعمال "الظرف الإنجازي" المحدود (يوم أو نصف يوم) الذي "دل على وقت مقدر محدود معين"⁽¹⁾، كان مؤشرا على قوة خطاب "أبي حمو" الغير الحرفي، أي على مقصده الخفي والمتمثل في قربهم من العدو وترصدهم لتحركاته، وبالتالي فإن العلاقة الوثيقة بين الظروف الإنجازية والقوى الإنجازية تبلغ من المتانة حدًا يُمكن من استنباط القوة الإنجازية المصاحبة للجملة، انطلاقًا من تحليل الظرف الإنجازي الذي تحتوي عليه⁽²⁾، كما لا يخفى ما للمتكلم من قدرة على أن يعني أكثر مما يقول، أي أكثر ما تؤديه العبارات المستعملة.

إضافة إلى "الظروف الإنجازية"، هناك ما يسمى بـ "اللواحق الإنجازية" باعتبارها آلية من آليات استراتيجية التلميح إذ يستعملها المرسل لورود القوة المستلزمة لا القوة الحرفية⁽³⁾، مثل ما جاء في خطاب "أبي حمو" في خطابه الذي يوجه فيه ابنه إلى الالتزام بالتقوى واجتتاب اللهو: ⁽⁴⁾

"يَا بُنَيَّ لَازِمَ التَّقْوَى، وَتَجَنَّبِ اللَّهْوَ وَالْهَوَى، وَلَا تَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا، وَكُن حَازِمًا فِي جَيْشِكَ وَمَالِكَ، تَبْلُغَ جَمِيعَ آمَالِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى".

يتضمن الخطاب نصيحة ثمينة تتمثل في اجتناب الاغترار بالدنيا وملذاتها والالتزام بالتقوى، التي تُعدّ من أعظم القيم التي يمكن أن ينالها الإنسان؛ إذ إنها تمثل جوهرًا ثمينًا وموردًا نفيسًا، وتتضمن خيرًا وفيرًا، ورزقًا واسعًا، ونفعًا عظيمًا، وسعادة دنيوية وأخروية، فهي الخُلة الجامعة لمنافع الدنيا وفضائل الآخرة⁽⁵⁾ خاتما نصيحته بـ "اللاحق الإنجازي" (إن شاء الله تعالى)، والتي تتعلق بالقوة المستلزمة لنصيحته؛ وهي دعاء "أبي حمو" لابنه بالخير ليبلغ كل ما يتمناه ويأمله، ويُعرّف الدعاء بأنه توجه العبد إلى الله تعالى بالرغبة فيما عنده من الخير، سواء كان ذلك ثناءً وتمجيدًا، أو تضرعًا وابتهالاً لرفع بلاء أو جلب منفعة، وهو في

⁽¹⁾ مصطفى الغلايبي: جامع دروس العربية، ص 49.

⁽²⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 388.

⁽³⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 35.

⁽⁴⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص 388.

⁽⁵⁾ أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص 152.

⁽⁶⁾ ينظر: عبد الله الأشقر: التقوى، ص 87.

جوهره مظهر من مظاهر العبادة التي يُقصد بها تعظيم الله سبحانه وتعالى والتقرب إليه⁽¹⁾، وعليه ففهم الملفوظات وتأويلها أثناء عملية التخاطب، لا تقتصر دائما على دلالتها الطبيعية التواضعية، بل يمكن أن تشير إلى الدلالة الغير مصرح بها من خلال تأويل الملفوظ.

كما نجده في خطاب آخر يستعمل "اللاحق الإنجازي" أيضا في قوله:

"اعلم يا بني، إنه إذا رأيت صاحب أشغالك محبوبا عند وزيرك وخاصتك، وأهل رأيك مشكور الحالة عندهم، ينالون منهم قصدهم، فتعلم أنه مضيع لأمورك بالجملة ومفرط في أموالك...، وإذا رأيت مبعوضا عند الوزراء والقواد، والعمال والأجناد، فتعلم أن بغضهم له إنما هو على استخراج حقوقك ومنافعك منهم، أن صاحب الأشغال إذا كان مبعوضا عند الخاص والعام، دل على منامحته في الخدام...، ثم إنك تختبره في ملبسه ومركبه و[...]، فإن زاد زيادة مفرطة، فتعلم أن ذلك من عين مالك احتواه والتقطه، ومن لم يظهر عليه إلا قدر منفعة، والناس يتقولون فيه ليصلوا إلى نكته، فتعلم أنه نقي الجانب، قليل المعائب، وإن كان مفرطاً في أشغالك، فهولا يخونك في مالك، وعلى الله توكلك وإليه مآلك"⁽²⁾.

من خلال عبارة (وعلى الله توكلك وإليه مآلك) نرى كيف أن الكاتب يلح لابنه بأن يتوكل على الله عز وجل والاستعانة به في جميع أموره ليبلغ مراده، (أحسن التوكل على الله يحسن جميع أمرك)، والتلميح بهذه الصورة يرتبط بقصد "أبي حمو" الذي أراد نقل صورة الخطاب بالقصد والذي من شأنه أن يساعد المتلقي على الإحاطة بالمعنى المقصود، فمن باب أولى تزيين النصيحة بالكلام الحسن الذي يزيدها حسنا وجاذبية، ويُعدّ النصيح توجيهاً قد يكون صعب القبول في بعض الأحيان لما يحمله من صراحة أو توبيخ، لذا يستحسن أن يُقدّم في إطار من اللين والعبارات الطيبة التي تيسر تقبله وتُخفف من وقعه⁽³⁾.

2.1. الأفعال اللغوية:

تُعدّ "الأفعال اللغوية" من الموضوعات المحورية في دراسة مقاصد المتكلم ونواياه،

(1) ينظر: خالد الخراز: موسوعة الأخلاق، ص 60.

(2) المرجع نفسه، ص 178.

(3) ينظر: مازن عبد الكريم الفريح: كيف تكسب حب الناس، تصميم وتنفيذ: مكتبة الكتاب العربي، د، ب، د.ط، د، ت،

حيث أن تحديد القصد يساهم في تحديد الغرض من الفعل اللغوي، وكذلك يوضح الهدف الذي يسعى المرسل لتحقيقه من خلال سلسلة الأفعال اللغوية التي يصيغها، مما يساعد المتلقي على إدراك المعنى المقصود من الخطاب وفهم الرسالة المراد توصيلها⁽¹⁾، وتتمثل هذه الأفعال في خمسة أصناف وهي: الأفعال الإخبارية، التوجيهية، الالتزامية، التعبيرية، الإعلانية، وكل فعل لغوي يحمل بعدين؛ بعد مباشر (حرفي)، وبعد غير مباشر (ذهني)⁽²⁾، الأفعال اللغوية المباشرة هي التي تتناغم قوتها الإنجازية مع نية المتكلم، بحيث يكون المعنى المصرح به مطابقاً تماماً لما يرغب في التعبير عنه، في المقابل الأفعال اللغوية غير المباشرة تتحرف فيها القوة الإنجازية عن مراد المتكلم، بحيث يتم إيصال المعنى من خلال طريقة غير مباشرة تتطلب تفسيراً أو استدلالاً من المتلقي لفهم المقصود⁽³⁾، فيصبح التأويل الدلالي الكامل لجمل اللغات الطبيعية غير ممكن إذا اقتصر على المعلومات المستخلصة من الصيغة فقط، إذ يتطلب الأمر السياق والمعرفة الخارجية لفهم المعنى بشكل كامل⁽⁴⁾، ويستطيع منجز الخطاب أن يعتمد في الخطاب على الثنائيات المتضادة التي تنتمي إلى صنف واحد لينجز بها أكثر من فعل في الوقت نفسه، مثل ما هو الحال في فعل "الأمر" و"النهي" باعتبارهما ينتميان إلى حقل الأفعال التوجيهية لأن "الأمر بالشئ نهى عن ضده"⁽⁵⁾، وكثيراً ما استعمل "أبو حمو" هذا التبادل في خطابه التوجيهي التلمحي من ذلك قوله: (6)

"يا بني لا تغفل عن تفقد قصرِكَ في ليكَ ونهارِكَ، ولا تأمن عليه أحداً غيرِكَ، ولا تجعل لقصرِكَ بابين، واقطع الداخل والخارج".

استعان الكاتب في توجيه ابنه بصيغة "النهي" (لا تغفل، لا تأمن، لا تجعل) والتي يستلزم عنها أفعال معاكسة لها؛ فالنهي بالشئ دال على الأمر من نقيضه بطريق الإلزام

(1) ينظر: راضية بويكري: نظرية الأفعال اللغوية وتحليل الخطاب، مجلة التواصل الأدبية، ع3، ديسمبر 2008، ص48.

(2) ينظر: سعيد محمد علي آل سرور: الأفعال الكلامية اللغوية المباشرة وغير المباشرة في كتاب ذكريات للطنطاوي،

المجلة العربية للنشر العلمي، ع 38، ديسمبر 2021، ص05، 06.

(3) ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص81.

(4) ينظر: أحمد المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص93.

(5) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 390.

(6) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص43.

فالمرسل ملزم بتفقد قصره بنفسه، ولا يترك هذه المهمة لغيره، لأن الملك أشد الحاجة إلى تفقد بعض الأمور الخاصة والتي لا يستغني عن تفقدها وتركها لغيره "لأنها حصنه من الأعداء وجنته من الأسواء"⁽¹⁾، وعلى الرغم من أن هذا المعنى لم يذكر في الخطاب، إلا أن المتلقي سيفهمه لأنه يمثل المقصد التلمحي للمتكم، خاصة أن لديه سلطة على المتلقي إضافة إلى أن خطابه إرشادي توجيهي محض، فالملاحظ للحمولة الدلالية للعبارة يرى أنها تحمل معنيين في آن واحد: الأول هو المعنى الحرفي المباشر، بينما الثاني هو المعنى المستلزم الذي يتضمن دلالات ضمنية غير مُصرح بها، يتعين على المتلقي استنباطها وفهمها.

إضافة إلى التلميح بأساليب النهي والأمر، يلجأ المرسل إلى التلميح بـ"التمني" و"التعجب" و"الاستفهام"....، مثل ما نجد ذلك في قول "أبي حمو" في البيتين التاليين: ⁽²⁾

جَرَتْ أَدْمُعِي بَيْنَ الرُّسُومِ الطَّوَّاسِمِ لَمَّا شَحَطَتْهَا مِنْ هُبُوبِ الرِّوَاسِمِ
وَقَفْتُ بِهَا مُسْتَفْهَمًا لِخِطَابِهَا وَأَيُّ خِطَابٍ لِلصَّلاَدِ الصَّلاَمِ؟

الشاعر يقدم في هذا الخطاب الخبر لا الاستفهام، لأن الاستفهام في جوهره هو خبر، بينما العجب يعد نوعاً من الخبر، وعندما يدخل التعجب على الاستفهام، يعود إلى أصله في الإخبار، مما يجعله في النهاية يشير إلى الإخبار أكثر من الاستفهام ⁽³⁾، ويبدو أن "ابن جني" يبين أهمية التنغيم في تحويل دلالات الفعل اللغوي، فالتنغيم يعتبر من المؤشرات الرئيسة، للتفريق بين الأفعال اللغوية في الخطاب الشفهية ⁽⁴⁾، والمتلقي للخطاب يفهم قصد المرسل، بالرغم من أنه خطاب استفهامي، ولكن التنغيم لعب دوره الأساسي كمؤشر على مقصدية المرسل.

من أبرز الأسباب التي تدفع المرسل إلى استخدام الأفعال اللغوية غير المباشرة رغبته في مراعاة آداب التخاطب، ويُلاحظ أن استخدام هذه الأفعال لا يعتمد فقط على الكفاءة

⁽¹⁾ -المارودي: درر السلوك في سياسة الملوك، فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1997، ص102.

⁽²⁾ -المرجع نفسه، ص35.

⁽³⁾ -ينظر: ابن جني: الخصائص، ج3، 269.

⁽⁴⁾ -ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص391.

اللغوية، بل يتطلب أيضاً امتلاك كفاءة تداولية تتضمن مجموعة من المعارف والسياقات التي تُوظف في الخطاب، ويؤكد "سيرل" أن التواصل غير المباشر يتم من خلال قول أقل مما يُراد فعلياً إيصاله، وذلك بالاستناد إلى الخلفية المعرفية المشتركة بين المتكلم والمخاطب، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية، فضلاً عن توظيف القدرات العقلية والاستنتاجية للمخاطب لفهم المعنى المقصود⁽¹⁾، وما قيل عن الأفعال التوجيهية يقال على أصناف الأفعال اللغوية الأخرى منها الأفعال الإلزامية، إذ يمكن لفعل العرض مثلاً أن ينجز في الجمل التي تحتوي على شرط الإخلاص، مثل ما جاء في قول "أبي حمو":⁽²⁾

"فانظر يا بني، ما قسيناه في هذه الأمور الشديدة، وما ضربناه لأعدائنا من شدة الحرب ورقة المكيدة، إلى تقضينا أبلغ السؤل، وتوصلنا بعناية الله تعالى إلى أوفق مأمول. فذلك ينبغي أن تقتدي بكل أفعالنا، ويؤول أمرك إلى ما آل إليه مآلنا، تأخذ باليقظة والحزم، والرفق في بعض الأمور، وبعضها بالعزم، ولا تنيب عن يومك في أمره غدا، إذا وجدت الفرصة من الأعداء".

يريد الكاتب بـ الأفعال اللغوية (ما قسيناه، ضربناه لأعدائنا، إلى أن تقضينا أبلغ السؤل توصلنا بعناية الله تعالى إلى أوفق مأمول) إنجاز فعل لغوي آخر بعيداً عن التعبير على حالتهم في الحرب والعناء الذي تكبدوه، إلى التلميح عن قصد آخر يتمثل في مدى إخلاصه لبلاده ورعيته وحتى ابنه، فالمرسل هنا يتكلم شيئاً، ويقصد به شيئاً آخر، وهذا ما يطلق عليه "غرايس" بالدلالة الغير طبيعية، بمعنى أن المتكلم حين يصوغ جملة معينة، يكون قصده موجّهاً نحو إحداث أثر معين في المتلقي، اعتماداً على قدرة هذا الأخير على إدراك النية الكامنة وراء الملفوظ، وليس فقط الاكتفاء بفهم دلالاته الظاهرة⁽¹⁾.

ونجد ذلك أيضاً في الجمل التي تختص برغبة المتكلم في أن يحققها المتلقي، مثل ما جاء في قول "أبي حمو" التالي:⁽²⁾

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص392.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص42.

(1) ينظر: آن رابول وجاك ميشلار: التداولية اليوم، ص54.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص168.

"واعلم يا بني أن السياسة بها قوام الملك وهي السبب للنجاة من مواقع الهلك فاحفظ يا بني ما شرحنا لك فيها، لتصلح بها الدولة، وتحسم به كل علة، واحتفظ بوصيتي تهدك إلى سبل الرشاد، وتتل بها السعادة بين العباد".

وكذلك ما جاء في قوله: (1)

"يا بني، اعمل بوصيتي تنجح، وجانب معصيتي تفلح، فإنك إن عملت بوصيتي رجوت لسلطانك الدوام، ولخلافتك السعادة مدى الأيام، والله خليفتي عليك، فيما دونته إليك".

يوضح هذان الخطaban من خلال العبارات الوعظية (احتفظ بوصيتي، اعمل بوصيتي، جانب معصيتي) رغبة "أبو حمو" الشديدة في التزام ابنه بوصاياه، والأخذ بتوجيهاته الوعظية الإرشادية التي تنير دربه وتسهل عليه مصاعب الحياة، إضافة إلى مقصده التلمحي من الخطاب والمتمثل بأنه إنسان عاقل رشيد حكيم يستطيع رؤية الأمور بوضوح ويرجحها نحو الصواب بما امتلكه من خبرات عبر تجاربه في الحياة.

إضافة إلى الجمل التي تختص بشرط الإخلاص ورغبة المرسل، نجد تلك التي تتعلق بأسباب الأفعال والتي يمثلها النموذج الخطابي التالي (2):

"وقد وضعنا لك يا بني هذا الكتاب، وحررنا كلامه من لباب اللباب شرحنا فيه وصايا أخروية، وسياسية ودنيوية، وجمعنا لك ما يصلح لك بين أمور الدنيا والآخرة، والسعادة الباطنة والظاهرة، فاجعله منهاجك الذي تقتدي بمذهبه، وسراجك الذي تستضيء به، وبعد حفظك لكتابنا هذا وإتباعك للأمور الشرعية والسياسية الدنيوية، فتكون عمدتك كلها التوكل في جميع أمورك على الله تعالى والتفويض له، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره".

بدأ المرسل خطابه بعبارات تعتبر الأسباب التي وضع من أجلها كتابه (واسطة السلوك)، فنجدته يربط تلك الأسباب بالمسببات لكي يحثه على الأخذ بنصائحه وتوجيهاته،

(1) نفسه، ص 44.

(2) نفسه، ص 189.

وليفهم ابنه قصده التلمحي من ذلك الربط والمتمثل في أنه واسع العلم والإطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، يضع الأشياء منازلها اللاتقة بها، فعلى ابنه الأخذ بكل توجيهاته.

يرى "ليتش" أن تنفيذ الأفعال اللغوية غير المباشرة يرتكز على الالتزام بقاعدة العلاقة التي طرحها "جرايس"، وهي القاعدة التي تقضي بأن يكون القول ذا صلة بالموضوع، وبلاستناد إلى هذه القاعدة، يُطلق "ليتش" على الأفعال اللغوية غير المباشرة اسم "استراتيجية التلميح"، إذ تُبنى هذه الاستراتيجية على النطق بفعل إنجازي معيّن يفهم منه -باعتباره هدفاً ثانوياً- أنه وسيلة لأداء فعل إنجازي آخر هو المقصود الحقيقي من الخطاب (1).

3.1. التعبير الاصطلاحي:

يطلق على المعنى الذي لا يفهم معناه الكلي للعبارات بمجرد فهم معاني مفرداته بـ"التعبير الاصطلاحي"؛ وهو التعبير الذي لا يأتي معناه نتيجة العامل التأليفي لكلماته (2)، بل يتألف من لفظة أو أكثر خرجت عن معناها المعجمي المباشر إلى دلالة مغايرة، اتفقت الجماعة اللغوية على استعمالها في سياقات معينة، بما يمنحها طابعاً اصطلاحياً تداولياً (3)، فـ "يلجأ إليه المرسل لأنه يدرك أنه من الأدوات التي يستطيع تسخيرها عن قصده التلمحي، وهو يدرك أن المرسل إليه يدرك هذا القصد إدراكاً جيداً" (4)، فالخطاب هنا يرتكز حول القدرة التواصلية التي يمتلكها كل من طرفي العملية التخاطبية التواصلية، ويعكس النموذج الخطابي التالي مدى توظيف "أبو حمو" لآلية "التعبير الاصطلاحي": (5)

وَسُرْتُ عَلَى جَوْنٍ أَقْبَ مُضْمَرٌ كَلْمَةً بَرَقَ أَوْ كَلْمَةً صَارِمٌ

تقوم كل من عبارة (لمعة برق، لمحة صارم) مقام كلمة (بسرعة)، من الناحية الدلالية ومن الناحية التركيبية، إذ يمكن استبدالها بكلمة (بسرعة) ليصبح خطابه كالتالي: (وسرت على جون أقب مضمر بسرعة) دون الإخلال بمعناه، فالمتلقي للخطاب يفهم هذا المعنى

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 394.

(2) ينظر: نفسه، ص 394.

(3) ينظر: كريم زكي حسام الدين: التعبير الاصطلاحي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 1، 1993، ص 34.

(4) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 403.

(5) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 35.

التلمحي بكل سهولة وبدون عناء.

والناظر لهذه "التعابير الاصطلاحية" يرى أن هناك تداخل بينها وبين الاستعارة والكناية إلا أن هناك ما يميزها وينفي هذا التداخل، ويمكن الفرق في أن "التعبير الاصطلاحي" يمتاز بثبات العلاقة بين اللفظ والقصد، بخلاف الآليات الأخرى التي تُعد مولدة لتلك العلاقة، إذ يترتب عن استخدامها أنماط تعبيرية جديدة، قد لا تحافظ على استمراريتها، رغم قدرتها على إيصال المقصود ضمن لحظة التلفظ وسياقها الخاص⁽¹⁾، فالتعابير الاصطلاحية تأتي تحت صنف أعلى من التعابير اللغوية التي تسمى التعابير المجازية، ومن التعابير الأخرى التي تدخل ضمن هذا الصنف؛ السخرية، التهكم⁽²⁾.

ومن أمثلة "التعبير الاصطلاحي" كذلك ما جاء في الخطاب التالي: ⁽³⁾

"يا بني، إذا رأيت كاتب سرك كثير الألفة للناس طويل اللسان، لا يرجع إلى قياس، لا يتحفظ في كلامه، ويزخرف لك أموراً يرى أنه ينفعك بها، وهي مما تضر الغير بسببها، فهذا غير محافظ على دينه، ومن لا يحافظ على دينه لا يحافظ على سرك، فكيف تشاركه في أمرك؟".

تقوم عبارة (طويل اللسان) مقام عبارة (يتقوه بكلام لا يليق)، من الناحية الدلالية والتركيبية فيمكن استبدال العبارة الأولى بالثانية، ليصبح الخطاب (إذا رأيت كاتب سرك كثير الألفة للناس، يتقوه بكلام لا يليق، لا يرجع إلى قياس، لا يتحفظ في كلامه)، وهنا يتمحور الخطاب حول الكفاءة التداولية عند طرفيه، فالكاتب من خلال التعبير الاصطلاحي يدرك أن ابنه سيفهم قصده التلمحي جيداً، ويفهمه بالتحديد دون أن يفكر في معناه الحرفي، فيتضح أن العبارة الاصطلاحية قد اكتسبت بفعل التكرار والاستعمال دلالة جديدة مغايرة لمعناها الأصلي المتواضع عليه، حتى غدت هذه الدلالة المستحدثة هي المقصودة مباشرة عند التلفظ بها، ما أدى إلى تراجع أو تلاشي المعنى الحرفي القديم في ذهن المتكلم والمتلقي

⁽¹⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص 403.

⁽²⁾ ينظر: نفسه، ص 403.

⁽³⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 175.

على السواء⁽¹⁾.

وفي جميع الأحوال، يُفترض أن يُرجَّح السياق المعنى الاصطلاحي على نظيره الحرفي، لما يحمله الأول من دلالة مقصودة في إطار التخاطب، وهو ما يدفع المتلقي إلى تجاهل المعنى الحرفي تمامًا، لكون المعنى الاصطلاحي أسبق إلى الذهن وأكثر ارتباطاً بالوضع التواصل، وقد وسَّع "سيرل" هذا المفهوم بإضافة قاعدة إلى مبادئ التعاون التي صاغها "جرايس"، مؤكِّدًا فيها ضرورة التحدث بالمعنى الاصطلاحي، ما لم توجد موانع تستوجب خلاف ذلك⁽²⁾.

4.1. التشبيه:

يغدو البيان مؤشرا من مؤشرات الاستراتيجية التلميحية، إذ بإمكان صاحب الخطاب استثمار آلياته في تبليغ خطابه التلمحي، وهو "من الناحية التداولية اختيار من المتكلم لطريقة عرض خطابه، حيث يعدل عن التعبير الحقيقي المباشر إلى الحديث بصورة بلاغية تجعل من السامع مهتما بالخطاب في ذاته قبل أن يقف على المقصود منه، وفي ذلك حرص من المتكلم على تنبيه مخاطبه لاستغلال اللغة ذاتها للوصول إلى مقصوده"⁽³⁾، فاستعمال اللغة بغير ألفاظها الحقيقية أثناء التخاطب فيه إشارة من المتكلم لتنبيه المتلقي لاكتشاف المعنى الغير المصرح به في الخطاب من أجل فهم مقصوده، ويعتبر "التشبيه" من بين أشكاله التعبيرية المجازية إلى جانب "الاستعارة" و"الكناية" وتظهر قيمتها في "دور المتكلم حيث يقوم على إرادته في التعبير بطريقة دون أخرى وعلى رغبته وحرصه على يقظة المخاطب ونشاط ذهنه في استقراء مراحل الاستدلال اللازمة للإحاطة بالمعنى المقصود"⁽⁴⁾، ولطالما وظف "التشبيه" في خطابات "أبي حمو" التلميحية، ويُفهم هذا المفهوم على أنه الإشارة إلى وجود قاسم مشترك في المعنى بين عنصرين أو أكثر⁽¹⁾، وتكمن أبعاده التلميحية في غياب وجه الشبه ويُقصد به السمة المشتركة التي تربط بين طرفي التشبيه، أي

⁽¹⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص402.

⁽²⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص405.

⁽³⁾ خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مقارنة تداولية، ص61.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص62.

⁽¹⁾ ينظر: الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص164.

المشبه والمشبّه به؛ إذ يقوم المتكلم عند رغبته في إنشاء التشبيه، بتحديد الخاصية التي لفتت انتباهه في المشبّه، متجاهلاً الصفات الأخرى، ثم يبحث عن ما يُماثل تلك الخاصية في عنصر آخر يصلح أن يكون مشبّهًا به (1)، "أما إذا صرح به فإنه يذهب من التلميح إلى التصريح، مما يؤدي إلى الاستراتيجية المباشرة (2)".

وتمثل الصيغ التعبيرية التي جاء بها الخطاب التلمحي التالي، صورة من صور توظيف "التشبيه" في المدونة قوله: (3)

"اعلم يا بني أن العدل سراج الدولة فلا تطفئ سراج العدل بريح الظلم، فإن ريح الظلم إذا عصفت قصفت، وريح العدل إذا هبت ربت، ومن شروط الإمارة العدل في الأحكام، والرفق بالأنام، والتجنب عن الحرام، والصبر في الشدائد، والجري على أحسن العوائد، فإن صلاح الدولة بقواعدها، وفسادها بخرق عوائدها".

في عبارة (العدل سراج الدولة) عقد "أبو حمو" مشابهة بين (العدل) و (السراج) وقد غاب وجه الشبه، يعني أن الصفة المشتركة بينهما مضمرة غير صريحة، وعليه فإن المعنى الحرفي للتشبيه غير مقصود، بل المعنى المستلزم منه، إذ يفهم ابنه من هذا الخطاب أن يضع أمور دولته في ميزانها الصحيح، وأن يأتي كل ذي حق حقه، ويمنح الحق لأهله دون أي نقصان أو زيادة، وبهذا حمل "التشبيه" قوى مستلزمة تفهم من مختلف ما يقع بين أطراف التشبيه من تفاعلات، وبين سياقها الاستعمالي.

ومن الخطابات التلمحية المتضمنة لآلية "التشبيه" أيضا قوله: (4)

أَهْلَ تَلْمُسَانَ بِدَوْلَتِنَا كَالشَّمْسِ لَدَى بُرْجِ الْحَمَلِ

"التشبيه" الوارد في الأبيات السابقة هو (تشبيه تمثيلي)، وقد تدخلت (كاف التشبيه) لتكون ضمن الخطاب في سياق حديثه عن أهل تلمسان وما بذلوه من خدمة له لاسترجاع دولته ومملكه من أيدي الأعداء، والمعنى الضمني لهذا "التشبيه" هو مدى الحب والتقدير والفخر

(1) ينظر: بسيوني عبد الفتاح: علم البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر، ط2، 1998، ص73.

(2) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص410.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص23.

(4) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص25.

لأهله، والملاحظ من المتكلم أنه خرق العادات التعبيرية المألوفة لغرض معين يريد أن يوصله إلى المخاطب الذي يرجو منه إدراك قصده الذي تضبطه علاقات لغوية تعتمد التلميح للدلالة على المعنى دون التصريح به.

ومن بين صيغ "التشبيه الضمني" أيضا التي وظفها "أبو حمو" في خطابه التالي⁽¹⁾:

"يا بني جالس الفضلاء وشاور العقلاء، وخذ الرأي من النصحاء، واقتد بذوي التجارب النبلاء، وجانب مجالسة الجهلاء، فإنه من أخذ الرأي ممن لا يفقه الحديث كان كمن قدم الطرف للبهائم".

جاء "التشبيه" في شأن حديثه عن مجالسة ومشاورة أهل الخبرة، والاختصاص وطلب النصيحة من أهل العقول للاستضاءة بنور عقولهم، والابتعاد عن مجالسة من هم أقل منه عقلا والأخذ برأيهم في قوله (من أخذ الرأي ممن لا يفقه الحديث كان كمن قدم الطرف للبهائم)، والمقصد الضمني التلمحي الذي يمكن استخلاصه من هذه العبارة التي تعتبر نصيحة من أب لابنه؛ هو أن يعيش بين الناس بعقله، ويميز به بين الحق والباطل والصحيح والفساد، لأن الإنسان دعي أخ العقل ليبحث بالعقل، لأنه على العقل تسير أموره وتستمر دولته وسلطانه، فالفتى يزينه صحة عقله ويشينه خفة عقله ولو كان ذا عرق ونسب، فجميع المحاسن بالعقل، وسائر العلوم والأعمال أصلها العقل⁽²⁾، فالملاحظ لعناصر الصورة التشبيهية يراها أنها تشكل مظهرا ممن مظاهر التباين والتباين الذي هو انعكاس طبيعي للسياق، الذي يجعل المتكلم يسوغ بناء صورته بشكل مغاير وتسمح عملية التخاطب المشتركة لمتلقي الخطاب "باكتشاف القول المضمّر غير المصرح به في ظاهر الخطاب، وظاهر الخطاب يمثل (المقدمة الكبرى) والقول المضمّر يمثل (المقدمة الصغرى) وعملية الانتقال بين المقدمتين تحقق (النتيجة)"⁽¹⁾، غالبًا ما يُفهم التشبيه على نحوٍ تلمحي غير مباشر، حيث لا تتجلى دلالاته إلا في ضوء السياق الذي يُستعمل فيه؛ لأن التشبيه في جوهره يُعد إسنادًا لصفة إلى المشبّه من خلال إقرانه بالمشبّه به، وهو ما يفترض وجود

(1) نفسه، ص 131، 132.

(2) ينظر: الغزالي: التبر المسبوك، ص 121.

(1) حازم طارش حاتم: استراتيجية الإقناع في الصورة التشبيهية في الخطاب القرآني، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق، ع 2، 2017، ص 02.

علاقة اشتراك بين الطرفين في وجه من الوجوه، وبالتالي فإن غياب هذا الاشتراك يجعل من التشبيه غير ممكن، لكونه يُفضي إلى وصف لا مسوغ له⁽¹⁾.

5.1. الاستعارة:

إلى جانب التشبيه، قد يلجأ مرسل الخطاب إلى الاستعانة بـ "الاستعارة" كأداة ضمن استراتيجياته التلميحية، وفقاً لتعريف "السكاكي" بأنها ذكر أحد طرفي التشبيه مع الرغبة في الإشارة إلى الطرف الآخر، حيث يُدعى المشبه ضمن جنس المشبه به، ويُستدل على ذلك من خلال منح المشبه صفات تخص المشبه به⁽²⁾، وتحتل "الاستعارة" مرتبة أعلى من مرتبة "التشبيه" لأنها أكثر منه توغلاً في أساليب البيان غير المباشر⁽³⁾، ولأنها تقوم على إخفاء الطرفين الأساسيين للتشبيه، وهذا الحذف ينتج عنه معنى ضمني يساعد السياق على فهمه، وتكمن قيمتها في الخطاب في التعبير عن المقاصد التي تحقق أهداف المتكلم، وتضمن موافقة المتلقي على وقائع غير معلومة عبر بها المتكلم باستعمال علامات لغوية تلميحية يقتضيها سياق التلفظ.

وكثيراً ما يستعين بها "أبو حمو" في خطابه التلميحية التي يوجه فيها ابنه لأمر دينه وديناه، وتعتبر الصيغة الخطابية التالية، إحدى الخطابات التي تضمنت هذه الأداة البلاغية التلميحية: (4)

"يا بني إذا رأيت شرك فشا في الناس، فاخصص لهما اثنان من أصحاب شرك، واحدا بسر دارك، والآخر بسر عدوك، ثم اغفل عنهما فما خرج من سرهما فهو صاحب الإفشاء".

توصل "سيرل" إلى استنتاج مفاده أن المعنى الحقيقي يتحدد من خلال التطابق العام بين معنى الملفوظ ما يقصده المتكلم، وما يفهمه السامع، أما الاستعارة فتعتمد على مغايرة ذلك، حيث لا يكون المعنى الحرفي للملفوظ هو المقصود بذاته، بل ما يفضي إليه هذا

(1) ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص332.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 369.

(3) حبنكة الميداني: البلاغة العربية، ج2، ص263.

(4) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص26.

المعنى الحرفي من دلالات أخرى استنادًا إلى القرائن السياقية⁽¹⁾، ويريد "أبو حمو" من العبارة الاستعارية (رأيت شرك فشا في الناس) أن يحرك نفس المتلقي ويثيرها لغرض إفهامه أن من يذيع خبره وسره للغير، شخص خائن وليس أهلاً للأمانة، لأنه من الخيانة إذاع السر خاصة أنه وظف لفظ القربة (أصحاب شرك)، أي من وضعت الثقة الكاملة فيهم وائتمنتهم على شرك، ولكن خانوا ثقتك، فالمعني بالخطاب يفهم أن المتكلم لم يقصد ما قاله حرفياً، ولكن يتكلم على سبيل الاستعارة، كما أنه لا يوجد صعوبة في فهم مقصوده⁽²⁾، وعليه تعد الاستعارة من أبرز الأمثلة على استعمال اللغة، حيث يتمكن السامع من إدراك المعنى المقصود الذي يتجاوز البنية الحرفية للمفوض، ليصل إلى المعنى الأساسي غير المصرح به الذي يهدف المخاطب إلى إيصال⁽³⁾.

ومن بين "الصور الاستعارية" التي استخدمها الشاعر في مدونته، والتي تظهر في خطابه عن التواضع في معاملة الغير، في قوله: ⁽⁴⁾

"يا بني عليك بائتلاف قلوب الأجناد من قبيلك، ومشاركتهم في كثيرك وقليلك، واصطنعهم بالإحسان، ولا تغلظ عليهم فيضمروا لك الشنان، واخفض لهم عند الاحتياج الجناح، وعامل من أظهر لك العداوة منهم بإظهار المودة، وسائسهم حتى يرجعوا إلى حزبك، ولا تتركهم للعدو يستعين بهم على حزبك، فإنك تبلغ منه بحسن المحاولة، مالا تبلغ منه بقبح المعاملة، وتنال بالسياسة".

تقوم "الاستعارة" الموجودة في هذا المقطع من الخطاب (اخفض لهم عند الاحتياج الجناح) على معنيين: الأول حرفي غير مقصود والثاني ضمني يتوصل إليه عن طريق السياق، والكاتب في خطابه وإنما يقصد المعنى التلمحي المستلزم من (خفض الجناح) أي التواضع لهم وتلبية احتياجاتهم، وبالتالي أدت "الاستعارة" في خطابه إلى توليد معان جديدة

⁽¹⁾ ينظر: محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) - دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ-، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2012، ص109.

⁽²⁾ ينظر: بلانشيه فيليب: التداولية من أوستن إلى غولفمان، ص72.

⁽³⁾ ينظر: علي محمد حجي الصراف: في البرغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص150.

⁽⁴⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص146.

تهدف إلى إفهام المتلقي لفكرته، والذي يجب عليه التسلح بملكة تواصلية من أجل إدراك سيرورة المعنى في خطاب الكاتب الذي شحن لغته بصورة استعارية ذات بعد تلمحي، ولابد أن يكون هناك تناسب بين الدلالة الوضعية والقصدية التي يحويها الفعل الاستعاري، وقد أشار "ابن الأثير" إلى أن الاستعارة لا تحدث إلا عندما لا يُذكر المستعار له، فهي تقتصر على استخدام ألفاظ ملائمة، حيث لا يكون هناك تباعد بين المعنى المستعار والمستعار منه، إذا تم إخفاء هذا المعنى ولم تكن هناك مناسبة واضحة بينهما، فقد يصعب على المتلقي فهم الاستعارة ويفشل في استيضاح المقصود منها⁽¹⁾، ومنه "تكون الاستعارة وسيلة رئيسة سعى إليها المتكلم بغية استخدامهما في إنجاز الأفعال غير المباشرة"⁽²⁾.

وضمن سلسلة قصائده التي قالها في مديح النبي ﷺ، نجد قصيدته الميمية التي وظف فيها "الاستعارة" بكثرة، والتي تحدث فيها عن حزنه لعدم زيارته لقبره ﷺ والتي قال فيها: (3)

حَطَّ الْعُشَّاقُ رَكَائِبَهُمْ بَيْنَ الْعِلْمَيْنِ وَبِالْحَرَمِ
وَبَقِيَ الْمُشْتَاقُ بِزَفْرَتِهِ فِي مَغْرِبِهِ يَبْكِي بِدَمٍ
قَدْ قَيَّدَنِي مَا قَلَّدَنِي مِنْ حُكْمِ حَكِيمٍ ذِي حُكْمٍ
وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تُعَارِضُنِي عَمَّا أَبْغَيْهِ مِنَ الْقَسَمِ

استعان "أبو حمو" في توصيل مقصده التلمحي إلى الألفاظ الاستعارية (يبكي بدم) (صروف الدهر تعارضني)، والمستعار له في كلتا الاستعارتين مطوي الذكر، وهذا الخطاب باللفظ التلمحي غير المباشر يحيل السامع إلى دلالات الحزن والحسرة التي ألمت بالشاعر لعدم زيارته للبقاع المقدسة ويضمن استمالة المتلقي ويساعد المخاطب في الإحاطة بالمعنى المقصود في فهم نوايا المتكلم أثناء إنتاج الخطاب، حيث يساهم ذلك في توضيح

(1) ينظر: ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، دت، ج2، ص109.

(2) علي محمد حجي الصراف: في البرغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص150.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص30.

المقصد الذي يرغب المتكلم في إيصاله للمستمع في لحظة التواصل⁽¹⁾، فاستعماله لهذه الصيغة التعبيرية في هذا السياق التداولي دليل على ما يكنه من حب واشتياق للرسول ﷺ، واستعماله للفعل الاستعاري التلمحي أبلغ من استخدامه للفعل الحقيقي الصريح، وأشد وقعاً في النفس، فجاء هذا العدول عن التصريح إلى التلميح مبرزاً لقيمة شخصه الطاهرة صلوات ربي وسلامه عليه، تظهر القيمة التداولية للاستعارة في لحظة استخدامها، حيث يمنح المتكلم العبارة معنى مغايراً لما هو مألوف، ومن خلال هذا الاستخدام، يبدأ المخاطب في اكتشاف الأبعاد المختلفة للاستعارة بناءً على السياق الذي يطرحه المتكلم⁽²⁾، من هنا يتضح أن الاستعارة تُعدّ مثلاً جوهرياً في استخدام اللغة، حيث يُستنبط منها عادة معنى مقصود يتجاوز البنية الحرفية للملفوظ أو الجملة⁽³⁾، والتي تتولد وفقاً للسياق والمقام التي تتجزأ فيه، ومن ثم يكون الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم.

6.1. الكناية:

يمكن للمرسل أن يستعين في خطابه التلمحي بأداة بلاغية مهمة هي الأخرى لتأسيس هذا النوع من الخطابات، ألا وهي "الكناية" فيجعل للمعاني التي تقوم على التلميح الكنائي مقتضى من مقتضيات الكلام الموجه للمتلقي وتحصيل حاصل في ذهنه، إذ تعتمد على عدم التصريح بالمقصود مباشرة، وإنما الإشارة إليه عبر ما يستلزمه، بحيث يفهم المعنى غير المصرح به من خلال ما تم ذكره صراحة⁽⁴⁾، ومن "الكنايات" الموجودة في المدونة قول "أبو حمو"⁽⁵⁾:

"يا بني، وإذا رأيت وزيرك الداني إليك محبوباً مع قلة ندى يده، في حين صدوره ومورده، مع أنه لا يستخرج منك حقوقهم الواجبة، الحاضرة منها والغائبة، فتعلم أنه مفرط في أمورك كلها، مما وجبت عليه في الخدمة أقلها أوجلها، فإذا كان على هذه الحالة

(1) ينظر: خليفة بو جادي: في اللسانيات التداولية مقارنة بين التداولية والشعر، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2012، ص67.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص61.

(3) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص411.

(4) ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص402.

(5) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص174.

فاختبر محبته لك نجدها مفضية لتضييع خدمتك".

ينهض الخطاب السابق على "كناية" في عبارة (قلة ندى يده) إذ عدل عن التعبير المباشر المتمثل في بخل الوزير، بل كنى عن هذا المعنى وانحرف إلى استعمال كيان آخر، ليحيل المخاطب إلى الدلالة المقصودة دون أن يصرح بها رغبة في إثارة المتلقي واستمالاته ليحيط بموضوع الخطاب ويتفاعل معه، وهنا تكمن القيمة التداولية للمتكلم في "الكناية" وهي قيمة بارزة تتمثل في أنه يعتمد أن يخبأ الدلالة التداولية خلف الدلالة الحرفية للتركيب الكنائي حيث يتفادى التصريح إلى التلميح، مراهنا على فطنة المخاطب وذكائه في اكتشاف ذلك.

كما نجد أيضا في القصيدة "كناية" في قوله: (1)

إِنِّي بِذُنُوبِي مُعْتَرِفٌ وَالْخَوْفُ أَشَدُّ مِنَ الْأَلَمِ
يَارَبِّ، إِذَا لَمْ تَغْصِنْنِي مَالِي بِذُنُوبِي مِنْ عَصَم

لقد كنى "أبو حمو" عن توبته الخالصة لله عز وجل باعترافه لذنوبه وخوفه من العذاب فعلى السامع أن لا يكتفي بالوقوف عن الدلالة الخفية في التراكيب الكنائية فحسب، بل يمتد المعنى إلى بعده التداولي، حيث تكشف الكناية عن الحالة الشعورية للمتكلم، وتعكس عاطفته الصادقة تجاه ما يكنى عنه، بما يشير إلى توبته وندمه وصدق مشاعره، وهذا ما يسعى إليه المتكلم من خلال استخدام الكناية، إذ لا يصرح بالمعنى المقصود مباشرة، بل يعتمد على لفظ يحمل دلالة مجاورة أو ملازمة له في السياق، ليشير من خلاله إلى المعنى المستهدف ويجعله مفهوماً ضمناً (2).

كما نجد الكاتب يوظف "الكناية" في قوله:

"وقد خاطرنا نحن في ذلك وسلطنا بحول الله أحسن المسالك، وأوردنا العدى موارد المهالك، وذلك لما هاجتنا الحمية، ودعتنا النفوس الأبية للانتصار لملكنا وسلطاننا، واستخلاص بلادنا وأوطاننا، ورد دولتنا إلى نصابها، واستخلاصها من أيدي غصابها" (1).

(1) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 29.

(2) ينظر: الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 66.

(1) أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص 33.

كنى "أبو حمو" عن جيشه وأبناء دولته بعبارة (النفوس الأبية)، أما عن أعدائه المرينيين فقد كنى عنهم بعبارة (غصابها) وكلاهما كناية عن موصوف، إذن "الكناية" من الوسائل التي تعتمد في التحاجج باعتبارها وسيلة يعتمدها المتكلم لتدعيم مقاصده الخطابية وإقناع المتلقي، إذ تكمن جمالية هذا الأسلوب في الجمع بين المعنى والدليل الدال عليه. ويظل نجاح التلميح الكنائي مرهوناً بوعي المتلقي بمقام التخاطب، ذلك أن المعاني الضمنية لا تُفهم إلا من خلال إدراك العلاقات السياقية غير اللغوية المرتبطة بألفاظ المتكلم وظروف التلفظ بها.

ومن بين الصور الكنائية التي يظهر فيها أسلوب التلميح اللغوي في المدونة قول الكاتب: (1)

"... فانظر يا بني، هذا الملك كيف كانت حالته في خلافته وصلاحه وحزمه وكفايته، جمع بعقله بين الدنيا والآخرة، فكان ظاهره حسنا وباطنه أحسن، فهذا هو العقل التام، فكذاك ينبغي لك يا بني أن تكون فافهم".

في عبارة (ظاهره حسنا وباطنه أحسن) كناية عن نسبة، فقد نسب الحسن لشيء متعلق بالملك وهو مظهره الخارجي والباطني، وتكمن بلاغة "الكناية" أنها تعطي المعنى في صورة محسوسة مصحوبة بالدليل، وعليه تعتبر الكناية من الاستراتيجيات البلاغية للتلميح، لأن المعنى المقصود ضمني يفهم من السياق ويكون المعنى الظاهري دليلاً يقود للمقصود. كما نجده يوظف الآلية نفسها أيضاً في قصيدته الميمية الذي يرجو فيها الثواب في قوله: (2)

سَارُوا وَالذَّنْبُ قَدْ أَقْعَدَنِي فَقَرَعَتِ السَّنُّ مِنَ النَّدَمِ

يظهر من البنية اللغوية لهذا الخطاب التلمحي أن "أبا حمو" قد غرق في ذنوبه وها هو يطلب العفو والمغفرة من رب العباد مستعملاً عبارة (قرعت السن من الندم) ليعبر بهذا التعبير الاصطلاحي عن ندمه الشديد على ارتكابه للمآثم والمعاصي لعله ينال رضا الله

(1) نفسه، ص 50.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 30.

وعفوه.

ويستمر "أبو حمو" في تطبيق المسلك الخطابي ذاته في قصيدة أخرى يعبر فيها أيضا عن أسفه وحسرتة على اشتغاله بزخارف الدنيا وملذاتها بعد أن لاح نذير الشيب يذكره ويخوفه والتي يقول فيها: (1)

وَاصْفَرَ لَوْنِي بَعْدَ حُسْنِ شَبِيبَتِي وَابْيَضَّ رَأْسِي بَعْدَ مَا كَانَ مُسْوَدًا
وَيَا لَيْتَ شِعْرِي بِالزَّمَانِ الَّذِي مَضَى أَيْرَجُ مَرَّ الْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ شَهْدًا
وَتَغْفُرُ أَوْزَارِي وَتَمْحِي جَرَائِمِي وَحَصَرُ دُنُوبٍ لَا أُطِيقُ لَهَا عَدَا

أشار المرسل بتوظيفه لعبارة (اصفر لوني، وابيض شعري) على معنى قوي هو أنه كبر في السن وأطاح به المرض، وكذلك لعبارة (أ يرجع مر العيش من بعده شهدا) التي تفيد الحسرة والندم، والمبرر لهذا الاستعمال ما يستلزمه السياق الذي يقصد منه إظهار التذلل والتضرع للمولى العزيز الغفور، فاستعانته بهذا التعبير الكنائي ما هو إلا تعزيز من القوة التلميحية لخطابه.

7.1. التهكم:

كثيرا ما يتجاوز المرسل خطابه بالصيغة التصريحية ليلجأ إلى التلميح، فيتجاوز بذلك حقيقتها إلى مقاصد ساخرة، وهذا ما يسمى بـ "التهكم"، هذا الأخير الذي يعد من الآليات اللغوية في الاستراتيجية التلميحية؛ كونه يخرج بالخطاب إلى معنى آخر لا يدل عليه معناه الحرفي، ويُقصد به توجيه الخطاب بعكس ما يقتضيه المقام، بقصد السخرية من الطرف المخاطب أو الاستخفاف به (2)، وعلى المرسل أن يعرف كيف يوظف قدرته التواصلية في اللعب بين الألفاظ والتراكيب في إنتاج خطابه التهكمي، لتحقيق مقصده الخطابي والتأثير في المرسل إليه، ومن الخطابات التي مارس فيها "أبو حمو" آلية "التهكم" خطابه التالي: (1)

"فَاسْتَفْلَنَّا بِحَضْرَتِنَا الْعَلِيَّةِ، وَالْبِلَادُ كُلُّهَا مَرِينِيَّة، وَاسْتَوَلَيْنَا عَلَى مَا كَانَ بِتِلْمَسَانَ،

(1) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 199.

(2) ينظر: العلوي: الطراز، ص 476.

(1) أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص 35.

واستقر لنا بها الملك والسلطان، ومَرِينٌ مُحَدِّقَةٌ بِنَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَمَكَانٍ. ليس بيننا وبينهم إلا مسيرة يوم أونصف يوم. ومن شدة الحزم لم تكتحل أجفاننا بنوم. فلم نزل يا بني نستعمل معهم المحاولات والمكائد، وننصب لهم الأشرار بكل المرصد، إلى أن استخلصنا جميع بلادنا من أيديهم، وجَارَيْنَاهُمْ عَلَى تَعْدِيهِمْ".

الملاحظ لعبارة (جازيناهم) أنها تحمل سخرية وتهكما ذلك أنها مشتقة من المجازة ومعناها المكافأة؛ أي ما يمنح اعترافاً بخدمة أو عمل جدير بالتقدير، وقد استعملها الكاتب بقصد مضاد لمعناها تماماً، ففي هذا المقطع موضع تهكمي يتمثل في مكافأة الأعداء على استيلائهم لتلمسان، وبذلك يتمكن المتلقي من إدراك الغرض الحقيقي للمتكلم ضمن الخطاب التهكمي، على الرغم من أن هذا المقصد لا يُصرَّح به بشكل مباشر، ذلك أن مكافأة الأعداء يتناقض مع مكافأة من يعمل عمل جدير بالتقدير، فجاء المقطع بطريقة ساخرة للاستخفاف بالخصم مما تزيد في تعظيم "أبي حمو" وجيشه، وهذا هو وجه السخرية في هذا الخطاب. الأمر الذي أشار إليه "سبرير وولسون" الذي اعتبر أن التهكم لا يدخل ضمن المعاني المجازة للملفوظ الواحد، ومن هنا يعتبر أن المعنى المضاد هو المعنى البديل⁽¹⁾.

وفي النفس السياق -السخرية من الأعداء- نجد "أبو حمو" يوظف آلية "التهكم" ليعبر عن مقصده التلمحي المتمثل في التوبيخ، في البيت التالي: (2)

وَصَارَتْ أَسْوَدُ الْغَابِ تَأْتِي مُطِيعَةً وَعَادَتْ لَنَا الْآيَّامُ مِثْلَ الْمَوَاسِمِ

وكذلك قوله: (3)

فَصَارَتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ تَأْتِي مُطِيعَةً إِلَى بَابِنَا تَبْغِي الْتِمَاسِ الْمَكَارِمِ

ترمز كل من عبارة (أسود الغاب، ملوك الأرض) إلى الشجاعة والقوة والسيادة والتي وصف بها أعدائه المرينيين، وقد استعملها "أبو حمو" في غير موضع المدح ورفع من قيمتهم وشأنهم، بل ليوضح قصده التهكمي وهو السخرية منهم والاستهانة بهم، وليؤكد تهكمه أضاف عبارة (تأتي مطيعة)، إذ تُعدّ من أبرز آليات التهكم أن يُصرَّح المرسل بعبارة تحمل

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 417.

(2) المرجع نفسه، ص 39.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 41.

طابعا إيجابيا ظاهريا، بينما يُراد من خلالها التعبير عن موقف أو حكم سلبي، وفي حالات أقل شيوعاً، قد يُستخدم الخطاب السلبي للتلميح إلى قصد إيجابي⁽¹⁾.

ومن الصيغ التعبيرية التي تفيد "التهكم" في المدونة، خطاب "أبي حمو" مع ولي عهده حول اختبار الولاة وكشف حقيقتهم في قوله: (2)

"أما ولاتك، فاعلم، يا بني، أنك تختبرهم، وتتفرس فيهم وتعتبرهم، فإذا رأيت واليك يأخذ أموال الناس ويتقرب بها إليك، ويرى أن ذلك نصيحة إليك، [...] فذلك يأخذ خيرك ويعطيه لغيرك، هذا إن أخذ أموال الناس وأتى بها إليك، وإن لم يأتك بشيء وأظهر الناموس لديك، وأظهر لك التصنع بالديانة، والتحفظ والأمانة".

يقصد الكاتب بعبارة (التصنع بالديانة والتحفظ والأمانة) أي أنه تكلف وأظهر ما ليس فيه من الإيمان والنزاهة والصدق والإخلاص، فيستلزم من كلامه قصد خفي هو التحذر لمثل هذا والتفطن له واختباره، فهو شر الولاة وأردوهم وأظلمهم وألأهم وأعهدهم، وبذلك لجأ الكاتب إلى التلميح بدلاً من التصريح، مشيراً إلى احتمال أن يكون المعنى المقصود مخالفاً للمعنى الظاهر من اللفظ، و الذي يهدف من خلاله إلى توجيه المتلقي نحو الفهم العميق والتفاعل مع الرسالة بما يتناسب مع سياق الخطاب واستجابته الدقيقة.

8.1. التعريض:

التعريض هو أن يُذكر شيء معين يُستخدم للإشارة إلى شيء آخر لم يُذكر صراحة ويتم ذلك بطريقة غير مباشرة، حيث يُستدل من خلال الكلام على معانٍ أو مقاصد أخرى دون التصريح بها بشكل واضح⁽³⁾، يعني التعريض بذلك المعنى الذي يُستخلص من سياق الكلام وملابساته، حيث يتداخل المعنى التعريضي مع المعنى الظاهر للكلمات، ويعتمد فهمه على المواقف الخاصة والقرائن التي تحيط بالكلام، ويتم الربط بين المعنيين التعريضي والحقيقي، وفقاً للسياق الذي يُقال فيه الكلام⁽¹⁾، "وقد يراد بالتعريض المعنى الحقيقي للكلام

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص417.

(2) أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص179.

(3) ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف، ص132.

(1) ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيود: علم البيان، ص239.

وقد لا يراد⁽¹⁾، ولهذا يمكن للمرسل أن يستثمر هذا الأخير في خطابه التلمحي لما له من خصائص دلالية ترتبط بمقاصده والظروف المحيطة بإنتاج خطابه، إذ يعتبر "التعريض" أسلوباً أكثر خفاءً من "الكناية"، حيث تكون دلالة "الكناية" واضحة بناءً على المجاز اللغوي المتضمن في اللفظ، في حين أن "التعريض" يعتمد على القرينة المحيطة بالكلام لفهم المعنى المقصود، يعرف "العلوي" التعريض بأنه المعنى الذي يتم استنتاجه من خلال اللفظ وليس بشكل مباشر من اللفظ نفسه، حيث يشمل قوله (الحاصل عند اللفظ) جميع أنواع اللفظ، سواء كانت حقيقية أو مجازية (كالاستعارة والكناية)، بينما يشير (لا به) إلى أن دلالة المعنى في التعريض لا تأتي مباشرة من اللفظ نفسه، وإنما من القرينة السياقية المحيطة بالكلام⁽²⁾.

ومن خطابات "أبي حمو" التلمحية بآلية "التعريض" قوله: (3)

"اعلم يا بني إذا رأيت صاحب أشغالك محبوباً عند وزيرك وخاصتك وأهل رأيك مشكور الحالة عندهم ينالون منهم قصدهم، فتعلم أنه مضيع لأمورك بالجملة ومفرط في أموالك".

الناظر للمقطع الخطابي، يرى بأنه تلميح من الكاتب لابنه عن طريق آلية "التعريض" ليخلص هذا الأخير إلى نتيجة مفادها؛ عدم الائتمان للأشخاص الذين يظهرون الصورة الحسنة للآخرين إلا أنهم عكس ذلك، بل عليه أن يتفطن لمثل هؤلاء، وأن لا ينساق وراء تصرفاتهم الكاذبة، وقد استعان بخبرته التي عززت من قوة هذا الخطاب ليمرر رسالة مشفرة إلى ابنه، وتبقى قدرة المرسل التواصلية هي الفاصل في مدى تفعيل القوة التلمحية المكتسبة من وراء تطبيق آلية "التعريض".

ومن أمثله كذلك ما جاء في قصيدته التي نظمها في الشوق إلى بيت الله الحرام في قوله: (1)

جِسْمِي بِتِلْمَسَانِ دَنَفٍ وَالْقَلْبُ رَهِيْنٌ بِالْحَرَمِ

(1) عبد الرحمن حبنكة الميداني: البلاغة العربية، ج2، ص152.

(2) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص90.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص178.

(1) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص30.

يرتبط "التعريض" بمقاصد المتكلم ورغبته في التعبير غير المباشر حيث "إن إخفاء الدلالة في التعريض هو قصد مقصود للمتكلم"⁽¹⁾، و"التعريض" الوارد في هذا البيت يتضمن تلميحاً مفاده تصوير مدى الشوق المكنون في قلب "أبي حمو" إلى المقام الشريف شوقاً إلى رضوان رب العالمين، وهذا الشوق إلى تلك البقعة المباركة وإلى بيت الله العتيق لهو أبلغ دلائل على ابتغاء مرضاة الله، وتطهير النفس من أدرانها وأرجاسها التي أنقلتها، ففي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي حازم، ذكر أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: (من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)⁽²⁾

2. الآليات شبه المنطقية:

1.2. استعمال مفهوم الموافقة:

يشير "مفهوم الموافقة" إلى دلالة اللفظ على أن الحكم الذي ينطبق على المنطوق به ينطبق أيضاً على ما تم السكوت عنه، سواء بالإثبات أو بالنفي، وذلك بناءً على اشتراكهما في معنى واضح يدركه كل من يتقن اللغة، دون الحاجة إلى بحث أو تفسير، و يتم تسميته "مفهوم الموافقة" لأن المسكوت عنه يتوافق مع المنطوق به في الحكم، ويمكن تقسيم هذا المفهوم إلى نوعين: فحوى الخطأ؛ ويقصد به أن المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق به، لحن الخطاب؛ ويعني أن المسكوت عنه له حكم مشابه أو مساوٍ للمنطوق به⁽³⁾.

والخطاب التالي لـ"أبي حمو" مع ابنه، يبين هذه الآلية وذلك في قوله: ⁽⁴⁾

"يا بني إكرام الجيش استعباد، وإهانتهم استبداد، واعلم أن إفساد قلوبهم، يوجب إظهار عيوبهم، فلا تغضب كبيرهم، ولا تحقر صغيرهم ونوه قوادهم وفضل أنجادهم".

يسعى المرسل في عبارة (لا تغضب كبيرهم، ولا تحقر صغيرهم) إلى تبليغ مقصده

⁽¹⁾ إبراهيم محمد عبد الله الخولي: التعريض في القرآن الكريم، دار البصائر، القاهرة - مصر، ط01، 2004 ص24.

⁽²⁾ محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق - سوريا، ط5، 1993، ج2، ص553، رقم الحديث1449.

⁽³⁾ ينظر: قطب مصطفى سانو: معجم مصطلحات أصول الفقه، راجعه: محمد رواس قلنجي، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط1، 2000، ص429، 430.

⁽⁴⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص31.

إلى ولي عهده وتوجيه سلوكه انطلاقاً من اختيار أسلوب "الموافقة" الغير مباشر بدل التصريح، إذ تحمل العبارة بعداً تلميحياً مفاده؛ أن ظلم الرعية والتعدي عليهم أو قتلهم أولى بالمنع من مجرد إغضابهم واحتقارهم، فاستعمال آلية "مفهوم الموافقة" هنا لا يقتصر فقط على الإشارة إلى الإغضاب، بل يتجاوز ذلك ليُظهر أن هناك فعلاً آخر يتفوق على الإغضاب في الأهمية، و الكاتب يتحدث هنا عن الحد الأدنى من درجات المنع، ومن ثم يقوم بترتيب درجات الممنوعات في ذهنه وفقاً لتدرجها في القيمة، ومن خلال ذلك يصل إلى أن منع الحد الأدنى يعني بالضرورة منع الحدود الأعلى منه، و التلميح في هذا السياق مرتبط بمقام الكلام، حيث أن المعاني المستلزمة لا تُفهم إلا إذا كان المتلقي ملماً بالعلاقات غير اللغوية التي تدعم فهم المعنى المقصود، و للوصول المتلقي إلى هذه المعاني يجب أن يكون على دراية بالسياق الذي يقدم فيه المتكلم ألفاظه، وبذلك يزيد المنع كلما ارتقت درجات الممنوعات، ما يعكس استخدام الاستراتيجية لتوصيل مقاصد متراكمة تنتظم ضمن تسلسل منطقي واحد⁽¹⁾، فالمرسل إليه-ابنه-يفهم أن مجرد إغضابهم واحتقارهم ممنوع فما بالك الأفعال الأخرى التي تعلوه، وهذا عبارة عن سؤال ضمني سوف يطرحه المتلقي على نفسه، أو سيتبادر إلى ذهنه حين سماعه الخطاب، وهذا ما يريده مرسل الخطاب أن يوصله، ويسمى بالتنبيه بالأدنى إلى الأعلى⁽²⁾ أما "لحن الخطاب" فنجدته في الخطاب التالي: (3)

"يَا بُنَي، إِيَّاكَ وَالْإِعْجَابُ، فَإِنَّهُ لِلْمَلِكِ خَطَأٌ غَيْرُ صَوَابٍ، وَمَنْ أَعْجَبَ بِنَفْسِهِ، قُرْبٌ مِنْ رَمْسِهِ".

تكمن حقيقة الإعجاب في شعور الشخص بتعظيم نفسه واحتقار الآخرين، لكن عندما يتجاوز هذا الشعور حدوده الطبيعية ويأخذ منحى من البغي والعتو، فإنه يؤدي إلى تدمير الدين وإفساد الإيمان، كما أنه يقلل من منزلة الاجتماعية ويخفض الرتبة، بالإضافة إلى أنه يطمس المحاسن التي اشتهرت ويسلب الفضائل المعروفة⁽¹⁾، و"أبو حمو" أنتج خطابه (إياك

(1)- ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص428.

(2)- ينظر: نفسه، ص428.

(3)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص23.

(1)- ينظر: عبد الرحمن بن عبد الله الشيزري: المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الأردن ط1، 1987، ص419، 420.

والإعجاب)، ليوازي به بين بعض الأحكام الغير مصرح بها، مثل شكر النفس للغير وتقدير الذات وتمجيدها، والتباهي بها للغير والمبالغة في الغرور، والكبر فهي أحكام متساوية، كل هذه الأحكام سيفهمها ابنه لأنه سيستلزمها من خطاب والده الذي اكتفى بذكر صفة الإعجاب وسكت عن بقية الصفات لأنه يراها مساوية لها.

ومن استعمالات "مفهوم الموافقة" عن طريق "إثبات العلة بإضافة الحكم إلى الوصف المناسب" مثل ما جاء في المدونة في قول "أبي حمو":⁽¹⁾

"واعلم يا بني أنه لا يسمح العفو عن هتك الحرم، وإفشاء السر المكتتم، والقذح في الملك، فيما يخل بنظم السلك، فمن اشتهر من هذه الثلاثة الأصناف بالأخذ بهذه الأوصاف، فجزاؤه القتل بلا خلاف".

فتتفيذ حكم القتل يلزم عنه إثبات علة من العلات الثلاث والمتمثلة في؛ هتك الحرم، أو إفشاء السر المكتتم، أو القذح في الملك فيما يخل بنظم الملك، فهي محرمة دون أن ينص عليها المتكلم صراحة أي دون أن ينتج الخطاب التالي (يحرم هتك الحرم، أو إفشاء السر المكتتم أو القذح في الملك فيما يخل بنظم الملك) ولكن المرسل إليه يفهم حكم الفعل فيسبق إلى ذهنه.

(1)- أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص166.

2.2. استعمال مفهوم المخالفة:

"مفهوم المخالفة" يشير إلى دلالة اللفظ على ثبوت الحكم للمسكوت عنه، لكن هذا الحكم يكون مخالفاً لما دل عليه المنطوق به، وقد سُمي هذا المفهوم "مفهوم المخالفة" بسبب التباين بين حكم المنطوق والمسكوت عنه، إذ يتباين هذا المفهوم حسب القيود المختلفة مثل الصفة، والتقسيم، والغاية، والحال، والزمان، واللقب، والحصص⁽¹⁾ ومن أمثلة ذلك؛ التعبير عن القصد بـ "مفهوم اللقب" والذي جاء في قول "أبي حمو" حول قاعدة السياسة وحديثه عن الاختيار السديد للوزير، يقول في ذلك: (2)

"ومثل الملك الصالح والوزير السوء الذي يمنع خير الملك للناس ولا يمكنهم من الدنوفيه كالماء الصافي يكون فيه التماسح لا يستطيع المرء دخوله وإن كان سابحا وللماء محتاجا".

يستلزم من عبارة (الوزير السوء الذي يمنع خير الملك للناس) أن الوزير الصالح هو الذي لا يمنع خير الملك للناس، فيفهم ابنه من هذا الخطاب ما يدل على خلافه، بأن يختار وزيرا صالحا يخدمه ويخدم رعيته، وقد استغنى "أبو حمو" عن الحاجة لإنتاج خطابين في نفس الوقت، حيث إن ابنه سيتمكن من فهم ما يقصد من الخطاب الأول من خلال ما يتضمنه من دلالة على الخطاب المخالف، ولهذا السبب يُسمى هذا المفهوم "مفهوم المخالفة"، كما نجد الكاتب يستخدم "مفهوم المخالفة" جنبا إلى جنب مع "مفهوم اللقب" لإيصال المقصد التلمحي، وذلك في قوله: (3)

"واعلم يا بني أن الملك العظيم يُحسنُ به أن يكون في تصارييف تدبيره وسياسة أموره مُتَشَبِّهاً بِطَبَاعِ ثَمَانِيَةٍ هِيَ: الغيث، والشمس، والقمر، والريح، والنار، والماء والأرض، والموت".

يستلزم من هذا القول أن الذي لا يحسن تدبير سياسته ولا يتصف بالطباع الثمانية المذكورة سابقا ليس ملكا عظيما، وذلك من خلال استعمال المخاطب للقب (العظيم)، فقد

(1) ينظر: قطب مصطفى سانو: معجم مصطلحات أصول الفقه، ص428.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص62.

(3) نفسه، ص133.

عمد المتكلم إلى عدم إظهار مقاصده من شكل الخطاب وتجاوز دلالة الخطاب الحرفية، وعلى المتلقي أن يستدل على مقاصده انطلاقاً من الدلالة المرتبطة بالعناصر السياقية، والتي تستدعي استدلالات ذهنية تتطلب عملية تأويلها بذل جهد من أجل استخلاص المحتوى التلمحي والمعاني المضمر خلفها، كما نجد "مفهوم المخالفة" أيضاً في قوله: ⁽¹⁾

"واعلم يا بني أنه لا يسمح العفو عن هتك الحرم، وإفشاء السر المتكتم، والقذح في الملك، فيما يخل بنظم السلك، فمن اشتهر من هذه الثلاثة الأصناف بالأخذ بهذه الأوصاف، فجزأوه القتل بلا خلاف".

يفهم المرسل إليه من هذا الخطاب أن من ارتكب أخطاء غير هذه الأخطاء (هتك الحرم، وإفشاء السر المتكتم، والقذح في الملك فيما يخل بنظم الملك)، يمكن العفو عنه أو معاقبته عقاب آخر غير القتل، بيد أن المرسل لم يصرح بهذا القول بل اكتفى بمعناه في خطاب واحد، فوصول المتلقي إلى هذا المعنى المستلزم كان باعتماده على السياق وقدرته الاستدلالية بالبحث عن مختلف المعاني الممكنة المصرح بها والتي تكون ملازمة للقول ⁽²⁾.

ويمكن للمخاطب أن يستعمل "مفهوم المخالفة" للتعبير عن قصده باستعمال "مفهوم الغاية" كما جاء في الخطاب التالي: ⁽³⁾

"وكان الوليد كثير الهتار، مخلوع العذار، لا يروي لعذل عاذل، ولا يسمع النصيح من قول قائل حتى انتزع ملكه وتبدد سلكه فهذا يا بني لم يصلح دنياه ولا أخراه ولا ظفر بطائل مما تمناه".

يتضمن هذا المقطع خطاباً ضمناً والذي من أجله وضع "أبو حمو" هذا الخطاب لابنه، وذلك بترك التصريح والاعتماد على التلميح معتمداً على "مفهوم المخالفة"، إذ لم يصرح لابنه بالصفات التي يجب أن لا يتصف بها لكي يصلح دنياه وأخراه، وإنما سيكتشفها بنفسه ويفهم مقصوده وغايته من ذلك، وكأنه يقول (لا تكن مثل الوليد ولا تتصف بصفاته كي لا ينتزع ملكك)، وذلك من خلال العلاقة التي تربط بينهما وإذا لم يكن لدى المتكلم قاعدة

⁽¹⁾- أبو حمو موسى، واسطة السلوك، ص166.

⁽²⁾- ينظر: القزويني: الإيضاح، ص154.

⁽³⁾- أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص144.

معرفية تربطه مع المتلقي فإن هذا يؤدي إلى عدم الفهم.

ومن "مفهوم المخالفة" عن طريق "مفهوم الزمان" في المدونة قوله: ⁽¹⁾

"يا بني عليك بإقامة شعائر الله عز وجل، وابتهل إليه في مواسم الخير وتوسل، اتبع آثارنا في القيام بليلة مولد النبي عليه السلام واستعد لها بما تستطيع من الإنفاق العام، واجعله سنة مؤكدة في كل عام، تواسي في تلك الليلة الفقراء".

يرسم المقطع الخطابي صورة تلميحية في ذهن المرسل إليه، والمتمثلة في أن الاستعداد للاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف وإعادة إحياء ذكره لا يكون إلا يوم ثاني عشر من ربيع الأول من كل سنة، ولا احتفال بمولده قبل هذا اليوم أو بعده، فعلى الرغم من أن المرسل لم يصرح بذلك حرفياً إلا أن المرسل إليه سيفهم قصده الضمني التلمحي، وفقاً للسياق والمقام الذي أنجزت فيه العبارة التلميحية، ومن هنا يتم الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم.

أما "مفهوم المكان"، فيعني أن يدل اللفظ على القيد الزماني أو المكاني الذي يرتبط بالحكم، بحيث يشير إلى ثبوت الحكم للمسكوت عنه على خلاف حكم الكلام المنطوق، وذلك بسبب انتفاء ذلك الظرف المكاني أو الزماني عن السياق ⁽²⁾، مثل قول "أبي حمو" التالي: ⁽³⁾

"يا بني، وإذا اقْتَحَمْتَ الْقِتَالَ، واختلطت الأبطال بالأبطال، فغاييتك أن تكون حاكماً على نفسك، صابراً ثابتاً في جأشك، ناظراً على ساقاتك، التي هي قلب جيشك، فلتلزم بها الثبات، ولا تَرْحُزْ إِلَى جِهَةٍ مِنْ الْجِهَاتِ".

يريد الكاتب من عبارة (لا ترحز إلى جهة من الجهات) أن يفهم ابنه أنه عند الاقتحام والهجوم لا يبرح مكانه مهما حدث، بل عليه بالوقوف الجاد أمام الأعداء والثبات، لكن قد يجوز له ذلك عند السير مثلاً أو قبل بدأ الحرب، بيد أنه لم يصرح بها في خطابه بل اكتفى بتحديداتها في خطاب واحد، إذ يرى "غرايس" أن هناك فرقاً بين ما يُقال وما يُقصد، فما يُقال

⁽¹⁾ - القزويني: الإيضاح، ص 194.

⁽²⁾ - ينظر: قطب مصطفى سانو: معجم مصطلحات أصول الفقه، ص 429.

⁽³⁾ - أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 155.

هو المعنى الذي تحمله الكلمات والعبارات وفقاً لقيمتها اللفظية، بينما ما يُقصد هو المعنى الذي يهدف المتكلم إلى إيصاله للسامع بشكل غير مباشر، ولتحقيق ذلك يعتمد المتكلم على قدرة السامع على فهم المقصود، مستنداً إلى الأعراف اللغوية ووسائل الاستدلال المتاحة له⁽¹⁾.

3.2. الاستلزام:

يعرف "الاستلزام" في الدرس التداولي بأنه "مكون لمعنى المتكلم الذي يشمل جانباً مما يعنيه ملفوظ المتكلم من دون أن يكون جزءاً مما يقال"⁽²⁾، و يبنى "الاستلزام" عند "جرايس" على مبدأ التعاون من خلال القواعد الأربعة وتفريغاتها وهي: الكم والكيف والعلاقة والطريقة، وقد قسمه إلى قسمين رئيسيين: إذ يعرف الأول بالاستلزام النموذجي؛ وفيه يراعي المتكلم القواعد ولكنه يفترض فيه بعض السمات داخل الخطاب لينتسب بالتعاون، لأن المرسل يعد متعاوناً عندما يراعي القواعد، أما القسم الثاني فهو الخطاب التخاطبي؛ الذي يعتمد على سياق التلفظ لإفهام القصد وفهمه، بيد أن الاستلزام النموذجي لا يعتمد عليه⁽³⁾.

1.3.2. الاستلزام النموذجي:

من الممكن أن يواجه المرسل إليه صعوبة في الانتقال إلى قصد مغاير عن القصد الأصلي الذي يتوافق فيه معنى الخطاب مع نية المرسل، وهو ما يُعرف بالاقتضاء، إذ يتميز بكونه ثابتاً وملازماً للعبارة في مختلف السياقات، بخلاف الاستلزام الذي يتغير باختلاف ظروف استخدام العبارة وتداولها⁽⁴⁾، وفي الخطاب التالي يتضح أن "أبا حمو" استثمره ليفهم ابنه قصده من الخطاب في قوله: ⁽⁵⁾

"يا بني وأما صاحب أشغالك وضابط عمالك، فلتتخير من وجوه بلدك الأخيار، وكفاة

(1) ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33.

(2) أنما إبراهيم أحمد: في مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبي، مجلة ديالي، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، العدد71، 2012، ص02.

(3) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص430، 431.

(4) ينظر: محمد السيد: إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد 25، جانفي2000، ص105.

(5) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص85.

الحساب والنظار، ويكون ذا ثقة وأمانة، وعفة وصيانة، صلاح وديانة، وحزم وكفاية...".

أراد الكاتب أن يوجه ابنه بأن يحسن اختيار صاحب أشغاله، من خلال اشتماله على عدة أوصاف أهمها أن يكون (من خيرة بلده، كفؤ، صادق، أمين، عفيف صائن، متدين، حازم...)، ويقتضي من هذا الخطاب أن للملك صاحب أشغال يضبط عمله وشؤون دولته وهو المعنى الخفي وراء الكلام.

ولابد أن يراعي المتكلم في أثناء خطابه "قاعدة الكم" ليحصل عنها على ما يسمى بالاستلزام النموذجي⁽¹⁾، كما في قول "أبي حمو":⁽²⁾

"يا بني، استعن على اعتدال مزاجك وحفظ صحتك بالتبسيط في طعامك وشرابك ولا تكن منهمكا في الأكل ولا تاركا له بالكلية ولكن بقدر معلوم في أوقات معلومة، فإن ذلك أحسن لحالك وأصح لجسمك، ولتأكل من الطعام ما تطيب به نفسك، ويعتدل به مزاجك، ولا تدخل الطعام على الطعام".

في هذا الخطاب يفهم المتلقي بأن حفظ صحته واعتدال مزاجه، يكون بالتبسيط في الأكل وعدم الانهماك فيه، ولا يتم بغير ذلك، بيد أنه لا تناقض إذا كان من باب الحفاظ على الصحة، الإكثار من شرب الماء، أو ممارسة نشاط بدني بانتظام، أو النوم بشكل كاف...، وما يحدد الاستلزام من الخطاب أن حفظ الصحة يتم بعدم الإكثار من الأكل لا غير، لأن المرسل يرى أنها الشرط الأول والأساسي لحفظ الصحة، وعليه يفهم أن هناك عوامل ثانوية تؤثر في هذا السياق، ولكن لو أراد المتكلم الإشارة إليها لكان قد ذكرها في خطابه وفقاً لمقتضى قاعدة الكم، ولذلك ينتج الاستلزام النموذجي من خلال إضافة اللفظ فقط في البنية العميقة للخطاب⁽³⁾.

كما تقدم "قاعدة الكيف" كذلك بعد من الاستلزام من خلال الصدق في الخطاب، مثلما جاء في الخطاب التالي:⁽¹⁾

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص432.

(2) أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص43.

(3) ينظر: ابن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص433.

(1) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص43.

"يا بني اختر لنفسك طبيباً ماهراً عاقلاً أريباً فاضلاً ثقةً محباً ناصحاً".

يعبر هذا الخطاب عن استلزام خفي والذي يتمثل في أنني متأكد بأن الطبيب الماهر أحسن لك عند احتياجك إليه، ولدي أدلة لإثبات قولي.

ولا تقتصر مراعاة هذه القاعدة على الخطاب الخبري فحسب، بل تمتد أيضاً إلى الخطاب الإنشائي، مثل الأفعال التوجيهية، يقول "أبو حمو":⁽¹⁾

"يَا بُنَيَّ، وَلَا تَغْفَلْ عَنْ تَفَقُّدِ قَصْرِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَلَا تَأْمِنْ عَلَيْهِ أَحَدًا غَيْرَكَ، وَلَا تَجْعَلْ لِقَصْرِكَ بَابَيْنِ، واقْطَعْ الدَّاخلَ والخَارِجَ".

يعبر الكاتب عن قصده المتمثل في أن لدي رغبة صادقة في أن تهتم بنفسك وبشؤون قصرك، ولولا فهم المتلقي لهذا الاستلزام، لما يقوم بتنفيذ ما يستلزمه فعل الأمر.

نلاحظ في عبارة "أبو حمو" (اقطع الداخل والخارج) أنه حذف جزءاً من خطابه، بيد أنه راعى قاعدة الكيف والذي يجعله يستلزم القصد المراد من الخطاب وهو لا تجعل قصرك مكاناً يدخله أياً من كان.

كما نجد "أبو حمو" في الخطاب التالي مراعيًا "قاعدة الكيف" في قوله:

"اعلم يا بني أن الناس يخوضون ويلعبون، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون، فمن غرس خيراً اجتنب مسرة وكرامة، ومن غرس شراً اجتنب مضرة وندامة"⁽²⁾.

كان "أبو حمو" صادقاً في خطابه وقد راعى بذلك "قاعدة الكيف"، وهذا لا يمنع من خطابه بأن من عمل الخير أنه لم يعمل الشر، ومن عمل الشر أنه لم يعمل الخير، فعمل الخير ليس مانعاً من عمل الشر والعكس صحيح.

وتقدم "قاعدة العلاقة" مجالاً رحباً للاستلزام النموذجي، بل تُعتبر هذه القاعدة الأساسية التي تشمل القواعد الأخرى، إذ تتيح للمتكلم بناء خطابه بشكل مختصر، بناءً على افتراض أن المتلقي يدرك أن الخطاب يتم وفق مبدأ التعاون، وبالتالي يتجاوز المتكلم بعض المسلمات اللغوية التي تشكل أسس الخطاب في بنيته العميقة، مثل الإشارات الزمانية

(1) نفسه، ص 43.

(2) نفسه، ص 190.

والشخصية⁽¹⁾، كما في الخطاب التالي: (2)

"يا بني، وينبغي لك أن تتخذ فرسانا بين يديك، تقتدي بهم إذا أقبل العدو إليك، يكونون يواجهون عدوك وساقاته، إذا عزمت على ملاقاته".

من الضروري أن يتمتع الملك بالقدرة على تنظيم الجيش وإدارته عند مواجهة الأعداء، وذلك من خلال إسناد كل موضع لمن يراه جديرًا به، ومتابعة الصفوف شخصيًا لرصد أي خلل قد يطرأ، إلى جانب تعزيز المواقع التي يستهدفها العدو بالقوات اللازمة لدعمها (3)، والملاحظ أن "أبا حمو" حدد قصده من الخطاب بوضوح، وجعل الخطاب يستلزم بنيته العميقة، لأن عدم فهم المرسل إليه عن زمن الطلب مثلاً (متى أقتدي بالفرسان؟) أو (لماذا أقتدي بالفرسان عند إقبال العدو علي؟) ينبئ عن عدم فهمه للخطاب.

كما أن احترام القاعدة الرابعة "قاعدة الطريقة" يجعل الاستلزام النموذجي ضرورياً، فالمرسل يفضل الإيجاز في الخطاب وعدم ذكر التفاصيل الدقيقة، كما في الخطاب التالي (4):

"يَا بُنَي، وَاحْذَرِ إِنْ كَانَ عَدُوُّكَ عَنْ يَمِينِكَ أَوْ شِمَالِكَ، أَنْ تُبَادِرَ إِلَيْهِ بِإِنْتِقَالِكَ، فَإِنَّ الْإِنْتِقَالَ وَالْإِنْتِقَالَ، مِمَّا يُفْسِدُ عَلَى الْمُلُوكِ الْقِتَالَ، وَلَوْ كَانَ أَكْثَرُ عَدَدٍ وَعِدَّةً، وَأَحَدُ شَوْكَةٍ وَأَكْبَرُ نَجْدَةٍ".

يحرص الكاتب في خطابه هذا إلى إسداء نصائحه لولي عهده لمواجهة عدوه في الحرب، ومن الواجب على القائد ألا يندفع إلى أرض العدو بمجرد ظهوره، بل عليه أولاً أن يختبر طلائع جيشه، إذ رُوي أنه لا ينبغي دخول أرض العدو دون حذر وتدابير، فقد تكون مليئة بالفخاخ والمكائد المدفونة التي يصعب كشفها دون احتياط (1)، إذ تستلزم عبارة (أن تبادر إليه بانتقالك) كافة الأفعال الضرورية لتحقيق هذا الفعل على أرض الواقع، إضافة إلى الأفعال اللغوية المرتبطة به، والتي تؤدي إلى اتخاذ قرار المبادرة والتحرك نحو مواجهة العدو

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 435.

(2) أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص 156.

(3) ينظر: الشيزري: المنهج السلوك، ص 608.

(4) أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص 156.

(1) ينظر: الشيزري: المنهج السلوك، ص 615.

من(أن تأخذ القرار بالمبادرة، أن تعطي إشارة لجيشك إلى الاستعداد والتهيؤ للانتقال، أن تعطي إشارة للانطلاق، يكون الانطلاق بسرعة اتجاه العدو، رفع السلاح في وجه العدو، بدأ القتال والمواجهة...) فينبغي على الابن أن يستنبط التوجيهات الضمنية الكامنة في الخطاب الموجز، إذ لا يمكنه الشروع في المبادرة والانتقال دون الالتزام بمضمونها، ومن هنا فإن عدم وعيه بهذه التفاصيل يدفع المتكلم إلى التوسع في خطابه وتفصيله.

2.3.2. الاستلزام الحواري (المخصص):

يشير مفهوم "الاستلزام الحواري" إلى الأقوال التي تنقل معنى يتجاوز الدلالة الحرفية للكلمات التي تتكوّن منها الجملة⁽¹⁾، وعليه "فالمتكلم قد يقول كلاما ويقصد به معنى آخر، غير ما يوحي به كلاما حرفيا، كما أن المستمع يسمع كلاما ويفهم معنى آخر من كلام المتكلم"⁽²⁾، فهو يقوم "على التبليغ بطريقة غير مباشرة، تمنح الأشخاص القدرة على تبليغ ما يريدونه دون البحث عن الدوال الملائمة"⁽³⁾، و"الاستلزام الحواري" هو الاستلزام الذي ينتج عن خرق أو انتهاك للقواعد التخاطبية التي تساعد على نجاح العملية التواصلية، بغرض الوصول إلى معنى غير مباشر يفرضه المقام، يتم استنتاجه استدلالاً انطلاقاً من الدلالة الظاهرة ومن القرائن السياقية المصاحبة⁽⁴⁾، هذه القواعد تقوم على مبدأ التعاون؛ الذي يسعى إلى تحقيق التعاون بين أطراف الحوار في سياق محدد وتحقيق نوع من الانسجام، بحيث يمكن صياغة هذا المبدأ بصيغة توجيهية مفادها: ينبغي أن يتم التخاطب بما ينسجم مع الغرض منه، فمضمون هذا المبدأ يستلزم تعاون الطرفين، المتكلم والمخاطب، من أجل بلوغ الهدف المقصود من الحوار، سواء أكان هذا الهدف محدداً مسبقاً أم جرى توضيحه خلال سير الحديث⁽¹⁾.

(1) ينظر: جاك موشار وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة الباحثين، دار سيناتر، تونس، د.ط 2012، ص112.

(2) محمود عكاشة: النظرية البرجماتية اللسانية التداولية، ص88.

(3) محمد نظيف: الحوار وخصائص التفاعل التواصل، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، دار إفريقيا، المغرب، د.ط، 2010، ص164.

(4) ينظر: عبد الرحمن طه: في أصول الحوار، ص104.

(1) ينظر: عبد الرحمن طه: اللسان والميزان، ص238.

ومن بين خطابات "أبو حمو" التلميحية في خرق "قاعدة الكم"، والمقصود بهذه القاعدة أن "يحمل الكلام معلومات كافية تتوافق مع ما هو مطلوب"⁽¹⁾، أي إذا زاد المتكلم في الكلام أو نقص عما هو مطلوب عليه، فقد خرق بذلك هذه القاعدة، وكان أمام "استلزام حوارى" مقصود، وفي ما يلي نحاول الوقوف على ذلك المفهوم الذي عرضناه في قوله: ⁽²⁾

"اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الْعَدْلَ سِرَاجُ الدَّوْلَةِ، فَلَا تُطْفِئُ سِرَاجَ الْعَدْلِ بِرِيحِ الظُّلْمِ، فَإِنَّ رِيحَ الظُّلْمِ إِذَا عَصَفَتْ قَصَفَتْ، وَرِيحُ الْعَدْلِ إِذَا هَبَّتْ رَبَّتْ".

"قال أفلاطون بالعدل ثبات الأشياء، وبالجور زوالها"⁽³⁾، يُعد العدل من أنبل الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الملك، إذ يُساهم في استقرار حكمه، ويحفز الرعية على طاعته، كما يُصلح شؤون الدولة ويُساهم في انتعاش أحوال الناس ⁽⁴⁾، الأمر الذي يسعى إليه "أبو حمو" في خطابه التلمحي هذا، إذ يريد به أن يحث ابنه على الاتصاف بالعدل مع رعيته ليستمر ملكه وتدوم دولته، وأن لا يكون ظالما فيزول ملكه، لكن المرسل تلفظ بمعناه دون أن يوضح له ذلك في خطابه الحرفي، فخرق بذلك "قاعدة الكم" وأشار فقط إلى المعنى باللفظ فقط في عبارة (فلا تطفي سراج العدل بريح الظلم)، فالكاتب لم يقدم لابنه كمية المعلومات الكافية التي يجب تقديمها في التخاطب على القدر المطلوب منه وفق ما يقتضيه كلام المخاطب.

وقد يكون خرق "قاعد الكم" من خلال "الإطناب" في قول الشيء مثل ما جاء في المدونة في قول "أبي حمو": ⁽⁵⁾

"واعلم يا بني أنه ينبغي لك أن لا تنفق مالك إلا في حقه ولا تخرجه إلا في مستحقه، ولا تعطيه إلا فيما يصلح عليك ويجلب المنفعة إليك، ولا تسرف فيه في لذات دنياك، ولا في زخارف لا توصلك إلى هواك كالخروج عن الحد في الزينة واللباس والبناء المفرط الخارج عن القياس، فإن خير الأمور أوسطها وأحسنها أوفقها وأضبطها".

⁽¹⁾ حجر نورما وحيدة: الاستلزام الحوارى في سورة البقرة، ص 345.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 23.

⁽³⁾ الشيزري: المنهج المسلك، ص 246.

⁽⁴⁾ ينظر: نفسه، ص 242، 243.

⁽⁵⁾ نفسه، ص 145.

الملاحظ في خطاب "أبي حمو" أنه يحمل رسالة ضمنية غير تلك التي تحملها بنية الحوار اللفظية، فقد زاد في كلامه مع ابنه عما هو مطلوب، من خلال وصاياه التي تحثه على عدم تبذير ماله والعبث في إسراره وصرفه فيما لا ينبغي، والذي يعتبر "من أقوى العدد على العدو، وهو قوة للملك وعمارة للمملكة ومن حقه أن يؤخذ من حله ويوضع في جهاته ويمنع من السرف وينفق بما يعود على الرعية من النفع والخير"⁽¹⁾، والمرسل في خطابه خالف "قاعدة الكم" بتمطيط كلامه، إذ كان بمقدوره أن يقول له: (لا تبذر المال) ولكنه عدل عن ذلك الإيجاز، ليجعل المرسل يستدل على خطاب المرسل إليه بنفسه، فهو لم يرد التصريح بقوله بل استعاض عنه بالتلميح في خطابه.

لا يقتصر خرق المرسل لقاعدة الكم على الخطاب الخبري فقط، بل يمكن أن يحدث ذلك أيضاً من خلال أنماط أخرى من الأفعال اللغوية، كالاستخدام الاستفهامي، كما يتضح في خطاب "أبي حمو" الآتي: ⁽²⁾

"يا بني إذا سمعت عن وزيرك سقطة في جانبك وأردت اختبار حقها من باطلها، وهل صدرت منه كما سمعت من قائلها؟ ويظن وزيرك أنك سمعتها، فتفرس في وزيرك فإن رأيت منه زيادة في البشاشة، والخضوع والتذلل والهشاشة، وتلك خلاف عادته فإن ذلك دليل على الريبة، وتحقيق لتلك السقطة المعيبة، فحقق ذلك من غير ارتياب، فإنه لا تخفى حالة المرتاب، وإن لم ينتقل من حالته المرتابة، ولا عن طريقته المعتادة، ولم يظهر في كلامه نقصان ولا زيادة، فتعلم أنه بريء مما قيل لك فيه، لأن ظاهره دل على ما يخفيه".

قصد "أبو حمو" من خطابه الاستفهامي مع ابنه (هل صدرت منه كما سمعت من قائلها؟) هو التأكد من الخبر بعد سماعه، وأن لا يظلم وزيره بمجرد سماع كلام وصل إليه فحسب، بل يجب أن يتحقق من صحته أو بطلانه، من خلال التفرس في حركات الوزير وتصرفاته ليستدل بها عن ذلك، فالمعنى المشتق من التركيب يخالف المعنى المراد إحاله وبهذا نستنتج أن العبارة الدلالية تحمل معنيين (ظاهر وخفي).

وقد ينتهك المرسل أيضاً قاعدة كيف المعروفة أحياناً بقاعدة النوع، والتي تقتضي

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 226.

⁽²⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 172.

الالتزام بالصدق وتجنب التأكيد على معلومات غير صحيحة أو غير مدعومة بالحجج والبراهين⁽¹⁾، تهدف هذه القاعدة إلى منع الادعاء بالكذب أو إثبات الباطل، ومن هنا يُطلب من المتكلم أن يقدم فقط العبارات التي تدعمها أدلة واضحة تُثبت صدقها⁽²⁾ وقد يخترقها المرسل بأن يتلفظ بما هو كذب من ناحية الوضع اللغوي، إذ يعتبر تصنيف الخطاب بأنه كاذب كدليل على تميز الآليات المستعملة فيه، وبهذا يمكن اعتبار الكذب بهذه الصورة المجازية تلميح عن قصد المتكلم لأنه مخالفة صريحة⁽³⁾، ومثال على ذلك ما نجده في الخطاب التالي: (4)

"يَا بُنَيَّ، اِلْبَسْ ثِيَابَ الْعِفَّةِ، ارْتَدِّ بِرِدَاءِ الْوَقَارِ، وَتَوَجَّ بِتَاجِ الْحَيَاءِ، وَتَزَيَّ بِزِي السَّكِينَةِ، وَتَقَلِّدْ بِصَارِمِ الْعَدْلِ، وَتَحَلَّ بِحَلِيَّةِ الْكَرَمِ، وَتَخْتَم بِخَاتِمِ الْهَيْبَةِ".

يجب على الملك الذي يتولى مسؤولية إدارة شؤون الرعية أن يتحلى بصفات نبيلة ويجعلها جزءاً من طباعه، دون أن يهمل أي منها، لأنها أساس استقرار دولته واستمرار مملكته. وتشمل هذه الصفات: العدل، العقل، الشجاعة، السخاء، الرفق، الوفاء، الصدق، الرأفة، الصبر، العفو، الشكر، الأناة، الحلم، العفاف، والوقار⁽⁵⁾، والملاحظ لخطاب "أبي حمو" يتضح أنه كذب محض، لأن المرسل لا يقصد أن (العفة ثياب، والوقار رداء، والحياء تاج، والكرم حلية، والهيبة خاتم)، كما السياق يُظهر أنه من غير الممكن أن يقصد المتكلم العكس، مما يشير إلى أن المرسل كان يسعى لتوجيه ابنه نحو التحلي ببعض الصفات الحميدة وفقاً لما تقتضيه آلية الاستعارة، التي تتطلب وجود قرائن بين طرفيها، وبذلك يمكن تصنيف الاستعارة كآلية تخرق قاعدة الكيف⁽¹⁾، "فأية مخالفة لأحد الأساس الذي تقوم عليه العبارات، أو مخالفتها معاً، بقول الكذب أو ادعاء ما لا دليل عليه، تؤدي إلى وجود معان

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 440.

(2) ينظر: العياشي أدواري: الاستلزام الحوارية، ص 99.

(3) ينظر: ابن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص 440.

(4) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 23.

(5) ينظر: الشيزري: المنهج السلوك، ص 241.

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 440.

مستلزمة غير تلك التي تحملها البنية اللفظية الظاهرة للحوار، فيكون فيه استلزام حوراي⁽¹⁾.
و قد يخرق المخاطب القاعدة الثالثة والمتمثلة في "قاعدة العلاقة" من أجل استلزام
قصد آخر يريده هو، والتي تركز على "ضرورة أن يكون الكلام ذا صلة بالموضوع"⁽²⁾، فإذا
لم يتم مراعاة تلك القاعدة من أحد طرفي الحوار، وذكر في حوار ما لا يناسب موضوع
الحوار ظاهرياً، كان حرياً بالطرف الآخر البحث في مراده من ذلك الانتهاك، وما يتضمنه
من معان مستلزمة تختلف عما تحمله البنية اللفظية الظاهرة للحوار، مثلما نجد ذلك في
المثال التالي: (3)

دَمْعٌ يُنْهَلُ مِنَ الْمُقْلِ لِقَبِيحٍ كَانَ مِنَ الْعَمَلِ
وَجَوَى فِي الصَّدْرِ لَهُ حَرْقٌ فَالْقَلْبُ لِيْكَ فِي شَغْلِ
وَنَهَيْتُ النَّفْسَ فَمَا قَبِلَتْ وَتَوَلَّى الصَّبْرُ فَمَا حِيلِي
فِي الْقَلْبِ شَجَى كَيْفَ الْمَنْجَى لِمَنِ الْمَلْجَا بَارَتْ حِيلِي
مَنْ يُنْقِذُنِي مَنْ يُسْعِدُنِي مَنْ يَرْحَمُنِي مَنْ يَغْفِرُ لِي
إِلَّا مَوْلى يُسْنِدِي الطُّوْلاً رَبِّي الْأَعْلَى مَحْيِي الدُّوْلَ
أَحْيَاهَا بِي وَبِأَعْرَابِي وَأَنَا الزَّابِي وَالِدُّوْلُ لِي
لِي أَحْيَاهَا لِي أَنْشَاهَا لِي أَعْطَاهَا أَزْلُ الْأَزْلِ
أَحْمِي الْمَظْلُومَ وَأَنْصُرُهُ وَأَقِيمِ الْحَقَّ بِلَا مَيْلِ
أَحْنُو لِلطُّفْلِ كَوَالِدِهِ وَأَسُوقُ الشَّيْخَ عَلَى مَهْلِ
وَالرَّفْقُ كَذَلِكَ مِنْ شِيْمِي وَالْعَدْلُ بِهِ أُعْطِيَ أَمَلِي
وَأَنَا لِلْحَرْبِ كَعَنْتَرَهَا وَأَنَا فِي السَّلْمِ أَخُو جَدَلِ

(1)- أميرة عثمانية وهدى شرقي: تجليات الاستلزام الحوراي في مسرحية صلاة الملائكة -مقاربة تداولية-، ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي التبسي، تبسة-الجزائر، 2022-2023، ص70.

(2)- أميرة عثمانية وهدى شرقي: تجليات الاستلزام الحوراي في مسرحية صلاة الملائكة -مقاربة تداولية-، ص356.

(3)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص24، 25.

في مطلع القصيدة ندم شديد قد أثقل كاهل "أبي حمو" جراء ارتكابه للمعاصي والذنوب فكانت وجهته الله عز وجل غفار الذنوب الرحيم العفو، ليخفف عنه هذه الحسرة وتأنيب الضمير، لنجده ينتقل سريعا إلى موضوع آخر لا علاقة له بالندم على اقتراف الذنوب والتضرع للمولى، إذ نجده يتحدث عن صفاته بأنه ملك، عادل، رؤوف برعيته شجاع في الحرب...، ليبيدي بما يتحلى به من صفات حميدة لعله يتقرب بها لله عز وجل وينال رضوانه، وبهذا يكون المرسل قد خرق "قاعدة العلاقة" بالخروج عن الموضوع وعدم ملائمة المعلومات له.

و قد يخرق المرسل القاعدة الرابعة أي "قاعدة الطريقة" كعدم الإيجاز في القول والتي تركز على "الوضوح وعدم الإبهام والإطناب"⁽¹⁾، فالهدف من هذه القاعدة هو تجنب الاضطراب والملل والإيجاز المخل في القول"⁽²⁾ ليلزم عن ذلك قصد آخر، كما في الخطاب التالي: ⁽³⁾

"يا بني إنك إن عملت بوصيتي رجوت لسلطانك الدوام ولخلافتك السعادة مدى الأيام والله خليفتي عليك فيما دونته إليك".

الانتهاك هنا كان بعدم الإيجاز، فقد استطرد الكاتب بدلا من كل هذا الخطاب كان بإمكانه أن يقول: (اعمل بوصيتي تفلح)، وهذه القاعدة تلزم المتكلم أن يكون واضحا في كلامه دون غموض ولبس ودوران ويمكن أن نلخص تلك القاعدة في عبارة "كن واضحا"⁽⁴⁾، إذ يدل هذا الخطاب على أن "أبا حمو" أنتج خطابه بخرق قاعدة "لاكوف" التي تقتضي إعطاء الحرية للمرسل إليه أثناء الخطاب"⁽¹⁾، بعدم إجباره على أمر ما، بالرغم من أن المرسل يستحسن أن المرسل إليه يستمع إليه ولنصائحه التي يسديها إليه، ويقتدي بها في حياته، ولكن لا يريد أن يبين ذلك لابنه أو أن يصر عليه صراحة أو يشعره بالانتقاص من

⁽¹⁾ ابن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص25.

⁽²⁾ العياشي أدواري: الاستلزام الحواري، ص100.

⁽³⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص44.

⁽⁴⁾ صلاح إسماعيل: النظرية القصدية في المعنى عند غرايس، المعلومات حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة القاهرة، الحولية 25، 2005، ص88.

⁽¹⁾ ابن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص441.

حقه بوصفه شاباً وملكاً في قادم الأيام، وبهذا يدرك الابن بأن عدم الأخذ بنصائح والده أمر غير مستحب، وأنه ينطوي على ضرر.

وعليه، فإن الإخلال بأي من القواعد أو جميعها أثناء عملية التواصل يستدعي من الطرف الآخر أن يتجاوز المعنى الظاهر للكلام، ليصل إلى المعنى الضمني الذي يقتضيه السياق، ويتم الوصول إلى هذا المعنى من خلال الاستدلال من الدلالة الظاهرة ومن القرائن المرتبطة⁽¹⁾، فبدون مبدأ التعاون يحدث خللاً بين المتخاطبين ويؤدي إلى انقطاع الحوار حتماً بينهما.

وعليه استعان "أبو حمو" بالاستراتيجية التلميحية ليعبر عن قصده التلمحي الذي يغير معنى الخطاب الحرفي الذي تلفظ به والذي يحدده السياق، خارقاً بذلك القواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون.

3. دلالة الإشارة:

قد يعبر مرسل الخطاب عن مقصديته بشكل لغوي مباشر، ولكن معناه يستدعي أكثر من تأويل قد يخطر ببال المخاطب، وهذا ما يعرف بـ "دلالة الإشارة"، إذ تشير هذه الدلالة إلى معنى مستلزم يرتبط باللفظ، دون أن يكون هذا المعنى المقصود بشكل مباشر في السياق أو الجملة، وتسمى هذه الدلالة "إشارة" لأن المعنى المرتبط بها يُشار إليه بشكل غير مباشر⁽²⁾، وكتاب (واسطة السلوك) يكثر من الخطابات التي لها تأويلات واستلزمات تخرج عن مقصديته المباشرة منها خطابه التالي: (3)

"اعلم يا بني أنه ينبغي لك أن تختار جواد من خيار الخيل وعتاقها وكرامها وسباقها، كامل الخلقة، حسن الحلية، معتدل الحركة والمشية، لا يكلّ من السير، ولا يسأم من الجري كالطير، إذل أغار طار، وإذا سار لا يعارض في التسيار، وإذا جرى سبق، وإذا طرد لحق، أسبق من السهم وأسرع من الوهم، تعدّه للمهمات، وتدخره للشدائد والملومات".

في هذا الخطاب، يعبر الكاتب لابنه عن نية واضحة تتمثل في ضرورة اختيار ولي

(1) ينظر: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار، ص104.

(2) ينظر: قطب مصطفى سانو: معجم مصطلحات علوم الفقه، ص201.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص126.

العهد لجواد يمتاز بصفات تبرز القوة والهيبة أمام الأعداء، ويستشهد بالآية القرآنية: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَرِباطِ الْخَيْلِ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية 60]، وقد ورد في كتاب "التبر المسبوك في سياسة الملوك" في باب ما يتعلق بالأصحاب الذين يحتاجهم السلطان، الفرس الجواد كأحد الأصحاب الذين يجب أن يكونوا جاهزين في الأوقات الحرجة، لتقديم الدعم في المواقف الصعبة⁽¹⁾، وعلى الرغم من أن قصده مباشر إلا أنه يشير إلى معنى آخر مستلزم من خطابه، والمتمثل في أنه على علم كبير بالجياد وصفاتها وله خبرة كبيرة في ذلك، فالمعنى الذي يسعى المتكلم إلى توصيله يتجاوز المعنى الحرفي للتراكيب إلى المعنى الضمني المتضمن فيها، وبناءً على ذلك يُصنف الاستلزام في دلالة الإشارة كاستلزام طبيعي، يتم وفقاً لما تقتضيه قواعد الكم والكيف والطريقة، من خلال التعبير عن خطاب مختصر وواضح⁽²⁾.

كما نجد "أبو حمو" في خطابه لله عز وجل، في قصيدته اللامية التي يفصح فيها عن كثرة خطاياه التي ارتكبتها والتي يقول فيها: (3)

دَمْعٌ يَنْهَلُ مِنَ الْمُقْلِ لِقَبِيحِ كَانَ مِنَ الْعَمَلِ
وَجَوَى فِي الصَّدْرِ لَهُ حَرَقٌ فَأَلْقَبُ لِدَاكَ فِي شُغْلِ
وَنَهَيْتَ النَّفْسَ فَمَا قَبِلَتْ وَتَوَلَّى الصَّبْرُ فَمَا حِيلِي

تعبر الأبيات عن مدى حسرة وندم الشاعر وتأنيبه لضميره نتيجة لذنوبه وأخطائه الكثيرة، وحقيقة التوبة كما يعرفها الإمام "ابن القيم"، تكمن في الرجوع إلى الله، والابتعاد عن المعاصي، والندم على ما مضى، ويصف التوبة بأنها الرجوع إلى الله بتبني فعل ما يحب وترك ما يكره، أي العودة من المكروه إلى المحبوب⁽¹⁾، إلا أن خطاب "أبو حمو" لم يصرح بهذا المعنى -الندم والحسرة- وإنما فهمناه من خلال تأويلنا لخطابه في الأبيات من خلال تحليل المعاني الصريحة المباشرة والمعاني المستلزمة غير المباشرة التي خرجت إليها، فـ "جمل اللغات الطبيعية يمكن أن تدل في بعض السياقات على معاني أخرى خفية غير

(1) ينظر: الغزالي: التبر المسبوك، ص 84.

(2) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 443.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 24.

(1) ينظر: أزهرى أحمد محمود: التوبة التوبة قبل الحسرات، دار بن خزيمة، دب، دط، دت، ص 05.

المعنى القضوي⁽¹⁾.

خلاصة القول:

لقد أبدع "أبو حمو" في كتاب (واسطة السلوك) من حيث لجوءه إلى الأساليب الغير مباشرة، والتعبير عن مقاصده وإيصالها للمتلقي عن طريق ما يعرف بالاستراتيجية التلميحية والتي تقوم على فكرة أن جمل اللغة تدل في أغلبها على معان صريحة، وأخرى ضمنية تعرف دلالتها وفق السياق الذي وردت فيه، والذي يلعب الدور البارز في كشف وتحديد مقاصد المتكلمين، من خلال عملية الفهم والتأويل، مستثمرا في ذلك التقنيات والآليات التي يتم عن طريقها التعبير عن المعنى بغير ما يقف عنده اللفظ، وتجدر الإشارة أن استعمال هذه الآليات بأنواعها لا تختزل مقاصد المتكلم الحرفية، وإنما تبني كذلك على المقاصد.

(1) - حافظ إسماعيل علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، ص 266.

الفصل الخامس

الاستراتيجية الخطابية الإقناعية

المبحث الأول: الاستراتيجية الإقناعية
المبحث الثاني: الوسائل اللغوية الإقناعية

الفصل الخامس: الاستراتيجية الخطابية الإقناعية

المبحث الأول: الاستراتيجية الإقناعية

يهدف مرسل الخطاب في كل عملية اتصالية بالدرجة الأولى إلى إقناع المرسل إليه بمضمون الرسالة الحامل لها؛ بتبني اعتقادات ما، أو إقناعه بالعدول عن أخرى، ولا يجيد ذلك إلا إذا امتلك الأدوات التي تؤثر في المتلقي وتوصل فكرته بشكل أوضح وأسرع، فيتفهمه ويرحب بما يقول عن طريق المحاجة والمحاورة لا عن طريق الفرض والإلزام، ويعرف ذلك تداولياً بـ "الاستراتيجية الإقناعية".

1. مفهوم الاستراتيجية الإقناعية (الحجاجية):

هي كل طريقة تهدف إلى إقناع المتلقي والتأثير في رأيه وفكره، بإحداث تغييرات في المواقف الفكرية أو العاطفية⁽¹⁾، والتي تستمد اسمها من هدف الخطاب، وبما أن الحجاج يعتبر خطاب إقناعي، يقوم على الوقائع، ويعمل كاستراتيجيات توظف العوامل الذاتية والخطابية ليحقق النجاح والفعالية⁽²⁾، فإنه يعد من أنجع الوسائل والأدوات اللغوية التي يجسد بها المرسل وظيفة الإقناع في الخطاب، لما له من تأثير في إقناع المرسل إليه، ومنه يمكن تسمية هذا النوع من الاستراتيجية أيضاً بـ "الاستراتيجية الحجاجية".

2. مسوغات استعمال الاستراتيجية الإقناعية (الحجاجية):

هناك العديد من المسوغات التي تحمل المرسل إلى الاعتماد وتوظيف استراتيجية الإقناع أهمها: ⁽³⁾

- 1 - تكمن قوة هذا النوع من التأثير في كونه غالباً ما يستند إلى اقتناع داخلي لدى المتلقي، مما يجعله أكثر رسوخاً واستمرارية وأقل ارتباطاً بالإجبار أو الإكراه.
- 2 - تمتاز هذه الاستراتيجية عن غيرها، كاستراتيجيات الضغط أو الفرض، بأنها تسعى

⁽¹⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 445.

⁽²⁾ ينظر: محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2005 ص 170.

⁽³⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص 445، 446.

إلى تحقيق القبول الطوعي للرسالة، إذ يُعد إقناع المتلقي غاية أساسية يسعى إليها المتكلم من خلال خطابه.

3- يتجلى تطوّر الخطاب بين طرفيه من خلال توظيف الحجاج بوصفه عنصراً ضرورياً في الفعل التداولي، إذ يُعدّ الإقناع أحد أسسه الجوهرية، فعندما يسعى المتكلم إلى حمل المخاطب على تبني قناعاته، لا يلجأ إلى أساليب الإكراه، بل يعتمد إلى تقديم براهين وحجج متنوعة تقود المتلقي إلى الاقتناع بشكل تلقائي، وقد يتعزز هذا المسعى الإقناعي بالجانب الإمتاعى للخطاب، مما يمنحه طاقة تأثيرية مضاعفة في تشكيل تصورات المتلقي وتوجيه سلوكه، نظراً لما يوفره من قدرة تمثيلية تحاكي المشاهدة الواقعية⁽¹⁾.

4- يسعى الخطاب في كثير من أشكاله إلى تحقيق غاية الإقناع، التي تشكّل أحد أهدافه المركزية.

5- يُنظر إلى الإقناع بوصفه تمثلاً لسلطة المرسل داخل الخطاب، غير أنها سلطة مشروعة ومقبولة ما دامت تُمارس عبر الإقناع لا الإكراه، ولا تتحقق فاعليتها إلا عندما يستجيب المتلقي لمضمونها، سواء من خلال الإقرار اللفظي أو الفعل العملي، وما يمنح هذه السلطة مشروعيتها هو اعتمادها على الحجاج، الذي يُعد من أبرز الأدوات اللغوية المؤثرة في الخطاب. وبذلك، يتبلور الإقناع بوصفه الحقل الذي تتموضع فيه الممارسة الحجاجية، لأنه يتحدد وفقاً لمقام الخطاب وطبيعته والمخاطب المعني به. وتبقى الوظيفة الأهم للحجاج، بعد تهيئة المتلقي لقبول الرأي أو الفرضية، هي تحفيزه على الفعل⁽²⁾، ودفع المخاطب إلى العمل يكون إما بقوة الحجة أو بالسلطة.

6- تتسم استراتيجية الإقناع بكونها شاملة، حيث تُستخدم في مختلف السياقات والمجالات، بغض النظر عن مكانة أو نوع المتحدث، سواء كان حاكماً أو امرأة أو طفلاً، مما يعكس طابعها العملي والمرن في الخطاب.

7- تُظهر استراتيجية الإقناع فاعلية تربوية واضحة، خاصة في مجال الدعوة، نظراً لما

(1) ينظر: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص38.

(2) ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، الكويت، مج 28، ع 3، يناير-مارس 2000، ص67.

تتركه من أثر نفسي عميق في المتلقي يعزز من تجاوبه مع مضمون الخطاب.

8- السعي إلى اعتراض مسبق لرفض المتلقي المحتمل لما يطرحه المتكلم، من خلال بناء الخطاب بطريقة تستبق الاعتراضات وتعزز القبول.

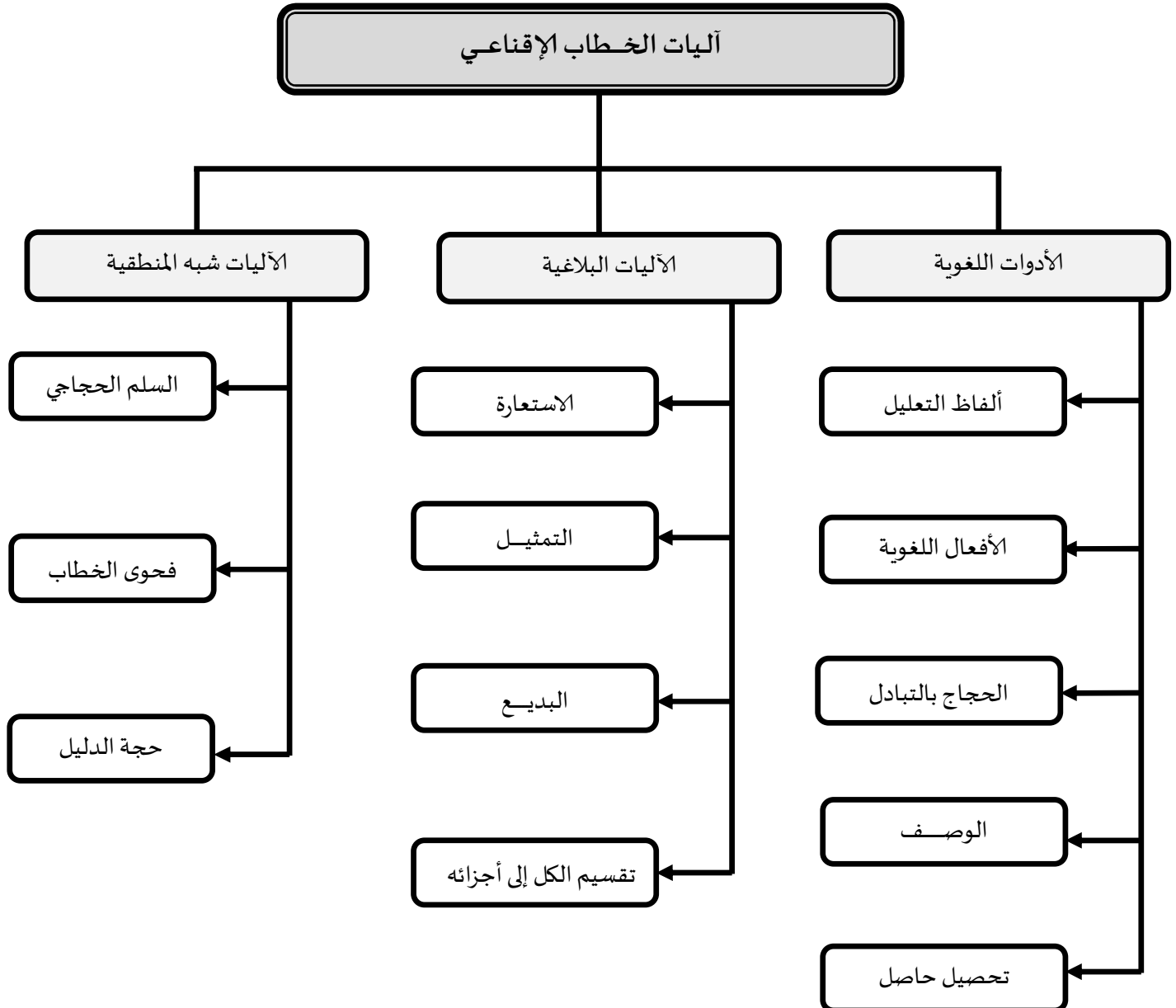
9- التحسب من إمكانية فهم المتلقي للخطاب على نحو غير مطابق لما يقصده المتكلم، مما يدفع هذا الأخير إلى مزيد من الدقة في اختيار تعبيراته.

10- وجود اختلاف أو تباين في القيم أو المبادئ بين طرفي الخطاب، مما يعيق التسليم التام أو الموافقة من أحد الطرفين على ما يطرحه الطرف الآخر.

المبحث الثاني: الوسائل اللغوية الإقناعية

1. الوسائل اللغوية الإقناعية:

بعد حضور إحدى هذه الدواعي السابقة الذكر أو جلها، وبغية تجسيد المُحاجج لقصده الحجاجي، لابد أن يستعمل مجموعة من الآليات الإقناعية، لخصناها في المخطط التالي:



مخطط رقم 03

2. الأدوات اللغوية:

يعمد المحاجج إلى توظيف الأدوات اللغوية المختلفة بطاقتها الحجاجية المتنوعة، اتكاء على براعته في توظيف تلك الأدوات التي تقوي حججه، والتي تؤثر في المتلقي وتؤدي إلى إقناعه بحمله على تبني أفكاره والتسليم بصحة موقفه، ومن هذه الأدوات:

1.2. ألفاظ التعليل:

تُعدّ ألفاظ التعليل من الوسائل اللغوية الأساسية التي يوظفها المحاجج في بناء خطابه الحجاجي، نظراً لما تحققه من توسعة في المعنى الأصلي للعبارة بهدف توضيح السبب أو العلة أو تقديم ما يدعم صحتها وفائدتها⁽¹⁾، فيعتمد المحاجج على توظيف أدوات التعليل في خطابه الحجاجي من أجل تأسيس حججه وربط المقدمات بالنتائج، ومن أبرز هذه الأدوات: المفعول لأجله، لفظة (السبب)، و(لأن)، إذ إن المتكلم لا يستخدم أيّاً من هذه الأدوات إلا بهدف تبرير فعله أو تعليله، سواء كان ذلك رداً على سؤال صريح أو ضمني⁽²⁾، وقد تباينت "ألفاظ التعليل" في كتاب (واسطة السلوك) من خطاب لآخر حسب ما يمليه السياق التداولي، وما يمتلكه "أبو حمو" من كفايات تواصلية في بعدها الإقناعي.

2.2. المفعول لأجله:

"يُعد المصدر المُعبّر عن سبب ما قبله ومن أبرز أدوات التعليل، إذ يُستخدم لتوضيح العلة، ويتوافق مع عامله من حيث الزمن والفاعل، وينقسم هذا المصدر إلى ثلاثة أنواع: مصدر خالٍ من (أل) والإضافة، ومصدر مضاف، وآخر مقترن بـ (أل)⁽³⁾، ومن خطابات "أبي حمو" الإقناعية التي وظف فيها "المفعول لأجله" قوله: (4)

"يا بُني، رَتَبَ جَيْشَكَ يَوْمَ الْحَرْبِ وَاللِّقَاءِ، فَإِنَّ فِي تَرْتِيبِهِ إِرْهَابًا لِلْأَعْدَاءِ".

يدرك "أبو حمو" أهمية تنظيم الأمور وترتيبها في حياة الفرد لتحقيق آماله وبلوغ أهدافه، إذ نجده في هذا المقطع الخطابي يحث ولي عهده إلى ضرورة ترتيب جيشه في

(1) ينظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني: البلاغة العربية، ج2، ص93.

(2) ينظر: الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص478.

(3) ينظر: عباس حسن: النحو الوافي، ج2، ص237.

(4) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص155.

أوقات الحرب ليستطيع التغلب على العدو، فكما جاء في كتاب (المنهج السلوك في سياسة الملوك) فيما يتعلق بما يجب على الملك من تنظيم الجيش وتدبير شؤون الجنود، يتعين عليه أن يُحسن ترتيب الصفوف في ساحة المعركة، وأن يُسند كل موضع إلى من يراه أهلاً له من القادة، مع متابعة الصفوف بنفسه للتحقق من سلامتها وتدارك ما قد يظهر فيها من خلل، كما ينبغي عليه أن يدعم المواقع التي يستهدفها العدو بإمدادات تعزز من قدرتها على المواجهة⁽¹⁾، ولكي يقتنع الابن بنصائح أبيه ويدرك أهمية هذا التنظيم وأثره على نفسية الأعداء سلباً، أورد حجة التي تبرر دعوته؛ من خلال لفظ "المفعول لأجله" المجرد من (أل) في عبارة (إرهاباً للعدو)، والذي جاء كتعليل وحجة لكلامه، الأمر الذي يجعله يؤثر في ابنه بشكل كبير، فيقتنع به ويأخذه بعين الاعتبار في قادم أيامه.

ويمكن أيضاً أن نمثل لهذه التقنية اللغوية -المفعول لأجله- في خطاب "أبي حمو" مع ابنه في قوله: (2)

"... وهو الملك الذي له عقل يصلح به دنياه دون أخراه، فهذا يا بني له سياسة وعقل تام ويرجى ثبوت ملكه، وانتظام سلوكه، لحسن سياسته التي يقيم بها أمر رعيته. وإن كان يظهر بخلاف ما في طويته، فأمره راجع إلى مولاه، في ما أسره وأخفاه فهو يجري في الناس على عوائدهم المألوفة وأحوالهم المعروفة".

يزخر هذا الخطاب بنصائح ثمينة موجهة من "أبي حمو" إلى ابنه، لتعينه على حسن تسيير شؤون مملكته، وطريقة تواصله مع رعيته ووزرائه وقواده وحتى أعدائه، إذ نجده حريص على توجيهه إلى التحلي بالعقل الراجح، لما سيرجع بالمنفعة دائماً عليه وعلى مملكته أيضاً، لأن بصلاحه يُصلح دنياه وأخراه، فقد ورد في الأثر أن الله تعالى خلق العقل في أكمل هيئة، وأمره بالإقبال فأقبل، ثم أمره بالإدبار فأدبر، فأقسم سبحانه بعزته وجلاله بأنه لم يخلق في مخلوقاته شيئاً أتمّ منه، وبأنه يجعل العقل وسيلة للأخذ والعطاء، وأداة للمحاسبة والثواب والعقاب⁽³⁾، ولكي يقتنع الابن بصحة نصيحة أبيه استعان هذا الأخير إلى تقويتها

(1) ينظر: الشيزري: المنهج السلوك، ص 608.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 51.

(3) ينظر: الغزالي: التبر المسبوك، ص 115.

بلفظ "المفعول لأجله" المقترن بحرف الجر في قوله (لحسن سياسته)، لأنه يعلم أن ابنه يسعى في يوم ما أن ينتظم سلوكه ويدوم ملكه، ولا يكون ذلك إلا بحسن سياسته مع رعيته، ولا يكون ذلك إلا بصلاح العقل، ولجوء الكاتب إلى التعليل كان من أجل التأثير في ابنه، للاقتناع بكلامه والأخذ برأيه، فالمتلقي يكتشف أن هذا التعليل يندرج ضمن الاستراتيجية الإقناعية التي اعتمدها المتكلم لإقناعه بفكرته.

3.2. لأن:

من أهم "ألفاظ التعليل" أيضا التي يوظفها المرسل بغية تبرير فعل ما، قد اقترحه على المرسل إليه ويريد إقناعه به، وقد استعان بها "أبو حمو" بكثرة في خطابه الحجاجية مع ابنه، ويمكن أن نمثل لها بخطابه التالي: (1)

"اعلم يا بني أنه ينبغي لك أن تتخذ خاصة من وجوه القبائل، وكرام العشائر تستخلصهم لنفسك، ليعلمك كل واحد بما انطوت عليه جماعته من السرائر، ويكون كل واحد منهم محبا في جانبك، ومائلا إليك ومعتمدا في أموره عليك، لأنه إذا كان محبا في جانبك، قاد جميع جماعته إلى بابك، وسعوا كلهم في مرضاتك وآرائك، فلتنزل كل واحد منهم في منزلته، ورتبته على قدر ما يليق به من مرتبته".

يُقال إن بقاء الدولة واستقرار السلطنة لا يتحقق إلا بوجود أعوان صالحين، يتصفون بالنصح والإخلاص، غير أن صلاح هؤلاء لا يؤتي ثماره ما لم يتحلّ الحاكم بالتقوى، إذ إن صلاح الأصل شرط في صلاح الفرع (2)، ويرى الكاتب ضرورة تمرير هذه النصيحة لولي عهده للأخذ بها مستقبلا، ففي الخطاب توصية بضرورة اتخاذ أشخاص من كل قبيلة من القبائل، قريبين منه محبين له، لياأتمنهم على نفسه، ثم برر طلبه هذا بالرابط التعليلي "لأن" الذي ربط بين السبب (إذا كان محبوبا في جانبك) والنتيجة (قاد جميع جماعته إلى بابك وسعوا كلهم في مرضاتك وآرائك) ليكون بذلك طلبه معقولا، فيتأثر ابنه به ويقتنع بسهولة، "وبهذا يتقرر أن الرابط السببي "لأن" يمكن أن يستعمل في الحجاج بغض النظر عن فعل الكلام المنجز" (1).

(1) - أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 103.

(2) - ينظر: الغزالي: التبر المسبوك، ص 85.

(1) - ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 479.

4.2. لام التعليل الناصبة للمضارع، اللام الجارة:

"اللام" لها نفس عمل "لأن"، سواء كانت "لام التعليل الناصبة للفعل المضارع"، أو "اللام الجارة"، ومن النماذج النصية في المدونة التي نجد فيها هذا النوع من "ألفاظ التعليل" ما ورد في حديث "أبي حمو" عن الوزير وفطنته الذي يقول فيه: ⁽¹⁾

"...أتى إلى وزيرنا ليخدعه ويرده إلى جانب سلطانه ويطعمهن وذلك لما تقدم بينهما من الوداد وصفاء المودة والاعتقاد، وقد تفرسنا في وزيرنا أنه لا يخدعه عمر المذكور، ولا يغتر منه بزخرف الغرور، من أجل محبته وخلوص نيته، وصفاء طويته، وعلمنا من حزم وزيرنا أنه يخدعه ويرد عليه مكيدته، ويحل عزيمته وعقيدته، ولذلك نزلناه عنده وأريناه بغيته وقصده".

"يرى الغزالي أن الوزير يُعدّ زينة السلطنة، ومن الواجب أن يكون بعيداً عن النقائص، متصفاً بالصلاح والعفة. ولكي يكون كذلك وتُحمد سيرته، فلا بد أن تتوفر فيه خمس خصال: الذكاء الذي يمكنه من إيجاد مخرج في الأزمات، والعلم الذي يكشف له حقائق الأمور، والشجاعة التي تجنبه الخوف في غير مواضعه، والصدق الذي يمنعه من التعامل مع من لا يستحق، وأخيراً حفظ أسرار السلطان حتى وفاته ⁽²⁾، وفي صدد حديث الكاتب عن وزيره، وظف "اللام" في أكثر من موضع منها؛ "لام التعليل الناصبة للفعل المضارع" في (ليخدعه)، و"اللام الجارة" في (لما، لذلك)، وكلها جاء بها المرسل لدور مشترك؛ هو تقديم حجج لأقواله ودعمها بالتعليل ليتأثر ويقتنع بها مرسل خطابه.

إلى جانب ذلك نجد تمثيل للام الجر أيضاً في المدونة في خطابه الذي ينبهه بعدم الإكثار من مجالسة النساء في قوله: ⁽³⁾

"يا بني لا تكثر من مجالسة النساء، لئلا يفسدن عقلك بعقولهن، ويسرقن طباعك من طباعهن، فإنهن ناقصات عقل ودين".

يرى الكاتب أن الأخذ برأي النساء ومشاورتهن في الأمور، أمر غير صائب ويُرجع

⁽¹⁾- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 185.

⁽²⁾- ينظر: الغزالي: التبر المسبوك، ص 85.

⁽³⁾- أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص 26.

ذلك لقوله أنهن ناقصات عقل ودين، فيرى أن كل ما يصيب الرجل من البلاء والهلاك والمآسي فبسبب النساء ، فيرى أنه من الصواب أن ينبه ابنه لهذا الأمر، ولكي يقتنع ابنه بكلامه دعم هذا الأخير قوله بالحجج التالية(يفسدن عقلك بعقولهن، ويسرقن طباعك بطباعهن، إنهن ناقصات عقل ودين)مستعينا بالرباط الحجاجي "لام الجر" في عبارة(لئلا)ليكون وسيلة يكسب بها خطابه قوة وبلاغة في التأثير والإقناع.

5.2. كلمة السبب:

"كلمة السبب" هي الأخرى تنتمي إلى الروابط الحجاجية التي يمكن للمرسل الاعتماد عليها كأداة تحليلية في خطابه الحجاجي، وقد اعتمد عليها "أبو حمو" في مدونته ونجد ذلك فيما تضمنته خطاباته عن ما يلزم الملك القيام به أثناء الحرب، في قوله: ⁽¹⁾

"يا بني إذا لاقيت عدوك في الحرب، فاجعل رايتك أمامك، ونظرك أمامك، ولا تلتفت يمينا وشمالا، فإن الالتفات يورث خبالا، لأنك ربما رأيت في أحد الجناحين انكسارا، فيتشوش خاطرك لذلك ويدعوك الشره ابتدارا فتميل إليهم بمن معك من العساكر، فيكون ذلك سبب فسادك في الباطن والظاهر، لأن ميلانك سبب الفساد، وخروج عن الاقتصاد لآته إذا رآك جيشك ملت إلى أحد الجهتين حسبوا أنك منهزم دون مين ⁽²⁾، مع أنك لا تقدر على جبر الجانب الذي انهزم، والركن الذي تثلم، لما دخل الرعب قلوبهم، وأفسد الترحج أسلوبهم، فالذي يجب عليك أن تجمع خاطرك، وتثبت في عدوك وناظر، مصمما إليه، عاملا في اللقاء عليه".

يسوق الكاتب مجموعة من الوصايا التي يجب أن يأخذها ابنه بعين الاعتبار أثناء مشاركته في الحروب لتعود بالمنفعة عليه وعلى جيشه، ومن هذه الوصايا؛ الثبات والوقار لأن وقار الملك وهدوءه يعد من أبرز استراتيجيات الحكم، حيث يساهم في تعزيز الهيبة، وتكريم المكانة، وإظهار الفخامة، بالإضافة إلى بث الرعب في صفوف الأعداء ⁽¹⁾، ففي قوله (اجعل رايتك أمامك، ونظرك أمامك، ولا تلتفت يمينا وشمالا)، وصايا يجب على ابنه

⁽¹⁾ - أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص115.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص26.

⁽¹⁾ - ينظر: الغزالي: التبر المسبوك، ص357.

الالتزام بها أثناء الحرب، ولكي يقتنع بهذه الوصايا استعان بجمل مركبة تحمل شطرين متلازمين؛ السبب والنتيجة، ويتجلى السبب في قوله (لأنك ربما رأيت في أحد الجناحين انكساراً، في تشوش خاطرك لذلك، ويدعوك الشره ابتداراً فتميل إليهم بمن معك من العساكر)، وأورد بعده حجته في ذلك من خلال لفظة السبب التي ربطت بينهما ليكون ما بعدها نتيجة لما قبلها، وقد كررها أكثر من مرة في خطابه، ليؤكد على أهمية هذا الأمر والواجب الاقتناع والالتزام به.

6.2. الوصل السببي:

من بين "أدوات التعليل" ذات الأهمية البالغة في بناء الخطاب الحجاجي، ما يُعرف في الدرس الحجاجي التداولي بـ"الوصل السببي"، فهو عبارة عن "علاقات حجاجية تربط بين الأحداث وتفسر العلاقة بينها، وغاية هذه الحجة تقويم الأحداث والأشياء"⁽¹⁾، وللوصل السببي "ثلاثة ضروب من الحجاج:

- حجاج يهدف إلى ربط حدثين متعاقبين باستخدام رابط سببي يوضح العلاقة بينهما
 - حجاج يسعى لاستنتاج السبب الذي أدى إلى حدوث واقعة معينة بناءً على تأثيراتها المترتبة.
 - حجاج يهدف إلى التنبؤ بالنتائج التي قد تتجم عن حدث معين"⁽²⁾.
- ومن أمثلة توظيف هذه الأداة الإقناعية في المدونة ما أنت به البنية اللغوية لهذا الخطاب⁽³⁾.

"يا بني لا يدعوك حب النساء إلى أن تكثر الولائم والأعراس والتنزه وشبه ذلك. فإن حب الأعراس والولائم والنزهات يدعوا إلى حب الشهوات، وحب الشهوات يدعوا إلى فساد العقل والدين، وإذا فسد العقل والدين، فسد الملك واختل نظامه، لأنه بفساد العقل تفسد عليك أمور دنياك، وسياسة ملكك، وفساد دينك تفسد عليك آخرتك".

(1) عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط-المغرب، ط1، 2013، ص94.

(2) عبد الله صولة: في نظرية الحجاج -دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011، ص49، 50.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص43.

يوصي "أبو حمو" ابنه بجملة من النصائح حول أسس الملك ودوامه من خلال تجربته الخاصة في عالم السياسة، وقد جعل لتقنية "الوصل السببي" مطية يركبها للولوج إلى مبتغاه، فعمد في خطابه هذا إلى الربط بين مجموعة من الأحداث المتتالية، يراها من وجهة نظره أنها سبب الهلاك، إذ يرى أن (حب الأعراس والولائم)نتيجته(حب الشهوات)، و(حب الشهوات)مقدمة حجاجية لـ(فساد العقل والدين)، وأن(فساد عقله ودينه)يؤدي به إلى(فساد دنياه وآخرته)، إن جمال الإنسان وكرامته ورفعة مكانته، فضلاً عن صلاح أحواله في الدنيا والآخرة، تتحقق من خلال العقل واكتماله، مما يؤدي إلى تكامل صفاته وأبعاده⁽¹⁾، والملاحظ في خطاب "أبي حمو" أنه وصل بين المقدمة الأصل والنتيجة، وهو وصل تتابعي بين حب الأعراس بوصفها السبب الأساس، وفساد دنياه وآخرته بوصفها نتيجة لها، وقد أورد الكاتب حججه بهذا التسلسل والتفصيل فيها ليسهل بها التأثير في المتلقي وإقناعه والأخذ بتوجيهاته، يتم الجمع بين المقدمة والنتيجة من خلال الانتقال بينهما في تسلسل منطقي باستخدام أدوات لغوية، مما يشكل حجة تتيح تقييم عمل أو حدث معين، ولذلك تلعب الحجة التداولية دوراً مهماً في تقييم الأعمال، إذ لا تقتصر مهمتها على ذلك فقط، بل تتجاوزها إلى توجيه السلوك واتخاذ القرارات المستقبلية⁽²⁾.

7.2. التعليل السببي في التراكيب الشرطية:

"الشرط" هو "تعليل أمر بأمر، أو حدث بحدث، أو هو السببية احتمالاً أو امتناعاً"⁽³⁾، ويقصد بالتعليل السببي في التراكيب الشرطية استعمال أدوات الشرط للربط بين الحجج، وذلك أدعى لتوليد حجج جديدة ذات صلة بالحجة الأولى⁽⁴⁾، ويمكن التمثيل لهذه التقنية الإقناعية بالخطاب الحجاجي التالي: ⁽⁵⁾

"يا بني العقل شجرة من أشجار الأنس، من استظل بها ولا زمها اجتنى بها ثمرة المحبة، ومن يصمت يسلم، ومن يفعل الخير يغنم، ومن يقل الشر والباطل يأثم، ومن لا

⁽¹⁾ ينظر: الغزالي: التبر المسبوك، ص118.

⁽²⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص480.

⁽³⁾ كمال رشيد: الزمن النحوي في اللغة العربية، دار عالم الثقافة، الأردن، د.ط، 2008، ص265.

⁽⁴⁾ ابن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص480.

⁽⁵⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص26.

يملك لسانه يندم".

ليقتنع ابنه بقيمة العقل وأهميته والواجب التحلي به وظف الكاتب "التعليل السببي بالصيغ الشرطية" ويكمن ذلك في تشبيه العقل بالشجرة، على أساس أن العقل له نتائج جيدة لمن يعتنى به يجتني ثماره، قال بعض الحكماء في أهمية العقل: العلم يُعتبر بمثابة القائد، والعقل هو السائق، بينما النفس تميل نحو التردد، فإذا وُجد القائد دون سائق، توقفت النفس عن التحرك، وإذا كان السائق دون قائد، انحرفت النفس يميناً وشمالاً. أما إذا اجتمع القائد والسائق، فإن النفس تسير وفقاً لهما، سواء كانت راغبة أو مكروهة⁽¹⁾، ونجد "أبو حمو" في هذا الملفوظ يجعل لكل حجة من الحجج مقدمة ظاهرة تتبع نتيجة، فعبرة (من استظل بها ولازمها) مقدمة لنتيجة (اجتنى بها ثمرة المحبة)، وكذلك استعماله للعبارة المتتالية (يصمت، يفعل الخير، يقل الشر والباطل، لا يملك لسانه) هي مقدمات للنتائج التالية على التوالي (يسلم، يغنم، يأثم، يندم)، فجاءت الحجج في قالب تسلسلي يربط من خلاله النتيجة الحتمية بالمقدمة الشرطية، وكلها وصايا تصب في مجرى واحد وهو تربية النفس وتهذيبها.

ما نلاحظه في هذا الجزء من الدراسة أن "أبا حمو" استند إلى "ألفاظ التعليل" بتنوعها، كحجج ليؤثر في مخاطبه ويقتنع بها، فكان ورودها في خطابه كثيراً جداً، لأنه في حاجة لعرض الأسباب لمسلماتها، فكانت معظم خطبه إقناعية تنكئ إلى دليل وتعليل.

3. الأفعال اللغوية:

تساهم "الأفعال اللغوية" هي الأخرى بدور كبير في إزالة شك المرسل إليه في وجهة نظر المرسل، فيتجاوز دورها مجرد المساعدة في تركيب الخطاب باعتبارها حجج بعينها، إذ يلجأ إليها المحاجج كي يحقق مقصدية حاجية معينة، فرضتها عناصر سياقية تداولية خاصة، من هذه "الأفعال اللغوية" استعمال أسلوب "الاستفهام"، "الأمر"، "النهي"، وغيرها من الأساليب التي تمتلك قوة حاجية تحقق نتائج إيجابية للعملية الإقناعية.

1.4. الاستفهام:

يُعدّ الاستفهام من أقوى الأساليب الحاجية، حيث يساهم طرح السؤال في تضخيم

(1) ينظر: الشيزري: المنهج المسلوك، ص 259.

الخلاف حول موضوع معين إذا كان المخاطب لا يوافق المتكلم في الإجابة، كما يمكن أن يخفف من حدة التباين بين الطرفين، في حال كان المخاطب يميل إلى قبول جواب مخالف لجواب المتكلم⁽¹⁾، فالسؤال يثير نقاشاً ومن ثمة يكتسي به طابعاً حجاجياً، إذن فهو وسيلة للفت الانتباه المتلقين ودفعهم إلى تغيير مواقفهم أو تعديلها، ولذلك يطلق على هذا النوع من "الاستفهام" بالاستفهام الحجاجي إذ أنه نمط يتطلب تفسير القول المقصود تحليله بناءً على قيمته الحجاجية، ومن أمثلة ورود "الاستفهام" في الخطاب الحجاجي في المدونة ما جاء في قوله: (2)

"يا بني، إذا سمعت عن وزيرك سقطة في جانبك، وأردت اختبار حقها من باطلها، وهل صدرت منه كما سمعت من قائلها ؟ ويظن وزيرك أنك سمعتها عنه؟ فتفرس في وزيرك فإن رأيت منه زيادة في البشاشة، والخضوع والتذلل والهشاشة، وتلك خلاف عاداته فإن ذلك دليل على الريبة، وتحقيق لتلك السقطة المريبة، فحقق ذلك من غير ارتياب، فإنه لا تخفى حالة المرتاب، وإن لم ينتقل عن حالته المرتابة، ولا عن طريقته المعتادة ولم يظهر في كلامه نقصان ولا زيادة، فتعلم أنه بريء مما قيل لك فيه، لأن ظاهره دل على ما يخفيه".

يريد "أبو حمو" من هذا الخطاب أن يسلم ابنه بصحة كلامه وأن يشاركه في قناعاته؛ بأن لا يرى بعين غيره ولا يسمع بأذنهم، بل لابد أن يتحرى صدق الخبر بالفراسة التي هي أساس السياسة، ونجده يستعمل في ذلك حجته عن طريق أسلوب "الاستفهام الحجاجي" في عبارة (هل صدرت منه كما سمعتها؟)، محاولاً التأثير فيه وإقناعه بضرورة تحري الخبر قبل تصديقه، إذ يدرك ابنه أن أباه لا ينتظر منه الإجابة عن سؤاله، لأنها عبارة عن مسلمة يعرفها كل من المرسل والمرسل إليه، بل إن سؤاله عبارة عن حجة تزيد خطابه قوة وإقناعاً، وعليه وقع اختار المرسل على هذا النوع من الخطاب -الاستفهام الحجاجي- دون غيره ليكون حجة "باعتبار المرسل لا باعتبار الصياغة والمعنى الحرفي فقط"⁽¹⁾.

(1) ينظر: فاطمة عماريش: استراتيجية الإقناع في الخطاب اللغوي، المفهوم والآليات، ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها، مج 2، ع 4، أكتوبر 2021، ص 426.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 172.

(1) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 485.

كما يمكن أن نمثل لهذه الآلية في خطاب آخر من المدونة في قوله: (1)

"يا بني إذا رأيت كاتب سرك كثير الألفة للناس، طويل اللسان، لا يرجع إلى قياس، لا يحتفظ في كلامه ولا يكف لسانه في جلوسه وقيامه، ويزخرف لك أموراً يرى أنه ينفعك بها وهي مما تضر الغير بسببها، فهذا غير محافظ على دينه. ومن لا يحافظ على دينه فلا يحافظ على سرك، فكيف تشاركه في أمرك؟".

إن الاستفهام الوارد في عبارة (كيف تشاركه في أمرك؟)، يمكن أن نعتبره حجة تخدم النتيجة التالية؛ أنه ينبغي على ابنه أن يختار الشخص المناسب الذي يكون أهلاً لأسراره ليأتمنه عليها، إذ يدرك المرسل إليه أن السؤال هنا لا يتعلق بالاستفهام عن أمر مجهول، لأن المرسل لا يجهل هذه المعارف، كما أن المرسل إليه في معظم الحالات لا يمتلك معرفة تفوق تلك التي يمتلكها المرسل (2)، وباستثمار الظروف والمعطيات المحيطة بالملفوظ نصل إلى نتيجة مفادها أن استعمال الكاتب لهذا "الاستفهام" كان من أجل التأثير والإقناع في المتلقي، فدور "الاستفهام" هنا يتجاوز الدور المساعد في بناء الخطاب، بل استعان به المرسل كحجة بنى عليها خطابه الحجاجي.

يُعدّ الاستفهام في الخطاب الحجاجي أداة فعّالة لإثارة الحوار ودفع المخاطب إلى إعلان موقفه تجاه قضية معينة. ويحدّد هذا الموقف من خلال قرائن وعناصر اختبارية موجودة في السياق، والتي توجه عملية الاستنتاج المرتبطة بالسؤال المطروح (3).

2.4. الأمر:

يعتبر أسلوب "الأمر" هو الآخر من الأساليب التي يلجأ إليها المحاجج لتوجيه وإقناع المتلقي بحججه والتسليم بها، لما له من قدرة حجاجية تؤثر بشكل كبير في المتلقي، وتحمله على القيام بسلوك معين اتجاه المتكلم، والتأويل الدلالي لـ "الأمر" في العملية التواصلية أمر متعذر إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار العناصر التداولية التالية:

(1) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 175.

(2) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 485.

(3) ينظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي- بنيته وأساليبه، دار الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط 2، 2001،

أ-المقام.

ب-مبدأ التعاون.

ج- تعني العبارة التي يتلفظ بها المتكلم في سياق علاقته بمستمع معين، حيث تكتسب دلالتها بناءً على السياق والظروف الخاصة بالمتكلم والمستمع ويعتبر "غرايس" أن العنصرين (أ) و (ج) متغيران، في حين أن المبدأ (ب) مبدأ ثابت وعام وعلى أساسه تتجز كل الخطابات⁽¹⁾، وقد أكثر "أبو حمو" من أسلوب "الأمر" في المدونة فكانت جل خطابه بهذه الصيغة التي تخدم مقاصده وتساعده للوصول إلى غايته من تأليف هذا الكتاب، منها قوله:⁽²⁾

"يا بني البس ثياب العفة، وارثد برداء الوقار، وتتوج بتاج الحياء، وتزيّ بزّي السكينة وتقلد بصارم العدل، وتحل بحلية الكرم، وتختم بخاتم الهيبة".

إن المتأمل لهذا المقطع الخطابي يجد أن الكاتب أكثر من استعمال "الأمر" وذلك في قوله (البس، ارتد، تتوج، تزين، تقلد، تحل، تختم)، فكان وسيلته التي يحاجج بها ابنه، ليقدم بها نتيجة ضمنية مفادها؛ ضرورة الاقتناع بأوامره والتحلي بالعفة والوقار والحياء والسكينة والعدل والكرم والهيبة لأنها من صفات الملك الحق وأساس لدوام سلطانه ومملكته.

3.4. النهي:

قد يستعين المتكلم بأسلوب "النهي" في خطابه الإقناعي، لما يقوم به من دور هام في العملية الحجاجية من خلال الأثر الذي يحدثه في متلقي الخطاب، فمدار الحكم على نجاح العملية التواصلية مرهون بمدى استجابة المخاطب لقول المتكلم والاقتناع بمقاصده، والقدرة على دفعه على التصرف والفعل⁽³⁾، الأمر الذي لجأ إليه "أبو حمو" في خطابه مع ابنه، في هذا المقطع الذي يوصيه بحفظ الجيش؛ لأنه يرى أن بحفظه يحفظ رعيته وبلاده ومملكته ككل، والذي يقول فيه: ⁽¹⁾

⁽¹⁾ ينظر: العياشي أدوري: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص127.

⁽²⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص23.

⁽³⁾ ينظر: جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016، ص91.

⁽¹⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص31.

"يا بني إكرام الجيش استبعاد وإهانتهم استبعاد، واعلم أن إفساد قلوبهم يوجب إظهار عيوبهم، فلا تغضب كبيرهم ولا تحقر صغيرهم ونوه قوادهم وفضل أنجادهم، واعدل في أرزاقهم يتواطؤوا إليك بأخلاقهم. ولا تضيع لأحد فعلته، ولا تحقر لخدم خصلته، ولا تنس له سببته، ولا تفسد في سببته نيته، ولا تخلهم من إحسانك، وسائسهم سياسة على وفق زمانك، وعليك بتفد أحوالهم والتفكر في مصالحهم ومآلهم، فإنك إن حفظت أجنادك، حفظت رعيته وبلادك، وإن أهملتهم خذلوك، وإن أعرضت عنهم ملوك".

يكثر "أبو حمو" من استعمال أسلوب "النهي" في هذا الخطاب وذلك في قوله (لا تغضب، لا تحقر، لا تضيع، لا تحقر، لا تنس، لا تفسد، لا تخلهم)، إذ تمثل كل هذه العبارات حجج لخطابه ودعوة واضحة إلى تبني جملة من القيم ساقها لإقناع ابنه بضرورة حفظ الجيش والجنود باعتبارهم العنصر الأهم في البلاد، ولتكون دعوته قوية لجأ إلى تدعيمها بحجج أقوى منها في عبارة (فإنك إن حفظت أجنادك، حفظت رعيته وبلادك)، وتكمن قوة هذه الحجج في حدس الكاتب بمدى استجابة ابنه له والافتتاح بها.

وعليه نرى أن لصيغتي "الأمر" و"النهي" صلة وثيقة بالحجاج لأنهما يهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين⁽¹⁾ وفق ما يطرحه المتكلم.

4.4. النفي:

إلى جانب الحجاج بـ"الاستفهام" و"الأمر" و"النهي" قد يعتمد المحاجج إلى أسلوب "النفي" لإقناع مخاطبه، إذ يعتبر هو الآخر من أهم الوسائل اللغوية التي تكسب الكلام قوة حجاجية، يتيح هذا للمتكلم التعبير في آن واحد عن الصوتين المتضادين: الصوت المؤيد الذي يعبر عن الإثبات، وصوت المتكلم الذي يتبنى جانب النفي. إذ يشير النفي هنا إلى إثبات ضمني⁽²⁾، ومن أمثلة توظيفه في المدونة قول "أبو حمو" في موضوع الشجاعة: (1)

"... من الشجاعة التي لا يصحبها عقل ولا رأي، فهذا يا بني شجاعة مذمومة، وبالجهالة موسومة، وهي في الحقيقة هور، والعمل بها خطر، أنه إذا كانت حرب لم

(1) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص149.

(2) ينظر: صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1992، ص94.

(1) أبو حمو موسى، واسطة السلوك، ص146.

يتمالك أن ينغمس في القتال، ويلجج بهوره في معمعة الأبطال، من غير رأي ولا تدبير، ولا نظر في الأمور ولا تقدير. فمثل هذا يا بني أوله للهلك، وآخره لزوال الملك".

إن من الأوصاف المحمودة التي يقوم عليها نظام الملك وجماله وبهجته وكماله؛ الشجاعة وهي غريزة وطبيعة "يضعها الله سبحانه في من يشاء من عباده"⁽¹⁾، والكاتب ينبه ابنه إلى ضرورة الاتصاف بالشجاعة التي يصحبها العقل وصواب الرأي لينجح في مطالبه ويرجى له النصر والاستيلاء على العدو والظفر به، ولكي يقتنع ابنه بكلامه اعتمد على "النفي" في عبارة (من الشجاعة التي لا يصحبها عقل ولا رأي)، والتي اعتبرها الكاتب شجاعة مذمومة، وبالجهالة متصفة، وهي في الحقيقة تهور وخطر، فأسلوب "النفي" يؤثر لا محالة في ابنه ويجعله يقتنع بكلامه.

5. الحجاج بالتبادل وقاعدة العدل:

يستند المرسل في كلامه الموجه للمرسل إليه إلى ما يعرف "الحجاج بالتبادل" بغرض الإقناع، إذ تتجسد الحجج القائمة على العلاقة التبادلية من خلال معالجة وضعيتين معالجة واحدة إحداهما بطريق من الثانية، ما يدل أن تلك الوضعيتين متماثلتان، وإن بطريقة غير مباشرة، وتماثلهما ضروري في تطبيق قاعدة العدل، والتي تقتضي معاملة واحدة لوضعيات في مقولة واحدة⁽²⁾، وسنعرض في هذا المطلب ما يمكن توفره من خطب الحجاج في المدونة من مثال يخص هذا العنصر: ⁽³⁾

"يَا بُنَي، وَاعْلَمْ أَنَّهُ كَمَا لَا تَحُبُّ أَنْ يَعْصِيَكَ خَدِيمُكَ فِيمَا تَأْمُرُهُ بِهِ فَكَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْصِيَ رَبَّكَ فِيمَا يَأْمُرُكَ بِهِ".

من خلال سياق الكلام نفهم أن صاحب الخطاب -أبو حمو- أراد إقناع المتلقي - ابنه- عن طريق استثمار وعرض حجج بالتبادل القائمة على قاعدة العدل، ليبين له أهمية كلامه ويجعل منه آلية تدعم ما يروم إليه، فتؤثر في متلقي خطابه ويقتنع بها، إذ بين لابنه طاعة خادمه له، تكون بطاعة مولاه أولاً وعدم عصيانه، ليسهل له كل أموره، منها طاعة

⁽¹⁾- أبو حمو موسى، واسطة السلوك، ص153

⁽²⁾- ينظر: عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص45.

⁽³⁾- أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص189.

رعيته له، وقد قيل: "من لا طاعة له فما له عند الله حجة"⁽¹⁾، فالكاتب يسعى إلى وصف الحالة نفسها في سياقين متضادين، حيث يتميز هذا النوع من الحجاج بدعوة المرسل إلى ترسيخ مبدأ مشترك بينه وبين المرسل إليه بشكل متساوٍ. ولهذا السبب، يُكثر استخدام الحجاج المتبادل في النصائح لإقناع المرسل بجدوى الرأي المطروح⁽²⁾.

6. الوصف:

يعتبر "الوصف" آلية من الآليات الإقناعية التي يستند إليها المحاجج في خطابه الإقناعي، لأنها تحتوي على أدوات لغوية لها دور حجاجي مهم؛ "كالصفة، واسم الفاعل، واسم المفعول".

1.6. الصفة:

تلعب الصفة دورًا حجاجيًا يتمثل في إبراز وجهات النظر المتعلقة بالموضوع محل النقاش، لكن المقصد الحجاجي منها لا يقتصر على وضع الموصوف في إطار محدد مع العناصر المشاركة لتلك الصفة، أو الكشف عن المواقف الخاصة فحسب، بل الهدف الحجاجي من استخدامها هو تحديد نوع الموقف الذي يجب أن يُتخذ تجاه الموصوف⁽³⁾، ومن أمثلة استثمار "أبو حمو" لهذه التقنية التي صاغ بها خطابه الحجاجي ما جاء في خطابه التالي: ⁽⁴⁾

"أما بعد فإنه لما كانت الأولاد قطع الأكباد وعماد الظهور.. وجب أن تكون لهم الآباء كالسما والظليلة والشمس المنيرة والسحب المنيلة يتحفونهم بكل أدب وفضيلة، ويمنحونهم كل فائدة جليّة".

لا ريب أن الأبناء يُعتبرون أمانة في أعناق آبائهم، الذين سيُسألون عنهم يوم القيامة، كما يُتوقع من الأبناء برّ آبائهم والإحسان إليهم، فإن على الآباء أيضًا أن يتحملوا مسؤولية برّ أبنائهم والإحسان إليهم، وهذا ما ذهب إليه "أبو حمو" في هذا الخطاب، إذ يرى أن من

⁽¹⁾ الغزالي: التبر المسبوك، ص 105.

⁽²⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 486.

⁽³⁾ ينظر: عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص 316.

⁽⁴⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 03.

واجب الآباء أن يتحفوا أبناءهم بنصيب من محاسن الأخلاق وجوامع الآداب لتتير حياتهم، ولكي يقتنع ابنه بهذا الخطاب نجده يستعين بالكثير من "الصفات" في خطابه (الظلية، المنيرة المنيلة، جليلة) ليصنع من هذه الصفات مدخلا حاجيا يقنع به ابنه، ويصل به إلى مقصده الخطابي المتمثل في حرصه على أبنائه في يوم ما وعليه تُعدّ الصفة أداة حاجية وعلامة دالة على الفعل الحاجي، حيث لا يقتصر المرسل على استخدام معناها المعجمي أو تأويلها بل يسعى من خلالها إلى التقويم والتصنيف، واقتراح النتائج التي يرغب في تحقيقها وفرضها ما يمنح الصفة مرونتها وطاقتها التي تعد جزءاً أساسياً من خصائص الخطاب الحاجي، من خلال هذه الوظيفة يمكن للمرسل أن يحقق أكثر من هدف واحد، مثل التصنيف وتوجيه انتباه المرسل إليه نحو النقاط التي يسعى لإقناعه بها، مما يُظهر أهمية اختيار النعوت والصفات في مختلف جوانب الحياة ⁽¹⁾، من أبرز مظاهر اختيار المعطيات وتكييفها لتتناسب مع الحاج هو دور الصفات، التي تعمل كأداة حاجية تُظهر وجهة نظر المتكلم تجاه الموضوع، خصوصاً عندما نواجه صفتين متوازيتين ولكن متناقضتين في نفس الوقت ⁽²⁾.

تُعتبر الألفاظ التي تدل على القرابة من الصفات التي تجسد علامة على قوة الحاج، حيث تنتمي إلى سلم من الدرجات، يختار المرسل منها ما يعكس درجة قربه من الآخر في الخطاب، ويستخدمها كأداة حاجية، فضلاً عن دلالتها على التضامن ⁽³⁾، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قول الكاتب: ⁽⁴⁾

"واعلم يا بني أن أفعال الخير كثيرة وأسبابها لمن يسير عليه التوفيق يسيرة، وأفضلها اتخاذاً، وأحسنها ملاذاً، وأزكاها قرية، وأسامها عند الله يوم القيامة رتبة، الجهاد الذي هو ركن من أركان الدين وفرض على من ولاه أمور المسلمين وفي كل إقليم جهاد والله من خلقه حماة وفي الحديث أن رسول الله قال: «لا تزال طائفة من أمتي بالمغرب ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله» وفي رواية {حتى تقوم الساعة} وفي التفسير إنهم

⁽¹⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 487.

⁽²⁾ ينظر: نفسه، ص 487.

⁽³⁾ ينظر: نفسه، ص 487.

⁽⁴⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 194.

إخواننا الأندلس الذين هم بين بحر زاهر وعدو كافر، فالنائم منهم على فراشه كالمجاهد في سبيل الله فإذا كان أهلها بهذه المزية ولهم عند الله هذه الرتبة السنية، فليكن اهتمامك يا بني بأهل الأندلس أكثر الاهتمام، وأخذك في موالاتهم بما تستطيع عليه من الزرع والمال والخيول والحماة والأبطال والقوة التي أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام، ليسكن بها من غلوه وهي الرمي ورباط الخيل، تؤثرهم بذلك في كل سنة ولا تغفل عليهم في يقظة ولا سنة، ولتحمل أهلها القاصدين إلى بلادك على البر والإكرام والتيسير عليهم أسباب إيساق الطعام".

تجاوز المرسل استعمال "لفظ القرابة" (إخواننا بالأندلس) من القيمة التضامنية إلى القيمة الحجاجية، ويوضح من خلالها خصوصية العلاقة التي تجمع بينه وبين أهل الأندلس وهي علاقة الأخوة والواجب تعزيزها، وبهذا يكون قد زاد من القيمة الحجاجية للقضية التي يريد إقناع ابنه بها والتي خاطبه من أجلها والمتمثلة في؛ ضرورة الاهتمام بأهل الأندلس وموالاتهم وإكرامهم أحسن الإكرام.

2.6. اسم الفاعل:

من الأسماء المشتقة ويدل على معنى حادث مجرد وعلى فاعله في الوقت نفسه، وينبغي أن يتضمن هذين العنصرين معاً: المعنى الحادث المجرد وفاعله، وقد يشير أحياناً إلى معنى دائم أو شبه دائم، حيث تتيح صيغته الأساسية إمكانية التفسير في كلا الاتجاهين⁽¹⁾، ويدخل "اسم الفاعل" ضمن الصيغ الوصفية التي يمكن أن يستخدمها المحاجج ضمن البنية اللغوية لخطابه، كي يمنح لنفسه إمكانية لإصدار أحكام معينة تخدم النتيجة النهائية التي يود تحقيقها من وراء خطابه الحجاجي، مثلما عبر عنه "أبو حمو" في خطابي التالي: (1)

"يا بني، واختر لنفسك طبياً ماهراً، عاقلاً أريباً فاضلاً ثقة محباً ناصحاً، ومع هذه الصفات لا تمكنه من نفسك حتى لا يكون أعلم منك بنفسك، فإن اتخاذ الطبيب فيه قوة للقلب، وراحة للنفس وهو وإن كان له في الحكمة أوضح دليل، وكان كما وصفناه فهو في

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 487.

(1) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 43.

الحقيقة عليل وإنما الطبيب إله السماء فنعم الطبيب ونعتم الوكيل".

وظف صاحب الخطاب "اسم الفاعل" بكثرة في قوله (ماهرا، عاقلا، فاضلا، ناصحا) والعائد على الطبيب، وقد استعان بهذه الأسماء كحجج ليعلي من قدر هذا الأخير ويرفع من شأنه، فيرسم في ذهن ابنه صورة جميلة عنه، فيؤثر بذلك في نفسه ويجعله يسلم بما يريد منه والده، ليصل إلى النتيجة النهائية المتمثلة في اتخاذ طبيب خاص به يتحلى بتلك الصفات التي وصفها له لأن اتخاذه فيه قوة له، ومع هذا فإنه في نفس الخطاب يبين لابنه بأن الطبيب الأول والأخير هو الله عز وجل لذا يجب على الإنسان أن يتخذ الأطباء كوسيلة للأخذ بالأسباب فقط، ويستدل على ذلك بما روي عن أبي بكر رضي الله عنه في مرضه عندما قيل له: "أندعوك طبيباً؟"، فرد قائلاً: "الطبيب الذي أمرضني"⁽¹⁾.

3.6. اسم المفعول:

هو اسم مشتق يشير إلى معنى حادث غير دائم، كما يدل على الكائن الذي وقع عليه هذا المعنى، وبالتالي يجب أن يتضمن الأمرين معاً⁽²⁾، وقد يستند صاحب الحجاج حسب السياق التداولي الذي تقتضيه القضية المطروحة للنفاش إلى الاستعانة بـ "اسم المفعول" باعتباره قيمة وصفية حجاجية، مثل ما عبر به "أبو حمو" في قوله:⁽³⁾

لَقَدْ شَغَلْتَنِي عَنْ حَمَاكُم قَلَاءِدِ شَغَلَتْ بِهَا عَنْ قَطْعِ تِلْكَ الْمَعَارِجِ

سَلَامَ كَرِيمٍ مِنْ صَحْبِكَ مُتَيِّمٍ بِحُبِّكَ مَشْغُوفٌ بِذِكْرِكَ لَاهِجٌ

سَلَامٌ مِنَ الْمُشْتَقِ مُوسَى بْنُ يَوْسُفَ مُقِيمٌ بِأَقْصَى الْغَرْبِ سَدَّتْ نَوَاهِجُ

يبين الخطاب الحجاجي السابق مدى حب "أبي حمو" وهيامه لرسول الله، والمكانة العظيمة في قلبه، وأنه مشتاق لزيارة قبره، من خلال توظيفه لـ "اسم المفعول" (مشغوف)، المصاغ من الفعل الثلاثي (شغف) وكذلك (المشتاق) المصاغ من الفعل الخماسي (اشتاق)، ويدل كل منهما على من وقع عليه الفعل، فقد استطاع بذلك الوصف أن يجعل خطابه مادة

⁽¹⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 43.

⁽²⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 489.

⁽³⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 199.

حجاجية ليصل بها إلى مبتغاه ونيل شفاعته.

كما نجده في خطاب آخر يوظف "اسم المفعول" ليحاجج ابنه في قوله: ⁽¹⁾

"واعلم يا بني أن الرعية إذا كانت ثمارا مجتناة وذخائر مقتناة، وسيفا منتزاة، وأحراسا مرتضاة فإن لها نفارا كنفار الوحوش وطغيانا كطغيان السيول، ومتى قدرت أن تقول قدرت أن تصل وهم ثلاثة أصناف فينبغي للملك أن يسوسهم بثلاثة سياسات، صنف من أهل العقل والديانة والفضل يعلمون فضل الملك وطول عنائه، ويرثون لهم من ثقل أعبائه، فسياسة هؤلاء تحصل بالبشر عند لقائهم واستماع أحاديثهم وحسن الإصغاء إليهم، وصنف فيهم خير وشر، فسياسة هؤلاء تحصل بالترغيب والترهيب، وصنف هم السفلة الرعاع أتباع كل داع، فسياسة هؤلاء بإخافة غير مقتطة، وعقوبة غير مفرطة".

القارئ لهذا الخطاب يرى أن "أبا حمو" استند على الوصف الحجاجي في قوله (مجتناة، مقتناة منتزاة، مرتضاة) باستعمال "اسم المفعول" المصاغ من الفعل الخماسي (اجتنى، اقتنى، انتضى ارتضى)، واستعمال الكاتب لاسم المفعول بهذا الكم الهائل ليس لغرض الإخبار فحسب، بل لإثبات خطابه في نفس متلقيه، فجسد به قوالب حجاجية قوية أوصلت إلى نتيجة حجاجية مفادها؛ ضرورة اعتماد الملك على فطنته وقوة حيلته لمعرفة الطيب من الخبيث، الرعية تتنوع أوصافها كما هو الحال مع نبات الأرض، فمنهم من هو طيب مثمر، ومنهم من هو خبيث ضار ⁽²⁾، وعليه الواجب على ابنه الاحتراس وأخذ أموره بالحزم وصدق العزم.

4.6. تحقيق حاصل:

تعتبر آلية "تحصيل الحاصل" من بين الآليات التي يستند إليها المرسل في كلامه الحجاجي عند تبليغه فكرة ما، كونها تؤدي دور الإقناع والتأثير في المرسل إليه، على الرغم من أن هناك من يعد تلك الخطابات مجرد حشو في الكلام، وفقاً لمعيار الحجاج والتداول، ويتضح أن توسيع العبارة له مبررات قوية، حيث يفتح آفاقاً متعددة للخطاب الحجاجي، بينما

⁽¹⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص135.

⁽²⁾ ينظر: الشيزري: المنهج السلوك، ص166.

يؤدي التقييد بالكلمة إلى تقليص هذه الآفاق⁽¹⁾، وخطاب "أبو حمو" لا يغفل القيمة الحجاجية لهذه الآلية، فنجده يعتمد عليها في خطابه الإقناعي مع ابنه، ليبين له أهمية المال في الحياة فيقول: (2)

"اعلم يا بني أن المال تدفع به العدى وحصن يتقي به من الردى، به تدفع آلام الأعراض، ويتوصل إلى المقاصد والأغراض، وبه تستفتح الصياصي، وتستملك النواصي، ويقاد العاصي ويستندى القاصي وبالمال تستعيد الرجال وتبلغ الآمال وتذل به الرقاب وتستفتح به الأبواب وتسهل الأمور الصعاب وتنال به الرغائب وينجي به من المصائب".

يتضح من أول الخطاب إلى آخره أنها خصائص ومميزات تعددت لشيء واحد؛ وهو (المال) والذي يبدو في ظاهره حشوا وما هو بالحشو، وإنما صورة من صور الحجاج، لأن هدفه من هذا التوظيف التأثير والإقناع، إذ نرى أن كل هذه الخصائص والمميزات تصب في مجرى واحد، وهو ضرورة حفظ ماله لبلوغ أغراضه وآمله، وبالتالي الاقتناع بما يقوله والأخذ به في حياته.

كما نجد "أبو حمو" يلجأ لتقنية "تحصيل حاصل" في حديثه عن الحرب التي شنها عن المرينيين لاسترجاع ملكه، والتي عبر فيها عن شجاعته وجيشه لتحقيق آمالهم والتي يقول فيها: (3)

وَحُضْتُ الْفِيَّافِي فَدَفْدَا بَعْدَ فَدَفْدٍ لِنَيْلِ الْعَلَا وَالصَّبْرُ إِذَاكَ لَازِمِي

نجد الشاعر في هذه الأبيات قد كرر لفظة (فدغد) مرتين، وليس هذا التوظيف من باب التكرار بل لتقوية حجته في خطابه، وجلب انتباه المتلقي ليدرك مدى قدرته وقوته في الانتصار، وتُعد القوة والشجاعة من أبرز الصفات التي يجب على الملك أن يتحلى بها بشكل ضروري، حتى وإن لم تكن من طباعه الأصلية، فيجب أن يكتسبها ليفرض هيئته، ويقطع أطماع نظرائه، ويحمي الدولة، ويرعى المملكة، ويدافع عن الرعية⁽¹⁾، وعلى ولي

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 491.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 28.

(3) نفسه، ص 36.

(1) ينظر: الشيرزي: المنهج السلوك، ص 264.

عهده أن يكون قويا شجاعا ليحافظ على مملكته.

7. الآليات البلاغية:

البلاغة العربية تتسم بالعديد من الصور والإمكانات والشواهد التي تؤكد أن الحجاج يعد من وظائفها الأساسية، وليس مجرد عنصر مصطنع. ومع ذلك، يظل المرسل حراً في الإبداع واستخدامها بالطريقة التي يراها مناسبة⁽¹⁾، ومن تقنياتها:

1.7. تقسيم الكل إلى أجزائه:

يعني هذا أن المرسل يبدأ بعرض حجته بشكل كلي في البداية، ثم يعود لتفصيل أجزائها إذا كانت تتضمن عدة مكونات، وذلك من أجل تعزيز قوتها الحجاجية، حيث يعد كل جزء منها بمثابة دليل يدعم دعواه⁽²⁾، ومن نماذج اعتماد هذه الآلية في كتاب (واسطة السلوك) قول "أبو حمو":⁽³⁾

"اعلم يا بني أن أصل السياسة التدبير؛ ولا يكون التدبير إلا بفكر صائب سليم، لأنه من تفكر تدبر ومن تدبر تخير وتحذر، وكاد الحذر أن ينجي من القدر، ومن حسنت سياسته عظمت رئاسته، والفكرة مرآة تريك حسنك من قبحك، فلا تهجم على أمر إلا بعد فكرة وروية، ولا تنفذ إلا عن بصيرة لأن من طال تفكره حسن تدبره، ومن ركب العجلة، لم يأمن الكبوّة والزلة، إلا في انتهاز الفرصة، أو إزالة الغصة، ومن نظر في العواقب أمن من المصائب، ومن لم يستعمل فكرته في ما عليه وله ماتت فطنته، وطالت حسرته، وعميت بصيرته، فقدم النظر الصحيح قبل أفعالك فهو أنجح لأحوالك".

طرح "أبو حمو" لولي عهده في هذا الخطاب حجة كلية والتي تعتبر قاعدة من قواعد السياسة، وأصل من أصولها وهو "التدبر"، إذ يعتبر من الأساسيات التي يشترط وجودها في الملك، ليتمكن به من تدبير مملكته، ولا يكون ذلك إلا بالعقل الراجح السليم، فإذا عرى الملك عنه ذهب تدبيره واختلت سياسته، فقد قيل: من يفتقر إلى العقل يفتقر إلى القدرة على

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 498.

(2) ينظر: نفسه، ص 494.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 58.

السياسة، ومن يفتقر إلى القدرة على السياسة يفتقر إلى الملك⁽¹⁾، وقد قسم "أبو حمو" الحجة الكلية إلى حجج جزئية شبه منطقية، اتبع من خلالها ترتيب تسلسلي منطقي واضح، فبمجرد المساس بترتيب واحدة من تلك الحجج يضعف من قوتها الحجاجية، فما بالك بحذفها؟ إذ يرى أن بالعقل يكون التدبير؛ وهو القضية الإجمالية في الخطاب وقد فرعها إلى أجزاء (التفكير الصائب، الحذر، الروية، وعدم العجلة في الأمور، النظر في العواقب...)، ويمثل كل جزء من أجزائها حجة يدعم بها قضيته الأصل، والتي يرمي من خلالها إلى حث ابنه إلى التفكير بعقلانية في أموره وأمور مملكته، وأن يترصد العواقب قبل الإقدام عليها، ويمكن أن نطلق عن هذه الأجزاء التي يقوم عليها الكل بأنها حجج التقسيم أو التوزيع، وشرط نجاح هذه الحجة أن يكون مجموع الأجزاء كاملاً⁽²⁾، أي لا يجوز أن يسقط جزء حجاجي واحداً من تلك الأجزاء وإلا لن تتجح العملية الإقناعية بصفة عامة.

كما نجده أيضاً في خطاب آخر يوظف الآلية نفسها في قوله: ⁽³⁾

"يا بني، أربعة لا يزول معها الملك: حسن التدبير في الأمور، والعدل في الخاصة والجمهور، والأخذ بالحزم، والصبر في الإزم، يا بني، وأربعة لا يثبت معها ملك: سوء التدبير، ومخالفة النصيح والمشير، وخبث السريرة والنية، والجور على الرعية".

عرض "أبو حمو" لابنه نصائح يجب عليه الأخذ بها ليديم ملكه وسلطانه، هذه الأخيرة التي تعتبر الحجة الكل، ثم جزأها إلى أجزاء كل جزء منها بمثابة حجة يدعم بها حجته الإجمالية، وأول هذه الحجج (حسن التدبير)، إذ نجده يحرص على هذه القاعدة لأنه يرى أن حسن التدبير نصف الكسب، وسوء التدبير داعية للبؤس، ثم يتطرق إلى الحجج الجزئية الأخرى والمتمثلة في (العدل، والحزم في الأمور، والصبر) التي يراها من الأسس التي يقوم عليها الملك، ثم أفرد بعد ذلك مقطعا آخر يدعم به حجته الإجمالية، والذي عرض فيه الصفات التي يجب أن يتخلّى عليها ولي عهده، لأنها لا يثبت معها الملك، وقد جزأها هي الأخرى إلى أجزاء (سوء التدبير، مخالفة النصيح، خبث النية، والجور)، إن حذف أي من

⁽¹⁾ ينظر: الشيزري: المنهج المسلوك، ص 170.

⁽²⁾ ينظر: عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص 48.

⁽³⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 23.

هذه الحجج الجزئية يؤدي إلى تضعيف قوة النصيحة، وبالتالي يقلل من فعالية الإقناع في الخطاب.

2.7. الاستعارة:

يعرفها "القزويني" بقوله: "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون اللفظ أصل في الوضع اللغوي معروفٌ تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم"⁽¹⁾، "وهي نوعان: استعارة (بديعية) غير حجاجية تكون مقصودة لذاتها ولا ترتبط بمقاصد المتكلمين وأهدافهم الحجاجية، واستعارة حجاجية"⁽²⁾؛ وهي من الأدوات اللغوية التي يمارسها المرسل بقصد توجيه خطابه لأجل تحقيق غاياته الحجاجية، ما دامت "الأقوال الاستعارية أعلى حجاجياً من الأقوال العادية"⁽³⁾، "إذ تتميز بأنها أكثر تأثيراً في الخطاب من اللفظ الظاهر، وذلك راجع لقوتها الحجاجية في الإقناع والتأثير في المرسل إليه، وهذا ما يجعلها مصنفة ضمن السلم الحجاجي لأن توظيفها لا يقصد به الجانب الجمالي فقط، بل يتعدى إلى الجانب الإقناعي، بحيث تؤدي إلى تغيير المواقف والسلوك من خلال كشفها البعد الإيحائي والمجازي في اللغة، بارتكازها على فعل كلامي ضمني من خلال المقايضة بين حدين متباعين، فيتولد عن ذلك فكرة جديدة مستوحاة من فكرة سابقة لا يكون بينهما أي رابط ما عدا علاقة التشابه"⁽⁴⁾، ومن أمثلة الاستعارة الحجاجية في المدونة قول "أبو حمو" في قصيدته: ⁽⁵⁾

قَدَمْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ يَرْجُو قَدُومَنَا وَكَانَ عَلَى الْأَعْدَاءِ شَرُّ الْمَقَادِمِ

إن الملاحظ لهذه العبارة الاستعارية (وكان الفتح يرجو قدومنا) يرى أن المستعار له لا يظهر في المستوى الأفقي التركيبي في العبارة المجازية لأن الاستعارة هي عملية نقل المعنى

⁽¹⁾ - الجرجاني: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة - السعودية، د.ط، د.ت، ص 30.

⁽²⁾ - تومي عيسى: الحجاجية في الخطاب القرآني - دراسة في آيات من سورة البقرة، ص 32. <http://www.asjp.cerist.dz>

⁽³⁾ - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، منتديات سور الأزبكية، د.ب، ط 1، 2006، ص 103.

⁽⁴⁾ - بوفلغة خليفة: استراتيجيات الخطاب عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الن (أ) ص، جامعة جيجل، ع 19،

جوان 2016، ص 119.

⁽⁵⁾ - أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 40.

من لفظ إلى آخر، بحيث يشترك اللفظان في بعض الخصائص، مع إخفاء المعنى الأصلي المنقول إليه⁽¹⁾، وهذا النقل مع الطي يجعل القول الاستعاري يحمل دلالة متوارية وراء تلك الدلالة التي تطفو على البنية السطحية، وهي البنية العميقة التي تمثل مقصود المتكلم وتقرض قوتها التصويرية على المتلقي فيظهر دورها الإقناعي، فحينما يتحدث "أبو حمو" عن شجاعته وقوة جيشه في استرجاع ملكه من يدي المرينيين، يكون خطابه في صيغة استعارية حاجية بامتياز، من أجل تقوية المعنى وزيادة تأثيره في نفس ابنه كي يواصل ما بدأه والده بكل شجاعة ويحافظ على ملكه وملك أجداده، ففي قوله (الفتح يرجو) قد ادّعى في الفتح أنه إنسان، ولا يكون الفتح كذلك، وهذا ما يسميه "الجرجاني" "بمفهوم (الإدعاء)"⁽²⁾، وعليه اعتبر "الجرجاني" أن حاجية الاستعارة تستند إلى مفهوم الادعاء، حيث لا تعتبر الاستعارة مجرد حركة في الألفاظ، بل هي حركة في المعاني والدلالات، وبالتالي فهي ليست بديعاً بل وسيلة من وسائل الإثبات القائمة على الادعاء⁽³⁾ المرسل إليه، وعليه يمكن القول تظهر قوة الحجاج في المفردات بشكل أكبر عندما تستخدم في الاستعارات مقارنة باستخدام نفس المفردة بالمعنى الحرفي، إذ تتمتع الاستعارات ذات الدور الحجاجي بخصائص ثابتة، حيث أن السمات الدلالية التي يتم اختيارها بعناية في هذه الاستعارات تحمل قيمة دلالية مميزة⁽⁴⁾. ونجد التقنية نفسها في المدونة في قوله: ⁽⁵⁾

ونخصك يا أسنى قمر بصلاة فائقة العظم

يحمل هذا الخطاب في طياته صورة استعارية حاجية في عبارة (نخصك يا أسنى قمر) إذ رسم من خلالها للمرسل إليه المعنى المعبر عنه عبر التصريح بالمشبه به (أسنى قمر)، من خلال تشبيه الرسول ﷺ بضوء القمر وسطوعه، فهو الذي أنار للبشرية طريقها ومدها بمعالم الديانة الإسلامية، كل هذا المدح غرضه نيل شفاعته يوم القيامة، ويرى "طه عبد الرحمن" أن الصورة المجازية باعتبار المجاز تعمل على الاستدلال بعبارة الدعوى

⁽¹⁾ ينظر: ابن الأثير: المثل السائر، ج2، ص77.

⁽²⁾ طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص304.

⁽³⁾ ينظر: القزويني: الإيضاح، ص159.

⁽⁴⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص496.

⁽⁵⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص26.

المشار إليها، وبهذا يجمع المجاز بين معنيين متناظرين هما "العبارة" و"الإشارة"، هذا الجمع يعكس الالتباس الذي يعد أساساً للحجاج⁽¹⁾، فكانت هذه الاستعارة بمثابة قيمة حجاجية يضيفها في خطابه ليقنع بها متلقي الخطاب ويؤثر فيه، وقد عززت آليته الإقناعية من خلال قدرتها الكبيرة على استمالة المتلقي وإحداث تغيير في موقفه الفكري أو العاطفي⁽²⁾، وهذا يُظهر ما جاء به "الرجاني" أن فعالية حجاجية الاستعارة تكمن في التأثير على الأذهان والأفهام، إذ يعتبر الاستعارة نوعاً من التشبيه أو التمثيل، حيث يعتمد التشبيه على القياس الذي يجري في قلوب الناس وعقولهم، ويعتمد على الفهم والاستفهام العقلاني، لا على الأسماع أو الآذان⁽³⁾.

بناءً على ذلك، يمكن اعتبار الاستعارة إحدى الوسائل اللغوية الفعالة التي يستخدمها المتكلم لتحقيق أهدافه الحجاجية، بل هي من الأدوات المهمة التي يعتمد عليها بشكل كبير، خاصة إذا قبلنا فرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية⁽⁴⁾.

3.7. التمثيل:

تعتمد حجة التمثيل على إقامة تماثل بين منطقتين متباعدتين من الواقع، مما يسمح بنقل خصائص إحداها المعروفة إلى الأخرى، إذن فإن التمثيل هو بمثابة ربط بين صورتين يمكن من خلالهما المرسل أن يحتج ويعرض حججه، وقد أدرك "عبد القاهر الرجاني" القيمة الحجاجية للتمثيل، حيث بين تأثيره في النفس، إذ أنه عندما يظهر في سياق المعاني أو يبرز بشكل مختصر في معرضه، يضيف لها قوة وجمالاً، مما يعزز من تأثيرها في النفوس، فإما أن يضيف عليها أبهة في حال المدح، أو يعزز برهانه في الحجاج ليجعل سلطانه أكثر قوة وبيانه أظهر⁽¹⁾، فالرجاني في قوله هذا يعتبر أن "التمثيل" أحد الأساليب التي يستعملها المرسل في الاحتجاج، ويعد من الآليات البلاغية التي لها إمكانية التحكم في

(1) ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 231.

(2) ينظر: آلاء محمد لازم: استراتيجيات الخطاب في القصيدة الجاهلية طفيل الغنوي أنموذجاً-دراسة تداولية_، مجلة

الآداب، ملحق ع 121، جوان 2017، ص 13.

(3) ينظر: الرجاني، أسرار البلاغة، ص 15.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص 498.

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص 115.

القوة الحجاجية، لذا لا يخلو الخطاب الحجاجي من استعماله؛ فهو ينوع بين مختلف الصيغ الدالة على "التمثيل"، وفق أهمية القضية المطروحة وخصوصية المتلقي، بالإضافة إلى السياق التداولي المحيط بإنتاج الخطاب، فعندما يجعل "أبو حمو" من "التمثيل" آلية مهمة لتقديم حججه وتكون مصلحة ابنه هي القضية المحاجج من أجلها، ستكون كالاتي: ⁽¹⁾

"ومثل الملك الصالح والوزير السوء الذي يمنع خير الملك للناس ولا يمكنهم من النوم كالماء الصافي يكون فيه التمساح، لا يستطيع المرء دخوله وإن كان سابحا وللماء محتاجا".

حوى هذا الخطاب تمثيل الملك الصالح والوزير السوء، بالماء الصافي الذي بداخله تمساح فيهاب منه أي أحد، ولا يستطيع الاقتراب منه حتى عند الحاجة إليه، وقد أورد الكاتب هذا "التمثيل" بهدف إقناع ابنه بضرورة حسن اختياره لوزرائه، حيث يعد الوزير الصالح حارساً لسر السلطان، ومشرفاً على تدبير شؤون المملكة، بما في ذلك إدارة الولايات والخزائن، كما يمثل رمزاً لهيبة المملكة وقوتها، وقد أعقب تمثيله هذا بتصوير حالة الرعية في صورة محسوسة (لا يستطيع المرء دخوله وإن كان سابحا وللماء محتاجا) كي يقرب المشاهد أكثر من ذهن ابنه، ليحقق بذلك أعلى درجات الإقناع فيه، وتقوم طريقة تشبيه التمثيل على ربط المعاني المجردة بالمحسوسات، إذ تُلحَق الأحوال العقلية بما هو ملموس ومحسوس، نظراً لما للنفس من ميل طبيعي نحو إدراك المحسوس أكثر من المعقول ⁽²⁾.

من خلال ما سبق نرى أن الأساليب البلاغية لا تؤدي وظيفة جمالية إنشائية فقط، بل تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية أيضاً، وعليه فإن غالبية الأساليب تتميز بخاصية الغير للقيام بأغراض تواصلية ولآداء مقاصد حجاجية وإفادة أبعاد تداولية ⁽¹⁾.

4.7. البديع:

يُعرّف علم البديع بأنه العلم الذي يُعنى بالكشف عن الأساليب والوسائل التي تساهم

⁽¹⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 62.

⁽²⁾ ينظر: تومي عيسى: الحجاجية في الخطاب القرآني، ص 34.

⁽¹⁾ ينظر: صابر الحباشة: التداولية والحجاج مدخل ونصوص، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، الإصدار الأول، 2008، ص 50.

في تحسين التعبير، بعد تحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال واتضاح دلالاته ⁽¹⁾، ويعنى كذلك بتجميل الكلام وترزينه، ولا يقف "علم البديع" على الزخرفة النصية اللفظية فحسب؛ من خلال ترزين النص وإضفاء الجمالية عليه لتحقيق تذوقه الأدبي، بل يتعدى دوره إلى تثبيت المعنى وتوضيح المقاصد، فضلا عن قيمته الدلالية البارزة وبعده التداولي الحجاجي قصد التأثير والإقناع، فمن خلال علم البديع تتداخل آليات الإقناع بآليات الإمتاع، فينتج عن هذا التداخل خطاب ذو قدرة مزدوجة على التأثير في قنوات المتلقي وتوجيه سلوكه، وذلك لما تمنحه آليات الإمتاع من فعالية في استحضار المعاني وتكثيف حضورها، حتى ليُخيل إلى المتلقي أنه يعاينها رأي العين ⁽²⁾، وبذلك يغادر المحسن البديعي وظيفته الشكلية الزخرفية نحو أداء وظيفته التداولية الحجاجية، إذ يتحول إلى أداة لتغيير زاوية نظر المتلقي إزاء قضية أو موقف، فيصبح بذلك وسيلة للإقناع لا للترزين فحسب، أما إذا لم يتمكن من إحداث أثر في موقف المتلقي أو إعادة توجيه تمثلاته، فإنه يفهم حينها كمجرد عنصر أسلوبى، أي بوصفه ترفاً لغوياً لا يحقق المقتضى التواصلى للخطاب ⁽³⁾، ومن أمثلة استعمالات "البديع" استعمالا حجاجيا في (واسطة السلوك) قول "أبو حمو": ⁽⁴⁾

"واعلم يا بني أنه بالعقل تتميز أصناف العوالم، وتقع التفرقة بين الأناس والبهائم، وبالعقل يفصل بين الحق والباطل، والمفضول والفاضل، والعالم والجاهل والجائر والمستحيل، والصحيح والعليل، وبالعقل تكسب الفضائل وتجتنب الرذائل، وبالعقل يعمل المرء لغده، ويجعل خاتم الملك في يده، وبالجملّة فالعقل يقتني المآثر الفاخرة، ويجمع بين الدنيا والآخرة".

كثيرا ما يختار "أبو حمو" "البديع" ليكون ضمن الآليات البلاغية في خطابه الإقناعية، إذ نجده يورد آلية "الطباق" في شكل ثنائيات ضدية بين عدة ألفاظ كي يمنح كلامه معنى وقوة إقناعية، منها ما جاء في عبارة (الأناس ≠ البهائم)، (الحق ≠ الباطل)، (المفضول ≠ الفاضل)، (العالم ≠ الجاهل)، (الجائر ≠ المستحيل)، (الصحيح ≠ العليل)، (الفضائل ≠

⁽¹⁾ ينظر: القزويني: الإيضاح، ص 192.

⁽²⁾ ينظر: طه عبد الرحمن: أصول الحوار، ص 38.

⁽³⁾ ينظر: صابر الحباشة: التداولية والحجاج، ص 51.

⁽⁴⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 47.

الردائل)، (الدنيا ≠ الآخرة) من أن الأشياء تعرف بأضدادها فإن الطباق "هو الإمام بين معنيين متضادين في الجملة⁽¹⁾، ونوع "الطباق" الذي وظفه هنا هو "طباق الإيجاب" الذي جمع بين الجمالية ووضوح الدلالة، فجَمَعُ الكاتب بين الكلمات وما يقابلها في المعنى جاء لا من أجل الزخرفة، بل من أجل التأثير وتحقيق مقاصد في نفسه، ومن ثم إقناع ابنه بأهمية العقل والواجب التحلي به، فقد وضعه بين عدة متضادات ليستخلص النتيجة بنفسه، من خلال إجراء المقاربات والمقارنات بينها، لتقضي به إلى نتيجة معينة ارتسمت في ذهن "أبي حمو" حين كتابته لهذه الكلمات بهذا الأسلوب وهذه التقابلات، وعليه "فإن بلاغة التضاد والتقابل تظهر في تحريكهما للعقول بالتغلغل إلى قلب السامع لتستميله وتشده إلى التأمل والبحث في هذه التقابلات، ليقف عندها ويبحث في المعاني التي أضافتها في النص، كما نجده يوظف آلية "الجناس" في قوله (غده ويده) و(الفاخرة والآخرة)، ولتبدو حجة الكاتب قوية انطلق من واقع التجربة ليجعل من تجربته وسيلة إقناعية لها تأثيرها القوي في نفس ابنه، إضافة إلى استناده إلى آلية "السجع" كأداة حجاجية في خطابه مع ابنه، إذ جعل حرف "اللام" في الألفاظ (الباطل، الفاضل، الجاهل، المستحيل، العليل، الردائل) فاصلة في سبيل تقديم حججه، لها وقعها وتأثيرها الإيقاعي في أذن السامع، فضلا عن أثرها في تثبيت الفكرة وتقوية دلالة كلامه، مستندا في ذلك على كفايته اللغوية وقدرته على تطويع الصوت وجعله خادما لمقاصده الحجاجية، فتنوعت بذلك المحسنات البديعية في هذا الخطاب واستعان بها "أبو حمو" كآليات حجاجية لإقناع ابنه بنصيحته، فمن الخطأ الاعتقاد أن دورها يقف عند الوظيفة الشكلية فقط، إذ أن لها دورا حجاجيا يتمثل في بلوغ بالأثر مبلغه الأبعد.

كما نجده يوظف "طباق السلب" في قوله: ⁽¹⁾

نَامَ الْحَبِيبُ وَلَمْ تُثَمِّ عَيْنِي بِمُصَارَعَةِ النَّدَمِ

جاء التضاد في البيت السابق بين كلمتي (نام ≠ لم تتم) في سياق حديثه عن اشتياقه لقبر الرسول وندمه على عدم زيارته للبقاع، كل هذا جاء من أجل تحقيق غاية في نفسه؛ وهي تبيان مدى حبه واشتياقه للرسول-صلوات الله عليه- لينال بحبه هذا شفاعته يوم القيامة،

⁽¹⁾ ينظر: القزويني: الإيضاح، ص255.

⁽¹⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص29.

وهي الفكرة التي أراد الوصول إليها من خلال هذا التضاد الذي يساند إحذاه الآخر باتجاهه نحو قصد واحد، حيث مكن "طباق السلب" "أبو حمو" من استغلاله كحجة في خطابه.

ولا يقتصر توظيف المرسل للمفردات في بناء خطابه الحجاجي، بل يتعداه إلى استثمار التراكيب التي تظهر توجيهًا دقيقًا للمعنى وتساهم في إنتاج دلالة مركبة تتجاوز المعاني المعجمية المنعزلة، إذ تتيح التراكيب للمرسل أن ينسج حججه بطريقة أكثر فاعلية وإقناعًا، من خلال الربط بين العناصر وتوجيه المقاصد ضمن سياقات تواصلية متعددة، فنجد يستعمل "المقابلة" في قوله: (1) "يَا بُنَيَّ إِكْرَامِ الْجَيْشِ إِسْتِعْبَادٌ وَإِهَانَتُهُمْ إِسْتِعْبَادٌ".

ففي عبارة (إكرام الجيش استعباد/إهانتهم استبعاد) "مقابلة"، و"المقابلة" طباق مركب تشتمل على عدة ثنائيات متقابلة بحيث يُذكر معنيان أو أكثر بينهما انسجام، ثم يُورد ما يقابل كلٍّ منها على الترتيب، بحيث يكون التوافق في البداية خلافًا للتقابل اللاحق (2)، إن ورود معنى الكلمة وضدها في الخطاب ليس أمرًا اعتباطيًا، وإنما جيء به ليزيد معنى النص وضوحًا وتوكيدًا، وقد أتى به الكاتب ليحاجج ابنه وليقتنع بكلامه الذي يدعوه إليه والمتمثل في ضرورة الاهتمام بشؤون الرعية ومعاملتهم معاملة حسنة تقوم على حسن إكرامهم، ليكونوا في خدمته مطاعين غير عاصيين، لأن الكرم "عماد البر الذي هو سبب الألفة، لما يوصل إلى القلوب من الراحة والألطف، ... وفي السخاء رضا الله تعالى ورضا الناس جميعًا" (3)، كما نجد في هذا التركيب "جناس ناقص" بين كلمة (استبعاد) و(استبعاد) والذي يجمع فيه بين الزخرف اللفظي والحجة، فلا يُعدّ البديع حجاجيًا إلا إذا جاء استعماله ملائمًا للسياق، أما إن لم يُفضَّ إلى إقناع المرسل إليه، عُدَّ مجرد زخرفة (1).

وعليه، فإن ما ظهر في الأمثلة السابقة يبيّن أن المقابلة والجناس والطباق وغيرها ليست مجرد وسائل لتحسين اللفظ، بل هي في الأصل أدوات للإبلاغ والتبليغ (2)، وعليه لا يمكن فصل الحجاج عن البلاغة، ولا يتحقق الإقناع إلا عبر الإثارة، فكل هذه الآليات

(1) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 31.

(2) ينظر: القزويني: الإيضاح، ص 259.

(3) الشيزري: المنهج المسلوك، ص 271.

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 499.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 498.

أسهمت في بناء الحجاج وأدت دوراً فعالاً في إقناع المتلقي داخل الخطاب.

8. الآليات شبه المنطقية:

تختلف القوة الحجاجية من خطاب لآخر، وفق تدرج معين؛ أي أن المحاجج يوظف حجة في شكل سلم تصاعدي أو تنازلي، يُعرف هذا السلم باسم "السلم الحجاجي".

1.8. السلم الحجاجي:

يُعرف بأنه "مجموعة غير فارغة من الأقوال مرتبة ترتيباً خاصاً، بحيث يترتب على كل قول في مرتبة معينة لوازم الأقوال التي تحته، أي أن القول الأعلى رتبة يستلزم جميع ما دونه، وإذا كان قول ما دليلاً على نتيجة معينة، فإن الأقوال الأعلى منه تكون أدلة أقوى على تلك النتيجة⁽¹⁾."

ويقصد بـ "السلم الحجاجي" ترتيب المرسل للحجج حسب قوتها في خطابه الإقناعي، والتي يراها أنها تفرض ذاتها وتتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه⁽²⁾، إذ يقوم المرسل أثناء العملية التواصلية اختيار حجه وترتيبها للمرسل إليه قصد التأثير فيه وإقناعه، فيبدأ بالحجة الأضعف إلى الحجة الأقوى قصد الوصول إلى الهدف المنشود ومن هنا، تنطلق نظرية "السلم الحجاجي" من مبدأ التلازم في بنية المحاجة، حيث يُفترض وجود علاقة ضرورية بين "القول الحجة" ونتيجته، بما يضمن تسلسلاً منطقيًا تصاعديًا أو تنازليًا في درجات الإقناع⁽¹⁾.

* قوانين السلم الحجاجي:

* **قانون الخفض:** مقتضى هذا القانون أن صدق القول في مراتب عليا من السلم الحجاجي يستلزم صدق نقيضه في المراتب الأدنى منه، بما يعكس العلاقة العكسية بين القول ونقيضه داخل بنية السلم.

* **قانون تبديل السلم:** مقتضى هذا القانون أنه إذا كان القول دليلاً على مدلول معين،

⁽¹⁾ ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 277، 278.

⁽²⁾ ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 499، 500.

⁽¹⁾ ينظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر القديم، ص 21.

فإن نقيض هذا القول يكون دليلاً على نقيض ذلك المدلول.

* **قانون القلب:** مقتضى هذا القانون أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في الاستدلال على مدلول معين، فإن نقيض القول الأضعف يكون أقوى من نقيض القول الأقوى في الاستدلال على نقيض ذلك المدلول⁽¹⁾.

* الاتجاه الحجاجي:

ارتبط بمفهوم "السلم الحجاجي" مفهوم آخر هو "الاتجاه الحجاجي"، الذي يضبط مسار الحجاج ويحدد وجهته، فإذا كان القول قادراً على توليد فعل حجاجي، فإن قيمته الحجاجية تتحدد من خلال هذا الاتجاه، الذي قد يكون صريحاً أو ضمنياً، فعندما يكون القول مُعلِّماً، أي مشتملاً على أدوات وروابط حجاجية، فإن تلك العناصر تقدم تعليمات واضحة لتوجيه الحجاج، أما إذا كان غير مُعلِّم، فإن تحديد الاتجاه يعتمد على الألفاظ المستعملة، والسياق التداولي والبنية العامة للخطاب⁽²⁾.

ويتجسد استخدام هذه الآلية في خطب "أبي حمو" من خلال ترتيب مجموعة من الحجج في فئة حجاجية واحدة، ليعطي خطابه قوة تأثيرية مضاعفة في عملية الإقناع، منها قوله: ⁽³⁾

"يا بني وأما فقهاؤك فلتتخير لنفسك فقيها عالماً نبيها موسوماً بالصلاح، سالكا طرق الرشاد والفلاح، يرشد إلى الهدى ويهدي إلى الرشاد، ويسدد الأمور ويأمر بالسداد، ليبين لك ما أشكل عليك من الأحكام، وما تأتية من الحلال وتدعه من الحرام، وما تقف عنده من الحدود الشرعية التي هي قوام الملك والرعية، وما يصلح لك من الأمور الدنيوية والأخروية، ويتخولك بالموعظة الحسنة ويذكرك أحوال الآخرة ولينبهك من سنة الغفلة".

أراد صاحب الخطاب أن يثبت للمخاطب أنه من حزم الملك وسياسته ويقظته ورئاسته؛ أن يعتد بفضله نبيه متمتعاً بسمة الاستقامة مؤدياً لواجباته، وذلك من خلال عرضه للحجج المرتبة ترتيباً تداولياً من أضعف حجة إلى أقوىها فيتدرج في تقديم الحجج تباعاً

⁽¹⁾ ينظر: طه عبد الرحمن: المصدر السابق.

⁽²⁾ ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 62.

⁽³⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 132.

لتصبح الحجة الأخيرة في ملفوظة هي الحجة الأقوى من سابقتها وشاملة لها إلى أن يصل إلى الحجة النهائية، فنرى الكاتب كيف أراد إقناع ابنه بضرورة اتخاذ فقيه له يعينه على أمور حياته، فيبين في أول حجة يعرضها عليه أن يتحلى هذا الفقيه بصفة الصلاح، ثم يليها بحجة أقوى من الأولى أنه يهدي إلى الرشاد والسداد، وكل هذه الأوصاف لينبئه من غفلته وليبين له ما أشكل عليه من الحلال والحرام؛ وهذه هي ثالث حجة وأقواها، ليصل إلى نتيجة مهمة هي صلاح الدنيا والآخرة، وتترتب هذه الأدلة عموديا كما يلي:

الصلاح ← يهدي إلى الرشاد ← والسداد يبين له ما أشكل عليه من الحلال والحرام ←
صلاح الدنيا والآخرة.

إن هذا الترتيب المتقن والمنظم للحجج يساهم بشكل كبير في تحقيق درجة حاجية في "السلم الحجاجي"، ليكون بمثابة دعامة استدلالية للغرض الذي من أجله وُجدت العملية التخاطبية، إذ إن الحجج التي يُوردها لا تكون على وتيرة واحدة، بل تتباين في ما بينها من حيث القوة والضعف⁽¹⁾.

2.8. وسائل السلم الحجاجي اللغوية:

يعتمد "السلم الحجاجي" في الخطاب على مبدأ التدرج والعلاقة الترابطية بين الحجج، مع مراعاة قوتها وضعفها، بهدف الوصول إلى النتائج المرجوة وتحقيق الأثر المقصود في المرسل إليه، ويتحقق الحجاج بـ "السلم الحجاجي" من خلال مجموعة من الأدوات اللغوية، والآليات شبه منطقية وهي:

1.2.8. الأدوات اللغوية:

للأدوات اللغوية معان متنوعة ومتعددة بحيث يستطيع المرسل الاستفادة منها أثناء محاججته، بما يتناسب مع السياق الحجاجي، إذ تمثل حجة جوهرية تستخدم لإقناع المتلقي، خاصة "عند الربط بين أحكام مسلم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلماً بها"، حيث يعتمد المتكلم على التدرج من الحقائق المقررة أو المسلمة لتدعيم أو

(1) ينظر: عبد المجيد جميل: البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة_مصر، د.ط، 2000،

تأسيس حجج جديدة، مما يسهل قبول الخطاب وإقناع المرسل إليه بالأحكام المقترحة⁽¹⁾، فيقتنع المتلقي بها.

* الروابط الحجاجية:

تعد "الروابط الحجاجية" من أهم الأدوات اللغوية التي تساهم في الربط والتقريب بين المعاني والحجج، من أجل التحقيق التأثير والإقناع في متلقي الخطاب، والرابط لفظ لا يدل بحد ذاته على أي معنى، وإنما من طبيعته أن يربط فقط بين الألفاظ المختلفة لتبيان العلاقات القائمة فيما بينها، وهو ما يُعرف عادة بالأدوات الحجاجية أو الروابط النصية، هذه الروابط تعمل على ترتيب الأفكار أو الحجج وتوضح كيف تتداخل أو تتبع بعضها البعض⁽²⁾، "بغية الوصول إلى نتيجة محددة"⁽³⁾، تبعاً لغاية المتكلم ومقام الخطاب، بحيث يكون لها دور محدد داخل الوظيفة الحجاجية، فلا يقتصر دورها على إضافة معلومة للقول، بل إدراج حجة جديدة أقوى من المذكورة قبلها⁽⁴⁾، وهذا ما يكسبها بعداً حجاجياً، ومن أهم هذه الروابط الحجاجية التي لها مستوى إقناعي عبر استمالة المتلقي لاسيما إذا ربطت بين المقدمات والنتائج؛ "نذكر منها: لكن، بل، حتى لاسيما..."⁽⁵⁾.

* الرابط الحجاجي "لكن":

الأداة "لكن" من أدوات التعارض الحجاجي التي تُستخدم للاستدراك، ويُفيد الاستدراك هنا إضافة حكم أو بيان بعد حكم سابق، مع توجيه المعنى ليفهم بشكل مختلف، كما تقوم بتوضيح أو تعديل الفهم السابق بحيث يتم النفي والإيجاب بشكل متعارض، و هي بذلك تشكل جسراً بين كلامين متناقضين، حيث تأتي لتصحيح أو استدراك حالة تم الافتراض بها سابقاً، والاستدراك بهذه الطريقة مهم في الخطاب الحجاجي لأنه يعزز من قوة المرسل في تصحيح أو تعديل موقفه، ويوضح الفكرة بشكل أدق، مما يمكن أن يؤدي إلى إقناع المرسل

(1) ينظر: عبد الله صولة: نظرية الحجاج، ص 49.

(2) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 508.

(3) أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 63.

(4) ينظر: عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس-تونس، ط 1، 2001،

ص 24، 25.

(5) أبو بكر العزاوي، المرجع السابق، ص 26.

إليه بسهولة أكبر⁽¹⁾، ويعتبر من "الروابط التي تربط بين الحجج المتعارضة/المتعادلة"⁽²⁾ فاستعمال الرابط "لكن" في الحجاج مفاده الحفاظ على النتيجة التي تكون مناقضة للنتيجة السابقة، وبالتالي تكون الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، والمدونة مليئة بهذا الرابط ومن أمثلة ذلك قول "أبو حمو":⁽³⁾

"يَا بُنَيَّ وَاسْتَعْنِ عَلَى إِعْتِدَالِ مَرَاكِجِكَ، وَحِفْظِ صِحَّتِكَ بِالتَّبَسُّطِ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ، وَلَا تَكُنْ مِنْهُمْ فِي الْأَكْلِ، وَلَا تَارِكًا لَهُ بِالْكُلْيَةِ، وَلَكِنْ بِقَدْرِ مَعْلُومٍ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْسَنُ لِحَالِكَ وَأَصَحُّ لِحِسْمِكَ".

ثمة تعارض بين ما يتقدم الرابط "لكن" وما يتلوها، فالجزء الأول يتضمن الحجة (لا تكن منهمكا في الأكل، ولا تاركا له بالكلية)، التي تخدم النتيجة الضمنية التالية (أضرار خطيرة على الصحة)، في حين يتضمن الجزء الثاني حجة مضادة (بقدر معلوم في أوقات معلومة) والتي تخدم نتيجة ضمنية مضادة أيضا للأولى (حفظ الصحة)، وبما أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، فهي تُوجه نحو النتيجة الثانية بشكل حتمي، في هذا السياق الحجة الأقوى تتمتع بقوة أكبر على التأثير في المرسل إليه، وبالتالي هي التي تحدد المسار النهائي للخطاب وتوجيهه نحو النتيجة المتوقعة، والتي من أجلها بث المرسل خطابه والمتمثل في ابتغاء تحقيق الإقناع لدى ابنه بالحفاظ على صحته من خلال التبسيط في الأكل، والأكل بقدر معلوم، وهو من الأساسيات الأربعة التي يصح بها الجسم والممثلة في؛ أكل الطعام في وقته المحدد، وضبط مقادير الأشياء، ومجانبة الأعمال الشاقة، وترك الحزن على غير وقته⁽¹⁾، فالأولوية التي يسعى إلى تحقيقها المتكلم هو التوجيه والإقناع والتأثير بالدعوى المطروحة، والذي نلمسه من خلال البنى اللغوية التي وظفها في خطابه الحجاجي، فلا تكمن وظيفة الروابط الحجاجية في الربط والوصل الحجاجي فحسب، بل إنها تضطلع بوظيفة توجيهية أيضا، وكلتا الوظيفتين مرتبطتان ببعضهما البعض، فوظيفة الربط "تأخذ

(1) ينظر: المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص 615، 616.

(2) ابتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة _دراسة تداولية_، دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2010، ص 109.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 43.

(1) ينظر: الغزالي: التبر المسبوك، ص 107.

على عاتقها تحقيق التماسك بين الجمل والملفوظات⁽¹⁾، والوظيفة التوجيهية تعمل في اتجاهين متوازيين؛ الأول توجيه الحجج نفسها لاتجاه حاجي معين، والآخر توجيه المخاطب ليأخذ مساراً تأويلياً يستطيع من خلاله أن يصل إلى نتيجة.

* الرابط الحجاجي "حتى":

يفيد الرابط "حتى" "انتهاء الغاية"⁽²⁾، "ويساعد على تقوية تقيين المتلقي بالنتيجة التي يروم الملفوظ إيصالها، فهي في أغلب حالاتها حجتها التي تأتي بعدها هي الأقوى، أما الحجج التي تتقدمها فهي مضمرة يفهمها المخاطب، ويستطيع التوصل إليها"⁽³⁾، ويمكن التمثيل لهذا الرابط من المدونة من خلال قول "أبي حمو" الذي يدور حول الفراسة: ⁽⁴⁾

"فينبغي لك يا بني أن تتفرس في إرسال عدوك إذا قدموا عليك ووصلوا بالرسالة إليك فتسايسهم أحسن سياسة، وتمارس حالهم أجمل ممارسة، وتخاذعهم بألف المخاذعات، وتصانعهم بوجوه المصانعات، حتى يظهر لك الحبيب والنصيح، والباطل والصحيح، فتعامل كل منهم بما يليق به، وتجري معاه على ما تراه من مذهبه".

تكمن بلاغة الرابط الحجاجي "حتى" في الخطاب السابق في المفارقة التي جاء بها "أبو حمو" إذ أنه يطلب من ابنه التلطف مع رسول عدوه ومسايسته، ونحن نعلم أن التلطف يكون مع الأصدقاء والأحباب، والصرامة في التعامل مع الأعداء، لكن جاء بالرابط "حتى" ليبرر غاية له تتمثل في تبين وتوضيح له معدن رسول العدو، ليظهر له الصحيح من الباطل، فالأداة "حتى" في الخطاب الحجاجي تُعد من الأدوات القوية التي تشير إلى استمرارية وتدعيم الفكرة، وهي تساعد في تأكيد النقطة التي يتم الحجاج حولها، فعند استخدام الرابط "حتى" فإنها تُظهر أن الحجة التي تأتي بعدها تشكل ذروة التبرير أو التأكيد، ما يجعلها أكثر قوة من الحجج التي تسبقها⁽¹⁾، لذا يتم تصنيفها ضمن الروابط المدرجة لحجج

(1) إيهاب خالد سعد الشراوي: الروابط الحجاجية في ديوان بشار بن برد "دراسة تداولية"، مجلة كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، مج 14، 2022، ص 129.

(2) الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج 1، ص 141.

(3) أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 84.

(4) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 186.

(1) ينظر: أبو بكر العزاوي: المرجع السابق، ص 73.

قوية، ويصبح بناء الملفوظ الحجاجي بهذه الكيفية غير قابل للرد أو الاعتراض.

ويمكن أن نمثل للرباط "حتى" في حديث آخر حول موضوع العدل وهي القاعدة الثالثة من قواعد السياسة، إذ يعتبر العدل الأساس الذي يقوم عليه الملك، فمتانة هذا الأساس تضمن استقرار البناء الملكي، فإذا كان العدل قويًا، استمرت الدولة في التقدم والازدهار، أما إذا ضعف العدل، فإن النظام السياسي سيكون عرضة للانحيار والتفكك⁽¹⁾، ونجده يمثل للملك الظالم الذي يغلب شهوته على عقله، وجوره على عدله، بأحد خلفاء بني أمية وهو (الوليد بن عبد الملك)، فيقول: (2)

"وكان الوليد كثير الهتار، مخلوع العذار، لا يرعى لعذل عاذل، ولا يسمع النصح من قول قائل، حتى انتزع ملكه، وتبدد سلكه، فهذا يا بني لم يصلح دنياه ولا أخراه، ولا ظفر بطائل مما تمناه".

تتجلى حجاجية الرباط "حتى" في هذا المثال في الربط بين الحجج المتمثلة في (كثير الهتار، مخلوع العذار، لا يرعى لعذل عاذل، ولا يسمع النصح من قول قائل)، والنتيجة المتمثلة في (حتى انتزع ملكه، وتبدد سلكه، لم يصلح دنياه ولا أخراه، ولا ظفر بطائل مما تمناه)، وكلها حجج تسير نحو نجاح العملية التواصلية وتحقيق نتيجة مفادها؛ التأثير في المتلقي وإقناعه بأن لا يتصرف بتصرفات "الوليد" فلا يكون فاقدا لعقله، تابعا لهواه، غير مباليا بعاقبة الأمور، منهمكا في الفساد دون خجل، ولا يقبل النصح والإرشاد من الفقهاء، لأنه إن كان كذلك فلا تصلح لا أموره الدنيوية ولا الآخروية، "قال أبو القاسم الحكيم: هلاك العبد في شيئين: المعصية والانفراد بالرأي"⁽¹⁾، والملاحظ أن الرباط "حتى" أفاد تراتبية حجاجية تساهم في إقناع المخاطب، إذ إن ما يأتي قبلها حجة أولى وما يأتي بعدها حجة ثانية، غير أن الفارق بينهما أن الثانية تسجل درجة أقوى في التأثير على المتلقي وتوجيهه.

* الرباط الحجاجي "بل":

تكمّن حجاجية حرف العطف "بل" في أنه يُستخدم لترتيب الحجج في سلم حجاجي

(1) ينظر: أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 141.

(2) المصدر نفسه، ص 141.

(1) الغزالي: التبر المسبوك، ص 110.

يتسم بالتعارض بين الحجج المتناقضة، حيث ينفي المرسل الحجة الأولى ليؤكد الثانية، سواء كان ذلك بالإيجاب أو النفي أو الأمر⁽¹⁾، و"بل" حرف إضراب، وله حالتان؛ الأولى أن يأتي بعده جملة، والثاني أن يأتي بعده مفرد، فإذا جاء بعده جملة، فإن ذلك يُعد إضراباً عن ما قبله، إما للإبطال أو للتحويل دون إلغاء ما قبله⁽²⁾، ومن أمثلة توظيف الرابط "بل" بمعنى الإضراب في الخطاب الحجاجي لدى "أبو حمو" ما دلت عليه الفقرة التالية: (3)

"ولا ينبغي الملك أن يعتمد على فطنته وقوة حيلته، وكثرة ماله، وحصانة معاقله، فيترك الاستعداد للنوازل، ولكثرة ما يجوز وقوعه من الحوادث، فيكون مثله كمثل الخطيب اعتمد على فصاحة لسانه، وقوة بديهته فترك تزوير القول وترتيبه، ثم صعد المنبر، فيوشك أن يستولي عليه العي عند الحاجة، بل ينبغي أن يتقدم في الحيلة للأمر قبل نزوله، فإنه إذا نزل به ضاقت عنه الحيل".

الإقناع المتلقي - الابن - بما سيطرحه عليه المتكلم - أبو حمو - نجد أن الأخير يستعمل الأداة "بل" في خطابه الحجاجي للربط بين الحجة الأولى (التي تشير إلى احتمال الإصابة بالعي عند الحاجة) والحجة الثانية (التي تشير إلى ضرورة التقدم بالحيلة قبل حدوث الأمر)، تكمن وظيفة "بل" في إحداث الإضراب، حيث تبطل ما جاء قبلها وتثبت الحكم في ما بعدها، مما يساهم في تغيير التوجه من الحكم الأول إلى الثاني بشكل حجاجي قوي⁽¹⁾، والملاحظ أن الحجة الثانية تعارضت مع الحجة الأولى، وكانت هي الأقوى لأن الحرف "بل" يسهم في بناء السلم الحجاجي من خلال نفيه لما يسبقها، مما يمثل درجة أولى في السلم الحجاجي، ثم إثباته لما يليها، وهو ما يُعدّ أعلى درجات الحجاج نظراً لقيمته الإقناعية العالية⁽²⁾.

من خلال ما سبق نلاحظ حضور الروابط الحجاجية بكثرة في (واسطة السلوك) كما رأينا في هذا الجزء وما عرضناه سابقاً من أدوات التعليل والشرط، ورأينا الدور الحجاجي

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 515.

(2) ينظر: المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، ص 235.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 136.

(1) ينظر: مصطفى الغلايبي: جامع دروس العربية، ج 3، ص 247.

(2) ينظر: عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 141، 142.

القوي الذي أدته هذه الروابط، إذ ساهمت في الربط الحجاجي والتنسيق بين الحجج على الرغم من اختلاف أنواعها، فبسطت بذلك أداء عملية التبليغ، وأعطتها الصورة الحجاجية القوية، وساعدت في التأثير في المتلقي وإقناعه بما يريده المتكلم من خطابه.

2.2.8. السمات الدلالية:

قد لا يتكون السلم الحجاجي بشكل متراكم في خطاب واحد، بل قد تكون هذه الطبقات متخفية في ذهن المتكلم والمتلقي، اعتماداً على تماثل قدرات المتكلم اللغوية، وبالتالي على الكفاءة التداولية للمتلقي إلى حد ما ⁽¹⁾، وعليه يمكن للمرسل صياغة خطابه الحجاجي في قضية واحدة بأكثر من شكل ليقنع المرسل إليه بها، ومن أمثلة ذلك في المدونة، ما سعى "أبو حمو" إليه في قضية العدل، فنجد في خطابه الحجاجية يقنع ابنه بالتخلي بهذه الصفة عن طريق عدة أشكال خطابية تنتمي إلى درجة من السلم الحجاجي، ومن هذه الأشكال "الأسلوب الخبري" في قوله: ⁽²⁾

"اعلم يا بني أن العدل سراج الدولة، فلا تطفئ سراج العدل بريح الظلم، ومن شروط الإمارة العدل في الأحكام والرفق بالأنام، والتجنب عن الحرام، والصبر في الشدائد، والجري على أحسن العوائد، فإن صلاح الدولة بقواعدها وفسادها بخرق عوائدها".

يعلم "أبو حمو" أن العدل هو إعطاء كل ذي حق حقه بشكل متوازن دون إفراط أو تقريط، وهو يعتبر من الأسس الأساسية التي تضمن استمرارية الملك، و في هذا السياق يُظهر حرصه الشديد على توجيه ابنه عبر "الأسلوب الخبري" في عبارة (أن العدل سراج الدولة، من شروط الإمارة العدل في الأحكام...)، ليشدد على أهمية هذه الفضيلة باعتبارها من القيم الرفيعة التي يجب أن يتحلى بها الحاكم، مستنداً في ذلك إلى قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [سورة الحديد: الآية 25]. ويعمل "الأسلوب الخبري" هنا على تعزيز الإقرار بهذه الحقيقة من دون مجال للإنكار، حيث يعد بمثابة حجة قوية لتحقيق غرض الخطاب في ترغيب الابن في العدل وتحذيره من عواقب الظلم، وبالتالي يسهم الأسلوب الخبري في توجيه الحاج نحو الإقناع،

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص522.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص23.

مما يعزز من قوة الكلام في تحقيق الهدف المنشو، وفي الموضوع نفسه نجده يستعمل "أسلوب الشرط" بالأداة "من" في قوله: ⁽¹⁾

"يا بني من تدرع بدرع العدل، وفي شر العداء، ومن تلبس بلبس الجور سقي كأس الردى، والعدل خير من ماء الحياة، والجور أشر شيء يتقى، والعدل نعم ما يجتنى، والجور بئس ما يقتنى، والعدل كنز الأمير، وحياة الغني والفقير".

نلاحظ كيف أن الكاتب ربط الحديث عن العدل بما يقابله من الظلم، مشيرًا إلى أنهما متناقضان لا يجتمعان، فمتى حضر العدل غاب الظلم، والعكس صحيح، ويتجلى هذا في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [سورة النحل، الآية: 90]. وفي هذا السياق استخدم الكاتب "أسلوب الشرط" بشكل متكرر (من تدرع بدرع العدل، وفي شر العداء، من تلبس بلبس الجور، سقي من كأس الردى)، حيث يعكس هذا الأسلوب العلاقة بين العدل والظلم من خلال ترتيب النتائج التي تترتب على كل فعل، مما يعزز الفكرة الحجاجية بأن العدل هو السبيل للنجاة، بينما الظلم يؤدي إلى الهلاك، وليبين قيمة كل منهما، وليكون وسيلة يستند إليها ليقنع ابنه بخطابه هذا.

كما لجأ في الخطاب الموالي الذي يدور هو الآخر حول موضوع العدل، إلى استثمار "الأسلوب الإنشائي" ليحاجج به ابنه في قوله:

"يَا بُنَيَّ خُذِ الْمَالَ مِنْ حَقِّهِ وَأَنْفَقْهُ فِي مُسْتَحَقِّهِ، تَكُنْ أَعْدَلَ النَّاسِ وَأَفْضَلَ مِنْ مَلِكٍ وَسَاسٍ، فَمَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا كَانَ الْخَرْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ"⁽¹⁾.

الواضح في هذا الخطاب الحجاجي أن "أبا حمو" أكثر من توظيف "الأسلوب الإنشائي" الطلبي بصيغة الأمر (خذ المال، أنفقه، تكن) ليأخذ ابنه بنصيحته ويقنع بها، فاكتسب بذلك "الأمر" بعدا حجاجيا، إذ تضمن حجة تقضي إلى نتيجة واضحة وهي ضرورة الاتصاف بصفة العدل.

⁽¹⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 24.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ص 29.

وفي الأخير يمكن القول أنه مهما تنوعت طرق الخطاب إلا أن القصد الأساس الذي يبتغيه المرسل هو التأثير في ابنه لاقتناع بالتجمل والتزين والتحلي بصفة العدل في كل خطاب، من خلال تلك الحجج التي لعبت دورا كبيرا في المساهمة في ذلك، إذ يعتمد المرسل في اختياره لنمط الخطاب على فهمه العميق للسياق العام والخاص للحديث، إضافة إلى معرفته بحالة المتلقي ومستوى ثقافته ودرجة تقبله لأفعال الحث والإقناع، فاختياره للأسلوب المناسب يعتمد على قدرة المتكلم على تحديد ما سيحفز المتلقي ويدعوه إلى الاقتناع بما يعرضه، مما يساهم في تحقيق الهدف من الخطاب بنجاح⁽¹⁾.

3.2.8. درجات التوكيد:

يعتمد المرسل في اختياره لنمط الخطاب على الفهم العميق للسياق العام والخاص للحديث، بالإضافة إلى دراسته لحالة المتلقي، ومستوى ثقافته، واستجابته لأفعال الحث والإقناع، إذ يحدد المتكلم الأسلوب الأنسب لتحفيز المتلقي ودفعه نحو الاقتناع بما يعرضه، مما يساهم في تحقيق الغرض المرجو من الخطاب⁽²⁾.

الضرب الابتدائي في الأسلوب الخبري هو "الذي يوجه إلى خالي الذهن من الحكم الذي يلقيه إليه المخاطب، وليس لديه فكرة عن موقف مسبق، فيستغني المخاطب عن مؤكيدات الحكم"⁽³⁾، أما "الضرب الطلبي" يوجه إلى مخاطب شاك أو متردد في قبول الخطاب، فيلجأ المرسل إلى مؤكد واحد ليحفز المرسل إليه لقبول خطابه ومن خطابات "أبي حمو" ذات "الخبر الطلبي" في المدونة قوله:

"اعلم يا بني أن الملك بناء والعدل أساسه، فإذا قوي الأساس دام البناء"⁽¹⁾.

لجأ الكاتب في خطابه هذا إلى الضرب الطلبي إذ نجده يوظف أداة النصب والتوكيد "أن" في عبارة (أن الملك بناء والعدل أساسه)، والتي تعتبر حجة على أهمية العدل في دوام الملك، و الغرض منها التأثير في ابنه للاقتناع بضرورة الأخذ بنصيحته؛ بأن يكون عادلا في

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 523.

(2) ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص 170، 171.

(3) المرجع نفسه، ص 171.

(1) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 141.

أمر دولته ليديم سلطانه، وهذا ما أكده علماء الفكر السياسي والتي ترى "أن الذي يؤدي إلى الاستمرار الحكم، واطمئنان الرعية، هو أن يؤدي الحاكم ما وجب للأمة عليه من حقوق"⁽¹⁾.

أما عندما يشك المتكلم في أن المخاطب قد ينكر خطابه، فليجأ إلى أكثر من مؤكد لتأكيد خبره، لأن المرسل لا يلجأ إلى التوكيد إلا عندما يكون المتلقي بحاجة إليه، فيعززه بالحجج ويعزز اقتناعه⁽²⁾، ونجد هذا النوع من الخطاب كثيرا في المدونة منها قوله: ⁽³⁾

أَنَا الْمُسْرِفُ الْجَانِي أَنَا الْمُذْنِبُ الَّذِي أَشَاهِدَ بَابِ الْعَفْوِ بِالذَّنْبِ قَدْ سَدَّ

لَقَدْ حَقَّ لِي أَنْ أَبْكِي عَلَى فَرْطِ زَلَّتِي وَأُسْكُبُ دَمْعًا كَالْعَقِيقِ عَلَى الْخَدَّ

ليدل على قوة حاجاه استعمل المرسل خطابه على نحو "الضرب الإنكاري" مستعملا أكثر من أداة لتوكيد ما يقوله وليزيد من قوته الحجاجية وبالتالي حمل المعنى إلى التصديق والاقتناع، ومن هذه الأدوات؛ تكرار الضمير "أنا" في قوله (أنا المسرف الجاني، أنا المذنب) والأداة (لقد) المتكونة من الحرفين (لام التوكيد + قد) للذان دخلا على الفعل الماضي (حق)، ويفيدان التوكيد التام للكلام المُقال وعدم الشك فيه، بالإضافة إلى حرف النصب (أن) الذي دخل على الفعل المضارع (أبكي) من أجل توكيد حسرته على الآثام التي ارتكبها، كل هذه الأدوات جاءت بمثابة حجج ترمي إلى نتيجة واحدة؛ وهي التماس العفو والمغفرة من غفار الذنوب.

9. آليات السلم الحجاجي:

1.9.1. التعدية:

تعني آلية "التعدية" تنظيم الأشياء وترتيبها في سلم من أجل عقد العلاقة بينهم، رغم عدم وجودها قبل التلفظ بالخطاب⁽¹⁾، ويمثل "اسم التفضيل" أدواتها اللغوية، فيما يمثل "القياس الضمني" أدواتها شبه منطقية:

⁽¹⁾ - المارودي: أدب الدين والدنيا، ص141.

⁽²⁾ - ينظر: جيلي هدية: استراتيجية الخطاب القرآني، ص141.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص199.

⁽¹⁾ - ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص526.

- **أفعال التفضيل:** فعل التفضيل هو اسم مشتق على وزن "أفعل"، ويستخدم غالباً للدلالة على أن شيئين يشتركان في معنى معين، مع زيادة أحدهما عن الآخر في هذا المعنى، والدعائم التي يعتمد عليها التفضيل الاصطلاحي عادة ما تتكون من ثلاثة عناصر:

1.صيغة "أفعل" كاسم مشتق.

2.شيئين يشتركان في شيء خاص.

3.زيادة أحدهما عن الآخر في المعنى.

4. ولا يختلف المعنى أو الزيادة بين أن يكون التفضيل في أمر محمود أو مذموم⁽¹⁾، ومن أمثلة استعماله في الخطاب الحجاجي في المدونة ما تظهره الفقرة التالية: (2)

"يا بني، لا يترك ملك لولده أسنى من العفو والصدق والصفو، ولا أحسن منه ولا أجمل ولا أسنى ولا أكمل، يا بني، من أفشى سرك سرا فعاقبه سرا، من أفشى سرك جهرا فعاقبه جهرا".

أكثر "أبو حمو" من توظيف "اسم التفضيل" في خطابه السابق من خلال عبارة (أسنى، أحسن أجمل، أكمل) من أجل تحقيق المفاضلة المبنية على القياس الظاهر، ليقنع ابنه بما يقول، من خلال إيجاد العلاقة بين شيئين لا يوجد رابط بينهما، وذلك من خلال المفاضلة بين (الميراث) و(العفو والصدق والصفو)، ليصل إلى نتيجة حجاجية نهائية بمفاضلته للصفات التي ذكرها، وبهذا برزت الوظيفة الحجاجية في تبين أهمية هذه الصفات والاقتناع التحلي بها، وبهذه النتيجة يكون قد حقق مقصديته الحجاجية، كما تكمن وظيفة أفعال التفضيل الحجاجية في أنها تتيح للمرسل إقامة علاقة بين أطراف لا ترتبط فيما بينها بشكل طبيعي، كما أنها تمكنه من ترتيب الأمور بطريقة معينة، فمن دون استخدام هذه الأفعال، ما كان من الممكن أن يتم هذا الترتيب، ولذلك يصنف "بيرلمان" هذه الأفعال ضمن حجاج التعدية، حيث تساعد في تنظيم وإعادة ترتيب المفاهيم والأفكار بشكل يخدم الهدف الحجاجي⁽¹⁾.

- **القياس الضمني:** "القياس الضمني" أو المضمّر، هو نوع من القياس المنطقي الذي

(1) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص526.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص166، 167.

(1) ينظر: ابن ظافر الشهري: المرجع نفسه ، ص528.

يعتمد على الرأي والاحتمالات بدلاً من الاستنتاج العلمي الصريح كما في القياس المنطقي التقليدي، إذ يشمل استدلالات تقوم على فرضيات تكون كافية لمعالجة الأمور أو الوقائع، وتفتقر إلى وضوح تام في المقدمات الكبرى التي يعتمد عليها القياس، وفقاً لـ"ابن سينا" فإن هذا النوع من القياس هو الذي تختفي فيه المقدمة الكبرى عادة بسبب وضوحها أو الاستغناء عنها، مثال على ذلك عند القول بأن الخطين (أ ب) و(أ ج) يخرجان من المركز إلى المحيط، من الممكن أن نستنتج أنهما متساويان دون الحاجة لذكر المقدمات الكبرى بوضوح، إذ تُفترض المعرفة المبدئية بهذا الواقع⁽¹⁾، من خلال التعريف السابق يفهم بأن "القياس المضمر" هو قياس محذوف المقدمة، وعادة ما تكون المقدمة الكبرى، ومن أمثلة "القياس المضمر" في المدونة، قول "أبو حمو":⁽²⁾

"يا بني إن الاغترار بالدنيا باطل، فاركب لها جواد الحق، وإذا أعطيت ما يفنى فاشتر به ما يبقى، فإن الدنيا منهج للآخرة، ومن يجعل الدنيا رأس ماله كانت تجارته خاسرة".

إن أحسن ما يناله المرء في دنياه رضا الله، وقد حرص الكاتب في هذا الخطاب على توصية ابنه لنيل مرضاة الله في الدنيا والآخرة، وذلك بأن لا يغتر بالحياة الدنيا وملذاتها، فهي زائلة، و يسعى إلى طاعة الله من خلال الاهتمام بثلاثة جوانب أساسية في الدين، وهي: تجنب اتباع الهوى، والالتزام بأوامر الشرع، وعدم الحسد تجاه الآخرين⁽³⁾، واستلزم "القياس الضمني" الذي صيغ من أجله هذا الخطاب نتيجة مضمرة مفادها أن الدنيا متقلبة وعلى المرء أن لا يأمنها ويحذر منها.

2.9. صيغ المبالغة:

"صيغة المبالغة" هي اسم مشتق من الفعل الثلاثي، يستخدم للدلالة على معنى اسم الفاعل مع إضافة تأكيد وتعزيز للمعنى، بهدف المبالغة في التعبير عن الفعل أو الحالة⁽¹⁾، إذ "تفيد الكثرة والمبالغة في المعنى وأشهر أوزانها، خمسة قياسية وهي: فعّال، مفعال فَعول،

⁽¹⁾ ينظر: طه السباعوي: أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2001، ص226.

⁽²⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص26.

⁽³⁾ ينظر: الغزالي: التبر المسبوك، ص109، 110.

⁽¹⁾ ينظر: محمد فاضل السامرائي: الصرف العربي أحكام ومعان، دار ابن كثير، سوريا، ط1، 2013، ص49.

فعيل، فعل⁽¹⁾، وتصنف "صيغ المبالغة" ضمن الآليات اللغوية في الحجاج، إذ تعتبر من بين الحجج التي تمكن المرسل من بناء سلمه الحجاجي، لما لها من قوة دلالية تخول لها قوة حجاجية محددة، معتمدا على مهارته اللغوية والتداولية لتوظيفها، ونجد هذا النوع من الآليات الحجاجية التي استعان بها "أبو حمو" في المدونة في قصيدته البائية التي يمدح فيها الرسول ρ في قوله: (2)

إِلَى خَيْرِ هَادٍ هَذِي لِلرَّشَادِ جَمِيعَ الْعِبَادِ وَجَلَّى الْخُطُوبَا
أَجَلْ شَفِيعَ مَكِينٍ رَفِيعٍ أَتَى فِي الرَّبِيعِ فَأَخْيَا الْقُلُوبَا

استعمل الشاعر لوصف الرسول صلى الله عليه وسلم صيغة المبالغة (شفيع، مكين، رفيع) والتي جاءت على وزن (فعيل)، وهي صيغة تدل على تكرار الأمر، حيث أصبح كأنه خلقة في صاحبه وطبيعة فيه⁽³⁾، ولأن وصف النبي بأجمل الصفات وما تميز به من معجزات يجعل هذه الصفات لصيقة به، لجأ "أبو حمو" إلى استعمالها ليعبر بها عن مدى درجة الحجة التي يريد أن يوصلها في خطابه⁽⁴⁾.

3.9. فحوى الخطاب:

من أبرز مظاهر الاستراتيجية الحجاجية أن يؤسس المخاطب لسلم حجاجي، ومن أبرز مظاهر هذا الأخير أن تتأسس حججه على آلية "فحوى الخطاب"، وهي "ما دل عليه اللفظ من جهة التنبيه"⁽¹⁾، وهو أن يتم الإشارة إلى الأعلى مع التنبيه على الأدنى، أو أن يتم الإشارة إلى الأدنى مع التنبيه على الأعلى⁽²⁾، ومن نماذج استعمال هذه الصيغة في الخطاب الحجاجي لدى "أبو حمو" المقطع التالي: (3)

(1) ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 530.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 195.

(3) فاضل السامرائي: الصرف العربي أحكام ومعان، ص 102.

(4) ينظر: ابن ظافر الشهري: المرجع السابق، ص 529.

(1) أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج؛ تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط3، 2001، ص 146.

(2) ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 530.

(3) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 44.

"يا بني، وليكن مجلسك مجلس سَكِينَةٍ ووقَّارٍ، ولا يجلس معك إلا أناس أخيار".

نجد في هذا الخطاب أن الكاتب جمع كل حججه الفرعية التي تتضمنها البنية اللغوية لخطابه في حكم واحد، فقد جسد حجة عليًا في قوله (وليكن مجلسك مجلس سَكِينَةٍ ووقَّارٍ)، أي يدخل تحت هذه الحجة كل ما يمكن من الحُجج الفرعية التي صاغها ضمناً في خطابه الحجاجي من طمأنينة واستقرار وثبات وهدوء وراحة، وينبه عن الحجة الدنيا المتمثلة في الابتعاد عن كل ما يعكس ذلك من قلق واضطراب وازعاج...، كما نجد ذلك أيضاً في عبارة (لا يجلس معك إلا أناس أخيار) أي أن هذه الحجة تأطيراً حجاجياً لما هو ضمنى من الحجج الفرعية لها، أي أن يجتمع بأشخاص يسعون إلى كل عمل فيه خير ونفع وسعادة وصلاح، ويبتعد عن كل شخص يسعى إلى الشر والضرر والأذى له ولغيره.

وفيما يخص استخدام الصيغة الثانية من "فحوى الخطاب" في الخطاب الحجاجي لدى "أبو حمو" قوله: ⁽¹⁾

"... وأما ركوبك يا بني، فينبغي لك أن لا تكثر من الركوب إلا في أوقات معلومة، لأنك إذا أكثر من الركوب ملك الناس، وإذا أقلت من الركوب ذمك الناس، لأنك إذا احتجبت عن الناس ظنوا أنك مشغول بالدنيا ولذاتها وإن أكثر من الركوب كثرت مباشرتك للعامة وإذا كثرت مباشرتهم لك ملوك وزهدوا في النظر إليك، وليكن ركوبك بسكون وسيرك بتؤدة، ولا تلتفت في ركوبك يمينا ولا شمالاً، لأن الالتفات يمينا وشمالاً دال على ضعف العقل".

في هذا الخطاب احتج "أبو حمو" بالدرجة الأدنى، عند ذكره لأبسط مفهوم تدل عليه جملة (لأنك إذا أكثر من الركوب ملك الناس)، ليُحيل انتباه المتلقي إلى الدرجة الأعلى، وهي كل التصرفات التي تصدر منه في مواقف معينة والتي قد تسيء نظرة الناس إليه ويفقد بذلك هيئته وقيمه عندهم.

ومن مظاهر الحجاج بفحوى الخطاب، أن يعتمد المرسل إلى ذكر الحجة الوسطى المنتمية إلى سلم حجاجي محدد منها وينفي الحُجج التي هي أقل أو أعلى درجة، مثلما دلّت

⁽¹⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 42.

عليه الصيغة التي جاء بها الخطاب الحجاجي التالي: ⁽¹⁾

"واعلم يا بني أنه إذا كتب لك عدوك المساوي لك كتباً على أسلوب واحد، لا ترى فيها من ناقص ولا من زائد، ولا كتب لك إلا بما لا بد منه في كل ما يصدر عنه، فتعلم أنه وافر العقل آخذ بشيم الفضل لا يغضب إلا لأمر يهمه، وحادث يكره ويغمه فهذا يا بني يجب أن تحتال عليه ببعض الحيل، لتبلغ منه غاية الأمل، وتخادعه بضروب المخادعات وتصانعه بوجوه المصانعات".

بمجرد أن تلفظ المرسل بالجملة الأولى (إذا كتب لك عدوك المساوي لك كتباً)، وضع حجته في درجة وسطى من السلم، وبهذا ينفي الحجة الأعلى مرتبة وهم (الأعداء الأقوى منك) والحجة الأخرى الأدنى مرتبة، وهم (الأعداء الأضعف منك).

4.9. حجة الدليل:

مما يدعم به المرسل خطاباته استعانت به بشواهد الغير، المناسبة للسياق مثل: النقل والتضمين والاقتباس، ويطلق عليها تداولياً بـ "حجة الدليل"، تساهم هذه الآلية في تعزيز مكانة المرسل، مما يمنحه قوة سلطوية ضمن سياق الخطاب، هذه السلطة لا تتبع من شخصية المتكلم بحد ذاتها، بل من القوة التي يحصل عليها الخطاب نفسه من خلال كونه أداة التعبير الوحيدة للمرسل، وبذلك تصبح السلطة مرتبطة بالخطاب ذاته الذي يتخلى المتكلم عن حضوره المباشر وراءه ⁽²⁾ وعلى هذا الأساس تقدم الشواهد أو القوالب اللغوية الجاهزة سلطة للنص الحجاجي، عندما تضاعف من القوة الحجاجية للصيغة اللغوية التي يتأسس منها السلم الحجاجي، إذا أحسن المخاطب استثمارها بوضعها في سياقها الصحيح، بما يمتلكه من كفاءات تواصلية ومرجعيات خطابية، تعكسها الدراية بقيمة الروافد التي يستقي منها شواهد ومحل إجماع بينه وبين المتلقي المراد إقناعه، خاصة إذا كانت تلك المصادر مقدسة كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وإذا تتبعنا هذه الآلية في (واسطة السلوك)، نجد لها متنوعة في صياغتها اللغوية وروافدها المستقاة منها، ومن أمثلة هذه الآلية؛ استعمال "أبو حمو" للنصوص الدينية التي يعتبرها منبعاً غزيراً ينهل منه أفكاره، وليحاجج بها مخاطبه

⁽¹⁾ - أبو حمو موسى، واسطة السلوك، ص 188.

⁽²⁾ - ينظر: ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 537.

مثلما عبر عنه خطابه التالي الذي يحث فيه ولي عهده على أن التحلي بالجود مع أهله ورعيته، والذي قال فيه: (1)

"أن يكون الملك كريما على رعيته، دون نفسه وخاصته وأهل بيته، فهذا كرم غير محمود، ولا هو من الجود، لأنه يقتصر على نفسه وأهله، ويرى أنه من جميل فعله. اللهم إلا أن يكون ذلك إثارا على أهل الحاجة، فاقتصاره على نفسه ليس سماحة، فهذه صفة أهل الجود، الذين مثالهم قليل في الوجود، قال الله تعالى في مثل هؤلاء: {يُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} أي الجوع، فهذا يا بني إذا كان بهم المثابة، ففيه أعظم أجر وإصابة".

اعتمد "أبو حمو" في هذا المقطع الخطابي الحجاجي على ما يمتلكه من مرجعية دينية؛ من خلال توظيف (الآية القرآنية) التالية، قال الله تعالى: {يُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [سورة الحشر الآية: 03] لتكون لها سلطة تأثيرية قوية على المتلقي، فيقوي بها خطابه ويجعل ابنه يقتنع به، أحياناً، قد يواجه المخاطب صعوبة في إدراك خصائص الموضوع وفوائده بشكل كافٍ، مما يجعل من الصعب عليه الاقتناع بالأدلة المستمدة من تلك الخصائص، في مثل هذه الحالات يتم الاستعانة بأمور خارجية، تكون معترفاً بها وموثوقة لدى المخاطب، ليتمكن من الإيمان بـ، يُظهر الخطيب كيف أن تلك الأمور تدعمه وتدعو إلى ما يقوله، مما يجعل المخاطب يقبل ما يطرحه دون اعتراض، ويخضع له دون نقاش، لأن الأمر يُستند إلى ما هو مقدس لديه أو متفق عليه (2).

ولما كانت "الأحاديث النبوية" هي الأخرى ثرية بالأفكار والمعاني الإنسانية المختلفة، وذات وزن ثقيل في الخطاب، استقى منها "أبو حمو" ما يدعم به خطاباته الحجاجية، منها قوله: (1)

"يا بني إياك والحسد لنفسك ومن يليك، وأوصى به أقاربك ووزيرك وذويك، فإن

(1) - أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 162.

(2) - ينظر: محمد أبو زهرة: الخطابة "أصولها، تاريخها في أزهر أصولها عند العرب"، دار الفكر العربي، الكويت، ط 2، 1980، ص 41.

(1) - أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص 127.

الوزير إذا كان حاسدا أدى ملكك إلى الاختلال، ونفسك إلى الخبال، قال رسول الله ﷺ: {إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب}.

لقد دمج الكاتب خطابه الحجاجي بـ "الحديث الشريف" لكي يؤسس به سلمه الحجاجي، ومنه الوصول إلى نتيجة حجاجية يقتنع بها المرسل إليه-ابنه-، فبعد تحذيره وحثه على اجتناب الحسد، وأن يسعى إلى حث أقاربه وذويه إلى الابتعاد عنه، لما له من أضرار على الحاسد والمحسود، نجده يدمج قول الرسول: (إِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ) ليزيد في قوة خطابه ليسلم به ابنه.

في مواضع أخرى، يستخدم الكاتب "الحكمة" كأداة حجاجية، حيث تعد من الصيغ الضرورية التي يجب أن تتواجد في سياق الخطاب لتحقيق الأغراض المختلفة. تُدرج هذه الحكمة غالبًا في بداية أو نهاية الخطاب، ويقصد منها التأثير على المتلقي وتعزيز الاستدلال والإقناع⁽¹⁾، إذ نجده يوظفها في حديثه عن العلاقة التي تجمع كل من الحاكم والرعية والوزير في قوله: (2)

"وقد قالت الحكماء : مثل السلطان كمثّل الطبيب والرعية كالعليل والوزير كالسفير بين الطبيب والعليل فإن كذب السفير إذا أراد أن يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فإذا سقاه الطبيب على نحو ما وصف له السفير هلك وكذلك الوزير إذا نقل للملك ما ليس في الرجل يقتله الملك فمن هنا شرطنا أن يكون الوزير عاقلا نصوحا صدوقا".

في هذا المقطع يمثل الكاتب السلطان بالطبيب الذي يسهر على راحة مرضاه، ويمثّل الرعية بالمرضى الذي يعاني الويلات، ويحتاج من يهتم به، أما الوزير فيمثل الوسطة التي تجمع كل من الطبيب والمرضى، ويعمل على توجيه المنفعة لهما، وعليه صلاح العلاقة بين السلطان والرعية مرهون بصلاح الوزير، وقد اتكأ "أبو حمو" في خطاب الحجاجي على الحكمة ليرتقي به من أجل التأثير في ابنه ومن ثم الاقتناع.

كما نجد الكاتب قد أكثر من الاستشهاد بـ "الأقوال المأثورة" عن الصحابة في المدونة

(1) ينظر: محمد أبو زهرة: الخطابة، ص45.

(2) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص62.

واعتبرها رافداً آخرًا يعتمد عليه في مواضعه الخطابية الحجاجية، مثلما جاء في قوله: ⁽¹⁾
 "وهو الملك الذي له عقل يصلح به آخرته دون دنياه فهذا له عقل ناقص وليس له سياسة....، وقد قال عمر رضي الله عنه: ليس الرجل رجل الآخرة وإنما الرجل رجل الدنيا والآخرة".

لا شك من أن "أبا حمو" استغل قول "عمر بن الخطاب" من أجل تمرير رسالته الإقناعية إلى ابنه، التي أراد من خلالها توجيه ابنه إلى أن يصلح دينه ودنياه معاً، فعلى الرغم من أن خطاب "أبو حمو" له وقع خاص على نفس ابنه، إلا أنه ضاعفه بتعزيز الشاهد المأثور عن أحد الصحابة الأجلاء خلفاء الرسول ﷺ.

والاستشهاد بـ "الشعر القديم" كذلك له الدور المهم في بناء السلم الحجاجي، باعتباره مكوناً مهماً من مكونات مصادر التراث العربي، وبصفته أداة تعكس تجارب الشعراء وخبرتهم في الحياة، وهذا هو سر سلطته داخل الخطاب الحجاجي، ونقدم في هذا المقطع الخطابي الحجاجي توظيف "أبو حمو" لأبيات شعرية:

"يا بني إياك والمخاطرة فإنها غير محمودة إلا في طلب الملك والسلطان فإنها محمودة في هذا الشأن، لأن الملك إذا خاطر بنفسه في طلب سلطانه، واسترجاع بلاده وأوطانه، حمدت مخاطرته في سره وعلا نيته، فإنه أن نجح، وأنتج رأيه، نال غاية مطلوبة، وبلغ نهاية مرغوبة، وإن عاقه حلول منيته، دون بلوغ أمنيته، فله في ذلك أوضح عذر، وأجمل ذكر، وأعظم فخر، كما قال امرؤ القيس:

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَا لَاحِقَانَ بَقِيصِر

فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكُ عَيْنُكَ إِنَّمَّا نَحَاوُلُ مَلَكًا أَوْ نَمُوتُ فَنَعْزُرَا ⁽¹⁾

كثيراً ما كان يستحضر "أبو حمو" لبعض النصوص الشعرية القديمة بخطاباته، هادفاً من وراء ذلك إثرائها وربطها بتجارب سابقة، تدعم خطابه وتزيد من قوته الحجاجية، الأمر الذي نجده من خلال بيتي "امرؤ القيس" التي تدور حول المخاطرة في الحرب والتي جاء بها

⁽¹⁾ أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 50.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ص 33.

كحجة لابنه كي يقتنع بضرورة المخاطرة في الحروب لنيل المراد وتحقيق النصر .

ونجده يعتمد على "الشخصيات التاريخية" كشواهد حجاجية للوصول بها لنتيجته التي يسعى إلى تحقيقها في المتلقي، مثل ما أورده في حديثه التالي: (1)

"وكذلك اتفق للسلطان أبي تاشفين حين فرط في جيشه، عندما حصره بنو مرين أمسك يده عن العطاء في الحصار، واستعد بالحصن وبالقليل من الأنصار حتى كاد العدو أن يدخل البلد عليه، طلب لمن يعطي المال فلم يلتفت أحد إليه، ولم يجد من يأخذ المال، وآلت حاله إلى ذلك المآل، وأموره إلى ذلك المآل، دخلت عليه البلد عنوة، فذل بعد العزة والنخوة".

ليقنع ولي عهده بخطابه هذا، والمتمثل في أن الملك لابد أن يكون كريما على رعيته، ويعطي أكثر مما يأخذ ويعنى بشؤونهم، ويفكر في أمورهم كي يرأب ما بها من صدع، عمد "أبو حمو" إلى الاستشهاد بشخصية تاريخية (أبوتاشفين) أحد سلاطين دولة بنو عبد الواد، الذي لم يحسن تسيير بلاده، واستغنى وفرط في أهم عنصر في قيام البلاد وركنه الحصين ألا وهو الجيش، وانساق وراء جمع المال وأمسك يده عن العطاء، فكان ذلك مفسدة عليه وعلى بلاده، وقد استمد الشاهد التاريخي قوته الإقناعية من عدة سمات أو مواضع، من حيث: (2)

أ- إنه واقعة تاريخية حدثت في الماضي، وللواقعة قيمة حجاجية متفق عليها.

ب- إنه واقعة سابقة، وهذه الأسبقية قيمة حجاجية، وسمة تجعله مفضلا عند السامع بأن يملك سلطة عليه، فقيمة الشاهد التاريخي ليست ذاتية ماثلة فيه، بل هو مرتبط بالسياق التداولي الذي يخضع له، فشاهد تاريخي واحد يمكن أن يحدث استجابات متباينة وتأويلات مختلفة من المتلقي، بحسب ما يروم تحقيقه المحاجج من مقاصد حجاجية.

ج- ينطوي الشاهد التاريخي على قيمة حجاجية أخرى تتمثل في سمة الاستباق وإمكانية الحدوث مرة أخرى، فمبدأ التكرير يمنحه القوة الإقناعية.

(1) أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص 149.

(2) ينظر: محمد مشبال: في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، كنوز المعرفة، د.ب، د.ط.

ونجد نوع آخر من الشواهد التي تزيد من قوة الخطاب الحجاجي، ما يسمى بـ"التناص الباطني"، وقد استعمله "أبو حمو" في العديد من خطباته الحجاجية، وسنمثل له بـ"التناص الديني"، من خلال تلك التداخل بين نص الكاتب و"القرآن" أو "الحديث الشريف"، ليعطي بذلك قوة حجاجية لخطابه، كما جاء في قوله:

مَضَى الْعُمْرُ يَا حَسْرَتِي بِالضَّلَالِ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ مِنْهُ مَشِيئًا⁽¹⁾

(اشتعل الرأس منه مشيئاً) تتجلى بهذه العبارة ملامح "الآية القرآنية": رُذِّتْ تُرْ [سورة مريم، الآية: 04]، حيث استحضر الكاتب "التناص القرآني" ليدعم به خطابه الحجاجي، لأنه وجد في تصوير البهاء القرآني ما يعينه على رسم صورة الضعف والانكسار، وليؤثر فيه ويقنعه اعتمد على الأدلة الدينية.

كما يظهر جليا كيف تداخل المقطع الخطابي التالي مع "الحديث النبوي الشريف":⁽²⁾

"يا بني خذ المال في حقه وأنفقه في مستحقه تكن أعدل الناس وأفضل من ملك وساس، فما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان الخرق في شيء إلا شانه".

حث الكاتب ابنه على أن يكون الإنسان رفيقا في تصرفه معتدلا في إنفاقه للمال الذي تفضل به الله عليه، لأن إسرافه وتضييعه يؤدي إلى زواله، ولكي يقتنع ابنه بكلامه لجأ إلى التناص من "الحديث الشريف" في قوله: (لم يدخل الرفق في شيء إلا زانه، ولم ينزع من شيء إلا شانه)⁽¹⁾، ويبدو جليا مدى التطابق نص الكاتب مع نص "الحديث الشريف" ليشكل بهذا التناص حجة تدعم بها فكرته ليؤثر من خلالها في ابنه وبالتالي يقتنع بما جاء به.

من خلال ما سبق، يتضح أن "التناص" في العملية الحجاجية ليس مجرد استخدام لغوي عابر، بل يمتلك وظائف متعددة تتفاوت في الأهمية والتأثير، وذلك وفقاً للسياقات التي يتم فيها توظيفه ولأهداف المتناص⁽²⁾.

(1)- أبو حمو موسى: واسطة السلوك، ص195.

(2)- المصدر نفسه، ص29.

(1)- أحمد بن حنبل: المسند، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 2001، ج21، ص167، رقم الحديث13531.

(2)- ينظر: محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط3، 1992، ص132.

خلاصة القول:

إن خطاب "أبي حمو" في كتاب (واسطة السلوك) خطاب حجاجي مخطط له سلفاً للتأثير في ابنه وسلوكاته واستمالة نفسه وتوجيه عقله ثم إقناعه بالحقائق التي يريدها، متكناً على مجموعة من السبل والصيغ من أجل استدراجه إلى هدفه المرجو من العملية الإقناعية، فنجاحها متوقف على تلك الآليات والتقنيات التي تؤسس بنية الحجاج، لما لها من تأثير إيجابي وجوهري على المتلقي، تتمثل القيمة الحجاجية للحكمة في قدرتها على أداء وظيفة الربط بين القضايا المختلفة وترتيب درجاتها، حيث تُعتبر بمثابة حجج قوية في سياق الخطاب، مما يعزز البناء المنطقي للخطاب ويقوي تأثيره على المتلقي.

الخاتمة

الخاتمة

- الخلاصة
- النتائج

الخاتمة:

بعد تحليل استراتيجيات الخطاب (التضامنية، التوجيهية، التلميحية، الإقناعية) ومختلف آلياتها المستعملة في خطاب "أبي حمو موسى الزباني الثاني" في كتابه "واسطة السلوك في سياسة الملوك" توصل بحثنا إلى الإجابة عن الإشكاليات المطروحة في المقدمة لخصناها في النتائج الآتية:

➤ هناك علاقة ترابطية بين الوظيفة اللغوية والاستعمال والتي ظهرت واضحة من خلال دراستنا للمدونة وفق آليات التداولية.

➤ إن المقاربة أظهرت تعدد المقاصد والأهداف والسياقات والآليات بتعدد استراتيجيات الخطاب.

➤ لتشخيص الاستراتيجيات الخطابية تشخيصا جيدا لابد عند تحليل الخطاب الاهتمام بالمرسل والمتلقي والسياق المحيط بالمرسل لحظة التلفظ بالخطاب، ولا نغفل هذا الأخير لأنه مركز الحدث التواصلية.

➤ قدرة "أبو حمو" الإبداعية والتداولية في إيجاد سبل للتضامن مع الموجه له الخطاب والحرص على حسن العلاقة بينهما، من خلال التحكم الجيد في آليات اللغة لتعزيز التضامن.

➤ تجلت براعته في استثمار آليات اللغة لتوجيه مخاطبه واستمالاته لإقناعه بأفكاره وآرائه.

➤ الكشف عن كفاءته في التلميح عن مقصده الخطابية بدلا من التصريح في العديد من خطاباته عبر طريقته في التعامل مع وسائل الاستراتيجيات اللغوية.

➤ حضور الإقناع في المدونة من خلال تحليل ما تم تحليله واستثماره لآليات الإقناع مما أفضى إلى معرفة قدرته الإقناعية.

➤ بعد القراءة والدراسة والتحليل، يتضح أن المجال لا يزال واسعاً لاستكشاف المزيد في هذا الموضوع. إذ تُعد هذه المدونة غنية بالاستراتيجيات الخطابية التي يمكن أن تشكل

موضوعات لدراسات مستقبلية. حيث تجلت العديد من المواضيع المتعلقة بقواعد الملك وأركانها، مثل ما يحتاجه الملك في الحفاظ على سلطانه من عقل وعدل ومال وجيش وشجاعة وكرم وعفو وفراصة، وغيرها من الموضوعات التي تشكل مادة غنية للبحث العلمي.

➤ مع الأسف إن ولي العهد -عبد الرحمن التاشفيني-، الذي ألف له والده هذا السفر السلطاني الخالد، قد شارك في قتل أبيه، بعدما نمي له أن والده ينوي خلع ولاية العهد عنه، وبالتالي فالمقصدية التداولية لم تتحقق على مستواه.

➤ ولكن المتأمل لقيمة هذا الكتاب يجد له قيمة ومقصدية خالدة، حيث أصبح الكتاب مصدرا في الآداب السلطانية، يهتدي بمضمونه وهديه، كل ذوي السلطة والحكم، مقتبسا ذلك من خبرته الطويلة في الحكم، ومن علمه وفهمه، وكفاءته وحاشيته ومستشاريه أمثال يحيى بن خلدون والثغري وغيرهم.

➤ والكتاب في زعمي مصدر في التربية السياسية والاجتماعية، قل نظيره، وعزّ مثيله، ناهيك عن سحر البيان، وصدق الجنان، وفصاحة اللسان، وهو قليل من كثير من أدبنا الجزائري القديم، الذي لا يزال في حاجة للكشف والدراسة والإعلان.

الملاحق

الملاحق

الملحق الأول: ترجمة المؤلف
الملحق الثاني: التعريف بالكتاب

الملاحق

الملحق الأول: ترجمة المؤلف

هو "موسى بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان الأمير يكنى أبا حمو"⁽¹⁾، يتصل نسبه بمؤسس الدولة عبد الوادية يغمراسن بن زيان، ولم تكن الإمارة في أحد من أسلافه بعد يغمراسن⁽²⁾، فهو مجدد الدولة العبد الزيانية (العبد الوادية) في تلمسان وثالث ملوكها في دورها الثاني⁽³⁾.

* مولده ونشأته:

ولد في مدينة غرناطة سنة 723هـ⁽⁴⁾، وفي السنة نفسها رجع به أبوه إلى مدينة تلمسان باستدعاء من السلطان أبي تاشفين الأول⁽⁵⁾، نشأ أبو حمو في تلمسان كباقي أبناء الأمراء فعاش حياة البلاط وما تحتوي عليه من ترف وأبهة ومجالس الأنسوالطرب، ودرس على أشهر العلماء فنال حظا وافرا من العلم مكنه من تحصيل مبادئ العربية والعلوم الدينية⁽⁶⁾.

* إقامته في فاس:

في سنة 737هـ كان الاستيلاء المريني على تلمسان، عندما بلغ "أبو حمو" أربعة عشر عاما انتقل مع كثير من أبناء قبيلته إلى فاس، وعاش قسما وافرا من شبابه هناك، مغترفا منها العلم والأدب كونها كانت من أهم مراكز الثقافة الإسلامية آنذاك⁽⁷⁾.

(1) لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، ط1، 1975، ج3، ص286.

(2) ينظر: عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزيانى حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982، ص69.

(3) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص127.

(4) ينظر: لسان الدين بن الخطيب، المرجع السابق، ص292.

(5) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزيانى، ص71.

(6) ينظر: المرجع نفسه، ص72.

(7) ينظر: عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص72.

* عودته إلى وطنه:

سنة 750هـ عاد "أبو حمو" مع أبيه إلى تلمسان، واستقر بندرومة، وتزوج هناك ورزق بابنه الأول أبو تاشفين سنة 752هـ⁽¹⁾.

* انتقاله إلى تونس:

رحل "أبو حمو" إلى تونس بعيدا عن الأنظار، حيث كان يجتمع بالوافدين من قومه متطلعا إلى أخبار مدينة تلمسان وأهلها، ولما سيطر المرينيون على تونس غادرها عام 758هـ⁽²⁾.

* استرجاعه تلمسان:

اغتم "أبو حمو" فرصة انفصال قبيلة الدواودة عن دعم بني مرين وسعى إلى استمالتهم وحثهم على محاربة السلطان المريني والتحرك معه من أجل استرجاع تلمسان، وقد وصلت دعوات أهالي تلمسان آنذاك "أبا حمو" لإنقاذهم والجلوس على عرش آبائه فسار إلى ذلك وهو يشن غاراته على بني مرين وأنصارهم وكانت له يومئذ وقائع مشهورة انتصر فيها على خصومه فبايعه العرب، واسترجع حينئذ تلمسان وأطرافها⁽³⁾، فأعاد لها مجدها وعزها بعد اندثارها، وكان تركيزه على تدعيم إمارته بملاحقة المرينيين وطردهم من كل أنحاء المغرب الأوسط فأخرجهم من وهران بعد هدم أسوارها عام 763هـ، ولم تنته مواجهته الأطماع التوسعة التي كانت في مد وجزر طيلة حكمه⁽⁴⁾، وتمكن بفضل سياسته وفطنته من الحفاظ على عرش جدوده أكثر من ثلاثين سنة⁽⁵⁾.

* وفاته:

هذه السيرة الحافلة بالإنجازات السياسية والعسكرية والعلمية كانت نهايتها تعيسة، إذ قتل

(1)- ينظر: عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص72.

(2)- ينظر: الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع 7، ماي، 2008، ص87.

(3)- المرجع نفسه.

(4)- المرجع نفسه.

(5)- برحمون محمد، شعرية الخطاب الأدبي عند أبي حمو موسى الزياني الثاني، ماجستير الأدب الجزائري القديم، كلية

الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2009-2010، ص02.

"أبو حمو" في واقعة اشتد فيها القتال بين أنصاره وأنصار المرينيين، وجاء المرينيين برأس "أبي حمو" إلى ابنه "أبي تاشفين" عام 791هـ، وكان قد بلغ من العمر ثمانية وستين (68) عاما.
* آثاره:

ترك "أبو حمو موسى الزياني" أثارا أدبية قيمة، تعكس الثقافة السائدة في عصره آنذاك، كما تتم عن ثقافته الواسعة وميله الملحوظ إلى الآداب، وهذا أمر طبيعي ما دام قد نشأ في بيئات ثقافية، تهتم بالعلوم وتقديرها بدءا بتلمسان ففاس وتونس، حيث نهل منها الكثير⁽¹⁾، ومن آثاره الأدبية التي تركها كتابه "واسطة السلوك في سياسة الملوك"، وهو كتاب في جله نثري تتخلله القليل من القصائد الشعرية، وهو في الغالب خطاب موجه من "أبي حمو" إلى ابنه "أبي تاشفين" يوصيه فيه أن يتبع قواعد الكتاب حتى يتم له القيام بالأمور السياسية والعسكرية على الوجه التام⁽²⁾.

إضافة إلى العديد من القصائد الشعرية التي جاءت في كتب المؤرخين لدولة بني زيان، ككتاب "بغية الرواد" و"زهر البستان"، و"نظم الدر والعقيان" ليجمعهم الأستاذ عبد الحميد حاجيات في كتاب واحد عنوانه "أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره"، وقد وصلنا من شعره ما يقارب ألف بيت منتظما في إحدى وعشرين قصيدة موزعة على أغراض مختلفة، سبع قصائد منها في الشعر السياسي الذي زلج فيه بين الفخر والحماسة، وقصيدتين في الرثاء واثنتا عشر قصيدة في مدح الرسول ﷺ، وقد ارتبطت هذه الأغراض بمناسبات خاصة كبعض المواقف السياسية، ووفاة والده، والاحتفال بليلة "المولد النبوي الشريف"⁽³⁾. كان "أبو حمو موسى الزياني" صاحب شخصية فذة وقوية جمعت بين شيئين قلما يجتمعان في حاكم إلى جانب السلطة، ذاع صيته في مجال الأدب فنال بجدارة لقب السلطان الأديب⁽⁴⁾، ولم تمح الأيام ذكره، فلا يزال هذا الأديب البطل يحتل الصدارة بين رجال المغرب وشخصياته البارزة.

(1) ينظر: أمانة نوري، بنية الخطاب في شعر "أبو حمو موسى الزياني"، ص22.

(2) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره، ص190.

(3) ينظر: أمانة نوري، المرجع السابق ص23، 24.

(4) ينظر: مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، ع 9، 2013، ص208.

الملحق الثاني: التعريف بالكتاب (المدونة)

يتناول "أبو حمو موسى الزباني" في كتابه "واسطة السلوك" معالجة القواعد التي يجب على الملك مراعاتها في سياسته والخصال التي لابد أن يتحلى بها إذا أراد أن يحقق ما تصبو إليه نفسه، كنشر السلام والترف في بلاده، والنجاح في الدنيا والآخرة، فالموضوع ذو صبغة أخلاقية من جهة، إذ يشمل القيم الأخلاقية التي لابد للملك ورجال حاشيته التحلي بها، بالإضافة إلى الصفات التي يجب الابتعاد عنها، كما أنه يحتوي أيضا على صبغة سياسي من جهة أخرى، من خلال تناوله قضايا الحكم وتدبير الملك وأعوانه لشؤون الدولة⁽¹⁾.

قسم "أبو حمو" كتابه إلى أربعة أبواب: "الباب الأول يحتوي على نصائح عامة ينبغي على الملك مراعاتها إن كان يريد النجاح في الآخرة، كالعدل وملازمة التقوى وحفظ المال، والعناية بالجيش"⁽²⁾، و"أما الباب الثاني فيحتوي على قواعد الملك وأركانه وهي أربع: العقل والسياسة والعدل والاعتناء بجمع المال والجيش"⁽³⁾، و"أما الباب الثالث فإنه يتضمن تحليلا للأوصاف المحمودة التي يستقيم بها الملك.

وهي: الشجاعة والكرم والحلم والعفو"⁽⁴⁾، و"أما الباب الرابع فقد خصصه أبو حمو" للفراسة ويشتمل على دراسة نفسية لهيئة الناس والاستدلال بظواهرهم وسمة وجوههم عما يجول في ضمائرهم، والوسائل التي يمكن بها اختبارهم والوصول إلى ما يكنه باطنهم وخصوصا السفراء الذين يفدون من البلدان الأخرى أو الرسل الذين يبعثهم العدو لإبرام الصلح"⁽⁵⁾، وفي خاتمة الكتاب يتوجه إلى ابنه ببعض النصائح، فيحثه على التحلي بمكارم الأخلاق، ويرغبه في مساعدة المسلمين في جهادهم ضد النصارى بالأندلس، وأخيرا يدعوه إلى الاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف والابتهاج بها وإلى نظم المولديات⁽⁶⁾.

(1) ينظر: عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى، ص 190.

(2) المرجع نفسه، ص 197.

(3) المرجع نفسه، ص 198.

(4) المرجع نفسه، ص 200.

(5) المرجع نفسه، ص 201.

(6) ينظر: المرجع نفسه، ص 201.

1 * قيمة الكتاب:

تتجلى قيمة كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك" في العديد من المجالات من تاريخ، واجتماع، وأدب⁽¹⁾.

1 * قيمة تاريخية: يحتوي الكتاب على آراء وأخبار تاريخية، رواها عن كتب التاريخ، أو الأدب، أو كان نفسه من المشاركين فيها⁽²⁾.

*** قيمة اجتماعية:** يحتوي على مواضيع تدور حول قضايا اجتماعية، أو لها علاقة ماسة بسلوك المرء في المجتمع⁽³⁾.

*** قيمة أدبية:** طرق أبو حمو موضوعا علميا سياسيا بنزعة أدبية، وتتجلى ذلك في طريقة عرض أفكاره، ومعالجة مواضيعه⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الثاني، ص 201.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 202.

⁽³⁾ المرجع نفسه: ص 203.

⁽⁴⁾ ينظر: المرجع نفسه: ص 206، 207.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية حفص بن عاصم

أولاً: المصادر:

1. موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان عبد الوادي: واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح: عبد الرحمن عون، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د.ط، د.ت.

ثانياً: المراجع:

1- المعاجم:

2. ابتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة -دراسة تداولية-، دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2010.
3. إبراهيم محمد عبد الله الخولي: التعريض في القرآن الكريم، دار البصائر، القاهرة-مصر، ط1، 2004.
4. أحمد المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، د.ب، ط1، 1993.
5. أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط-المغرب، د.ط، 1995.
6. أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تحقيق: محمد التتوحي، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، د.ط د.ت.
7. أحمد بن حنبل: المسند، تح: شعيب الأرئوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 2001، ج21.
8. أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، السياسة الشرعية في رعاية الراعي والرعية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ب، د.ط، د.ت.

9. أحمد محمد فارس: النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبناني، بيروت-لبنان، ط1، 1989.
10. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، د.ب، ط1988، 05.
11. إدريس حمادي: الخطاب الشرعي طرق استثماره، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1994.
12. إدريس مقبول: الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديثة، إربد-الأردن، ط1، 2011.
13. أزهرى أحمد محمود: التوبة التوبة قبل الحشرات، دار بن خزيمة، د.ب، د.ط، د.ت.
14. الألباني محمد ناصر الدين: التوسل أنواعه وأحكامه، نسقه: محمد عيد عباسي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض-السعودية، ط1، 2001.
15. الآمدي الحسن بن بشر: الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، ط1، 2003، ج01.
16. آن روبول وجاك مشالر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط2003، 01.
17. الأنصاري جمال الدين بن هشام: مغنى اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت-سوريا د.ط، 1991، ج01،
18. انطوان الياس وادوار الياس: القاموس العصري، المطبعة العصرية، القاهرة-مصر، ط2، 1962.
19. أوبير دريفوس وبول راينوف: ميشيل فوكو (مسيرة فلسفية)، ترجمة: جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي بيروت-لبنان، د.ط، د.ت.
20. أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة-كيف ننجز الأشياء بالكلام-، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، د.ب، د.ط، 1991.

21. بسيوني عبد الفتاح: علم البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر، ط2، 1998.
22. بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السيّاب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، ط1، 2012.
23. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، منتديات سور الأزبكية، د.ب، ط1، 2006.
24. ابن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، بنغازي-ليبيا، ط2004، 01.
25. تمام حسان: اللغة العربية معانها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1994.
26. التوحيدي أبو حيان: ارتشاف الضرب، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط1، 1998، ج02.
27. ابن تيمية محمد بن إبراهيم الحمد: الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة، دار بن خزيمة للنشر والتوزيع الرياض-السعودية، ط1، 1997.
28. : التوسل والوسيلة، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار الفكر اللبناني، بيروت-لبنان د.ط، د.ت.
29. ج.ب. براون وج.بول: تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليكي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض-السعودية، د.ط، 1997.
30. الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، مصر، ط7، 1998، ج01.
31. جاك موشلار وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، المركز الوطني للترجمة، تونس، د.ط، د.ت
32. الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة-السعودية، د.ط، د.ت.

33. :المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر العراق، د.ط، 1982، ج02.
34. :معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة-مصر، د.ط، د.ت.
35. ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، د.ط، د.ت، ج01
36. جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016.
37. جورج فندريس: اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، د.ط، 1950.
38. جيارر دولودال: التحليل السيميوطيقي للنص الشعري، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط-المغرب، ط1، 1994.
39. جيل دلوز: المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1987.
40. حازم علي كمال الدين: علم الدلالة المقارن، مكتبة الآداب، د.ب، د.ط، د.ت.
41. حافظ إسماعيل علوي: التداوليات، علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إريد-الأردن ط2، 2014.
42. حسام البهنساوي: علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، دار زهراء الشرق، القاهرة-مصر، ط1، 2009.
43. أبو حسن بن حبيب المارودي: درر السلوك في سياسة الملوك، فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن للنشر، الرياض ط1، 1997.
44. أبو الحسن علي الحسنی الندوي: مواساة أم مواساة، البعث الإسلامي، د.ب، د.ط، د.ت.

45. خالد بن جمعة بن عثمان الخراز: موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2009.
46. ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت- لبنان، ط4، 1981.
47. خلود العموش: الخطاب القرآني -دراسة في العلاقة بين النص والسياق-، عالم الكتب الحديث، ط1، 2008.
48. خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة-الجزائر، د.ط، 2009.
49. أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، تح: شعيب الأرنؤوط وآخر، دار الرسالة العالمية، سوريا، ط1، 2009، ج6.
50. ديبيرا هابيني سياقولا: 50 طريقة لمصادقة ابنك المراهق، ترجمة: دينا إرنست، الأنجلو، القاهرة-مصر، د.ط، 2003.
51. ديل كارنجي: كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس، ترجمة: خليل البدوي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط01
52. ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو-الجزائر، د.ط د.ت.
53. رابح بوحوش: اللسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب الحديث، إريد- الأردن، ط2، 2009.
54. الزرقاني محمد عبد الباقي: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر 01، ط، ، 2003، ج04.
55. الزركشي محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة-مصر، ط03، 1984.

56. الزمخشري محمود بن عمر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، علق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط3، 2009.
57. زياد عبد الرحمن علي الكوراني: رؤيا جيوسراتيجية لمستقبل الصراعات الإقليمية في منطقة تزامم الإستراتيجيات، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، ط2019، 01.
58. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي_بنيته وأساليبه_، دار الكتب الحديث، إريد-الأردن، ط2001، 02.
59. السكاكي يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه: نعيم زوزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 1978.
60. سليمان بن أحمد الطبراني: الدعاء، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، 1413.
61. سيبويه عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط03، 1998، ج01.
62. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر: الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: غازي مختار طليمات، مطبوعات مجمع اللغة، دمشق-سوريا د.ط، د.ت، ج02.
63. الشعراوي محمد متولي: التوبة، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة-مصر، ط1، 2001.
64. شكري المنجوت: دائرة الأعمال اللغوية (مراجعات ومقترحات)، دار الكتب الوطنية بنغازي-ليبيا، ط1، 2010.
65. صابر الحباشة: التداولية والحجاج _مدخل ونصوص_، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، الإصدار الأول، 2008.
66. صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت-لبنان ط1، 1993.

67. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1992.
68. ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، د.ت، ج02.
69. طه السباعوي: أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2001.
70. طه عبد الرحمن: البحث اللساني والسميائي، الدلائل والتداوليات (أشكال وحدود)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المغرب، ط1، 1995.
71. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1998.
72. عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط، 03، 1975، ج01،
73. عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزباني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982.
74. عبد الدايم يحي إبراهيم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان د.ط، د.ت
75. عبد الرحمن بن عبد الله الشيزري: المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق علي عبد الله موسى، مكتبة المنار، الأردن ط1، 1987.
76. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: البلاغة العربية (أسسها، وعلومها، وفنونها)، دار القلم، دمشق-سوريا، ط1، 1996.
77. عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس ط2، 1986.
78. عبد الفتاح فيود بيسيوني: علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، المختار للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ط4، 2015.

79. عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة - نظم التحكم وقواعد البيانات-، دار الصفاء للنشر، عمان، ط1، 2002.
80. عبد الكريم يوسف: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، (غرضه - إعرابه)، مطبعة الشام-سوريا، د.ب، ط1، 2000.
81. عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط_المغرب، ط1، 2013.
82. عبد الله الطراونة: مبادئ التوجيه والإرشاد التربوي، دار يافا التعليمية للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2009.
83. عبد الله بن مبارك: كتاب الجهاد، تحقيق: نزيه حماد، دار المطبوعات الحديثة، جدة-السعودية، د.ط، د.ت.
84. عبد الله صولة: في نظرية الحجاج -دراسات وتطبيقات-، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011.
85. عبد المجيد جميل: البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة_مصر، د.ط، 2000.
86. عبد المطلب: الجديد في الأدب، بلاغة، قواعد، عروض، دار الشريفة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2012.
87. عبد النعيم خليل: السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية-مصر، ط1، 2007.
88. عبد الواسع الحميري: الخطاب والنص "المفهوم.العلاقة.السلطة"، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت- لبنان ط2، 2014.
89. عبده الراجحي: اللغة وعلوم المجتمع، قرأه: محمود عبد الصمد الجيار، دار الصحابة للتراث، طنطا-مصر، ط1، 2013،

90. عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقص_تونس، ط1، 2001.
91. علي آيت أوشان: السّياق والنّص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.
92. علي بن إبراهيم العلوي اليمني: الطّراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز مطبعة المقتطف، مصر، ط1، 1914.
93. علي حرب: نقد النّص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط4، 2005.
94. علي خلاصي: الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة الجزائر، ط1، 2007.
95. علي محمد حجي الصراف: في البرغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2010.
96. عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2015.
97. عمر سليمان عبد الله الأشقر: التقوى تعريفها وفضلها ومحذوراتها وقصص من أحوالها، دار النفائس للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2012.
98. العياشي أدواري: الاستلزام الحوارية "من الوعي بالمخصوصات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الظابطة لها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011.
99. الغزالي أبو حامد محمد: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ضبطه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط1، 1988.
100. فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ب، ط1، 1979.

101. فان ديك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.
102. فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط-المغرب، د.ط، 1986.
103. فولفجانج هاينة من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، د.ط، د.ت.
104. فيليب بروطون: الحجاج في التّواصل، ترجمة: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، ط1، 2013.
105. فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية-سورية ط1، 2007.
106. ابن قتيبة عبد الله بن مسلم: أدب الكلام، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1، 1982.
107. : تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة-مصر، ط2، 1973. ابن
108. القرطاجني حازم بن محمد: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، د.ط، د.ت.
109. القزويني أبو عبد الله بن زكريا: الإيضاح في علوم البلاغة -المعاني والبيان والبديع- ، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2003.
110. قطب مصطفى سانو: معجم مصطلحات أصول الفقه، راجعه: محمد رواس قلعجي، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط1، 2000.
111. كريم زكي حسام الدين: التعبير الاصطلاحي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1993.

112. كلود جرمان وريمون لوبلون: علم الدلالة، ترجمة: نور الهدى لوشن، دار الكتب الوطنية بنغازي-ليبيا، ط1، 1997.
113. كمال رشيد: الزمن النحوي في اللغة العربية، دار عالم الثقافة، الأردن، د.ط، 2008.
114. لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، ط1، 1975، ج3.
115. المارودي علي بن محمد: أدب الدين والدنيا، دار المنهاج، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت.
116. مازن عبد الكريم الفريح: كيف تكسب حب الناس، تصميم وتنفيذ: مكتبة الكتاب العربي، د.ب، د.ط، د، ت.
117. محمد أبو زهرة: الخطابة "أصولها، تاريخها في أزهر أصولها عند العرب"، دار الفكر العربي، الكويت، ط2، 1980.
118. محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة-مصر، د.ط، 2014.
119. محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي - مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، أفريقيا الشرق-المغرب، ط3، د.ت.
120. محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق-سوريا، ط5، 1993، ج2، ج3.
121. محمد بن صالح العثيمين: شرح ألفية بن مالك، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط1، 2012.
122. محمد طروس: النظرية الجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2005.
123. محمد عبد الله جبر: أسماء الأفعال وأسماء الأصوات في اللغة العربية، دار المعارف د.ب، د.ط، 1980.

124. محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة، دار الموقع للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.
125. محمد فاضل السامرائي: الصرف العربي أحكام ومعان، دار ابن كثير، سوريا، ط1، 2013.
126. محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدلالة في العربية-، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، ط2، 2007.
127. محمد مشبال: في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حاجية لتحليل الخطابات، كنوز المعرفة، د.ب، د.ط، 2017.
128. محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب ط03، 1992.
129. محمد نظيف: الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، دار إفريقيا، المغرب، د.ط، 2010.
130. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر د.ط، 2002.
131. محمود عكاشة: الدلالة اللفظية، مكتبة أنجلو مصرية، دط، دت.
132. :النظرية البراجماتية اللسانية(التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2012.
133. محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان د.ط، 1980.
134. محمود محمد عمارة: العفو أو الفضيلة الغائبة، مكتبة الأزهر بالمنوفية، د.ب، ط1، 1999.
135. المرادي الحسن بن قاسم : الجَنَى الداني في حروف المعاني، فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط1، 1992.

136. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي القاهرة، مصر، ط1، 2001.
137. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 2005.
138. مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تح: محمد ذهني أفندي وآخرون، دار الطباعة العامة، تركيا 1334هـ.
139. مصطفى بن محمد سليم الغلايبي: جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط28، 1993.
140. مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مديولي، القاهرة، ط2، 1999.
141. ابن منظور محمد بن مكرم : لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، ط1، 1990.
142. منقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي-دراسة-، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2001.
143. نادية رمضان النجار: اللغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الاسكندرية- مصر، ط1، 2006.
144. ناصر حامد أبو زيد: الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2008.
145. نجم الدين قادر كريم الزنكي: نظرية السياق-دراسة أصولية-، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
146. نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، دب، ط1، 2009.
147. هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة: محمد العُمري، أفريقيا الشرق المغرب، د.ط، 1991.

148. أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان ط3، 2001.
149. يحيى بن سليمان العقيلي: العفة ومنهج الاستعفاف، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1989.
150. أبو يعلى الموصلي: المسند، تخريج وتعليق: سعيد بن محمد السناري، دار الحديث، القاهرة-مصر، ط1، 2013.
151. ابن يعيش أبو البقاء بن علي: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ط، د.ت.

المجلات العلمية:

152. إبراهيم أحمد الشيخ عيد: أسلوب الاستفهام في شعر راشد حسين، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية)، مج21، العدد1، 2017، ص7.
153. الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد7، ماي، 2008.
154. آلاء محمد لازم: استراتيجيات الخطاب في القصيدة الجاهلية طفيل الغنوي أنموذجا_دراسة تداولية_، مجلة الآداب، ملحق العدد 121، جوان 2017.
155. أنما إبراهيم أحمد: في مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبي، مجلة ديالي، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، العدد71، 2012.
156. إيهاب خالد سعد الشرقاوي: الروابط الحجاجية في ديوان بشار بن برد "دراسة تداولية"، مجلة كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، المجلد 14، 2022.
157. باديس لهوئيل: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة-الجزائر، العدد2011، 07.
158. بشير إبرير: في تعليمية الخطاب العلمي، مجلة التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة-الجزائر عدد08 جوان 2001.

159. بوفلغة خليفة: استراتيجيات الخطاب عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الن(ا)ص، جامعة جيجل، العدد 19، جوان 2016.
160. حازم طارش حاتم: استراتيجية الإقناع في الصورة التشبيهية في الخطاب القرآني، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق، العدد 02، 2017.
161. راضية بوبكري: نظرية الأفعال اللغوية وتحليل الخطاب، مجلة التواصل الأدبية، العدد 03، ديسمبر 2008.
162. ريمة كعبش: نظرية الاستلزام الحوارى -المفهوم والمبادئ-، مجلة الخليلى فى علوم اللسان، المجاد 01، العدد 01، جامعة العربى بن المهيدى، أم البواقى، الجزائر، سبتمبر 2021.
163. زهور شتوح وزهية حيتة: التداولية دراسة فى المفهوم والمجالات من خلال كتاب "التداولية" لجورج يول، مجلة التميز، العدد 2020، 02، المجلد 02.
164. سعيد محمد على آل سرور: الأفعال الكلامية اللغوية المباشرة وغير المباشرة فى كتاب ذكريات للطنطاوى، المجلة العربية للنشر العلمى، العدد 38، ديسمبر 2021.
165. سهيلة طه محمد البياتى: أسلوب الاستفهام فى ديوان الحطيئة (دراسة نحوية تطبيقية)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 14، العدد 07، أبريل 2007.
166. صلاح إسماعيل: النظرية القصصية فى المعنى عند غرايس، المعلومات حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة القاهرة، الحولية 25، 2005.
167. عبد الحكيم سحاية: التداولية، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة-الجزائر، العدد 05، 1999.
168. عبد الله بوقصة: حاجية الاستفهام فى قصيدة "ما قيمة الدنيا" سليمان جوادى، مقارنة تداولية، مجلة لغة الكلام، مج 06 العدد 2020، 03، ص 88.
169. على عزت: اللغة ونظرية السياق، منشورات بمجلة الفكر المعاصر، عدد 76، جوان 1971.

170. فاطمة عماريش: استراتيجية الإقناع في الخطاب اللغوي، المفهوم والآليات، ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها، المجلد 02 العدد 04، أكتوبر 2021.
171. لمى عبد القادر خنياب: الاستراتيجية التوجيهية في سورة مريم دراسة في ضوء تداوليات الخطاب، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 24، 2017.
172. مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 09، 2013.
173. محمد السيدي: إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد 25، جانفي 2000.
174. محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، الكويت، المجلد: 28، العدد 03 يناير_مارس 2000.
175. معيض بن عطية القرني: عبد الحميد بن سيف الحسامي، المكاشفة في السيرة الذاتية -دراسة تداولية-، مجلة آفاق للعلوم، المجلد 06، العدد 01، 2021.

الأطروحات الأكاديمية:

176. أميرة عثمانية وهدي شرقي: تجليات الاستلزام الحواري في مسرحية صلاة الملائكة - مقارنة تداولية-، ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي التبسي، تبسة-الجزائر، 2023/2022.
177. برحمون محمد، شعرية الخطاب الأدبي عند أبي حمو موسى الزباني الثاني، ماجستير الأدب الجزائري القديم، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2010/2009.
178. جدي إيمان وروابي أحلام: الحجاج والمغالطة دراسة تداولية في سورة الفرقان، ماستر، كلية الآداب واللغات جامعة تبسة-الجزائر، 2017/2016.
179. حجر نورما وحيدة: الاستلزام الحواري في سورة البقرة في القرآن الكريم (دراسة وصفية تحليلية تداولية)، مقدمة لإكمال بعض شروط الاختبار للحصول على درجة السرجانا

- لكلية العلوم الإنسانية والثقافية في شعبة اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية، مالانج-إندونيسيا، 2018.
180. حسناء قيراطي: الاستراتيجية التوجيهية في مجموع رسائل الجاحظ، ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة 08 ماي 1945 قالمة-الجزائر، 2016.
181. خديجة رحومة وكوثر شكيمة ونور الهدى بته: الاستراتيجية التضامنية في سورة طه (دراسة تداولية)، ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي-الجزائر، 2020/2019.
182. سامية شودار: الخطاب الشعري في أطلس المعجزات لصالح خرفي دراسة تداولية، ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة-الجزائر، 2014/2013.
183. عيدة ناغش: أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين (دراسة نحوية بلاغية تداولية)، ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو-الجزائر، 2012.
184. فضيلة يونس: استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني دراسة تداولية، ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو-الجزائر، د. ت.
185. لينا علي محمود الجراح: الاستراتيجية التوجيهية في التراكيب النحوية، دكتوراه، جامعة
186. محمد مدور: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية، دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة باتنة-الجزائر، 2014/2013.
187. مصطفى أوماوي والعربي بكرابي: تداولية الخطاب الشعري ديوان أهواك عنوانا لكل قصائد لعراس فيلالي أنموذجا، ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة أدرار، 2020/2019.
188. هدية جيلي: استراتيجيات الخطاب القرآني سورة آل عمران أنموذجا -مقاربة لغوية تداولية-، دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف-الجزائر، 2017/2016

189. وناسة كرازي: أفعال الكلام في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، دراسة تداولية في موطأ الإمام مالك، دكتوراه، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر، 2017 / 2018. اليرموك، كلية الآداب، 2014/2015.

المواقع الإلكترونية:

190. <https://ebook.univeyes.com>.
191. <https://www.shamkhottaba.org>
192. <http://www.asjp.cerist.dz>

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

أ	مقدمة:
9	الفصل الأول: التداولية واستراتيجية الخطاب
9	المبحث الأول: التداولية
9	1. مفهوم التداولية:
9	1.1. الدلالة المعجمية:
10	2.1. الدلالة الاصطلاحية:
10	* عند الغرب:
11	* عند العرب:
13	2. نشأة التداولية وتطورها:
13	* عند الغرب:
18	* عند العرب:
22	المبحث الثاني: استراتيجية الخطاب.
22	أولاً؛ الخطاب:
22	1. مفهوم الخطاب:
22	1.1. المفهوم المعجمي:
23	2.1. المفهوم الاصطلاحي:
23	1.2.1. عند العربية:
24	2.2.1. عند الغرب:
26	2. مفهوم السياق:
26	1.2. السياق في الفكر الغربي:
29	2.2. السياق في الفكر العربي القديم:
31	3. أنواع السياق:
31	1.3. السياق اللغوي:
32	2.3. السياق غير لغوي:
33	3.3. السياق العاطفي:
33	4.3. السياق الثقافي:
34	5.3. سياق الموقف:
34	4. عناصر السياق:

35	1.4. المرسل:
36	2.4. المرسل إليه:
37	3.4. المعرفة المشتركة:
38	5. أهمية السياق:
40	ثانياً؛ الاستراتيجية:
40	1. مفهوم الاستراتيجية:
42	2. الاستراتيجية الخطابية:
48	3. معايير تصنيف الاستراتيجيات الخطابية:
49	1.3 معيار العلاقة بين طرفي الخطاب:
54	2.3 معيار شكل الخطاب:
55	3.3 معيار هدف الخطاب:
55	4. العوامل المتدخلة في انتقاء الاستراتيجية الخطابية:
55	1.4 مقصدية الخطاب:
57	2.4 سلطة الخطاب:
60	3.4 تأثير السلطة في الخطاب على انتقاء الاستراتيجية الخطابية:
64	الفصل الثاني: استراتيجية الخطاب التضامنية
64	المبحث الأول: الاستراتيجية التضامنية:
64	1. مفهوم الاستراتيجية التضامنية:
65	2. عناصر الاستراتيجية التضامنية:
65	3. دواعي تأسيس الاستراتيجية التضامنية:
67	المبحث الثاني: الوسائل اللغوية التضامنية
67	1. الوسائل اللغوية التضامنية:
68	2. الأدوات اللغوية:
68	1.2. العَلَم:
78	2.2. ألفاظ المعجم:
82	3.2. الإشارات:
82	1.3.2. الضمير المنفصل:
86	2.3.2. الضمير المتصل:
89	3.3.2. أسماء الإشارة:

91	4.2. الآليات اللغوية:
91	1.4.2. المكاشفة:
94	2.4.2. نكران الذات:
95	3.4.2. الإعجاب:
96	4.4.2. التصغير:
100	5.4.2. المصانعة:
102	6.4.2. الخطاب الغير مباشر:
104	7.4.2. تأنيب الذات:
106	خلاصة القول:
108	الفصل الثالث: الاستراتيجية الخطابية التوجيهية
108	المبحث الأول: الاستراتيجية التوجيهية:
108	1. مفهوم الاستراتيجية التوجيهية:
109	2. مسوغات استعمال الاستراتيجية التوجيهية:
111	المبحث الثاني: الوسائل اللغوية التوجيهية:
112	1. الأمر:
122	2. النهي:
127	3. النداء:
132	4. الاستفهام:
138	5. التحذير والإغراء:
138	1.5. التحذير:
140	2.5. الإغراء:
141	6. العرض والتحضيض:
144	7. التوجيه بذكر العواقب:
147	8. التوجيه بألفاظ المعجم:
150	9. التوجيه المركب:
152	خلاصة القول:
155	الفصل الرابع: الاستراتيجية الخطابية التلميحية
155	المبحث الأول: الاستراتيجية التلميحية:
155	1. مفهوم الاستراتيجية التلميحية:
156	2. مسوغات استعمال الاستراتيجية التلميحية:

المبحث الثاني: الوسائل اللغوية التلميحية	157
1. الأدوات والآليات اللغوية:	158
1.1. ألفاظ الكنايات والروابط والظروف الإنجازية:	158
2.1. الأفعال اللغوية:	167
3.1. التعبير الاصطلاحي:	171
4.1. التشبيه:	173
5.1. الاستعارة:	176
6.1. الكناية:	179
7.1. التهكم:	182
8.1. التعريض:	184
2. الآليات شبه المنطقية:	186
1.2. استعمال مفهوم الموافقة:	186
2.2. استعمال مفهوم المخالفة:	189
3.2. الاستلزام:	192
1.3.2. الاستلزام النموذجي:	192
2.3.2. الاستلزام الحوارى (المخصص):	196
3. دلالة الإشارة:	202
خلاصة القول:	204
الفصل الخامس: الاستراتيجيات الخطابية الإقناعية	206
المبحث الأول: الاستراتيجيات الإقناعية	206
1. مفهوم الاستراتيجية الإقناعية (الحجاجية):	206
2. مسوغات استعمال الاستراتيجية الإقناعية (الحجاجية):	206
المبحث الثاني: الوسائل اللغوية الإقناعية	209
1. الوسائل اللغوية الإقناعية:	209
2. الأدوات اللغوية:	210
1.2. ألفاظ التعليل:	210
2.2. المفعول لأجله:	210
3.2. لأن:	212
4.2. لام التعليل الناصبة للمضارع، اللام الجارة:	213

214	5.2. كلمة السبب:
215	6.2. الوصل السببي:
216	7.2. التعليل السببي في التراكيب الشرطية:
217	3. الأفعال اللغوية:
218	1.4. الاستفهام:
219	2.4. الأمر:
220	3.4. النهي:
221	4.4. النفي:
222	5. الحجاج بالتبادل وقاعدة العدل:
223	6. الوصف:
223	1.6. الصفة:
225	2.6. اسم الفاعل:
226	3.6. اسم المفعول:
227	4.6. تحصيل حاصل:
229	7. الآليات البلاغية:
229	1.7. تقسيم الكل إلى أجزائه:
231	2.7. الاستعارة:
233	3.7. التمثيل:
235	4.7. البديع:
238	8. الآليات شبه المنطقية:
238	1.8. السلم الحجاجي:
240	2.8. وسائل السلم الحجاجي اللغوية:
241	1.2.8. الأدوات اللغوية:
246	2.2.8. السمات الدلالية:
248	3.2.8. درجات التوكيد:
250	9. آليات السلم الحجاجي:
250	1.9. التعدية:
252	2.9. صيغ المبالغة:
252	3.9. فحوى الخطاب:

254	4.9. حجة الدليل:-----
260	خلاصة القول:-----
262	الخاتمة:-----
265	الملاحق-----
265	الملحق الأول: ترجمة المؤلف-----
268	الملحق الثاني: التعريف بالكتاب (المدونة)-----
271	فهرس المصادر والمراجع-----
290	فهرس الموضوعات-----
298	الملخص:-----

المُلخص

الملخص:

هذه الدراسة موسومة: (استراتيجيات الخطاب في كتاب: واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى الزياتي الثاني)، وهي تهدف إلى كشف استراتيجيات الخطاب في هذه المدونة، وما انطوى عليه من آليات ومقارنته مقارنة حداثيّة تزوج بين نص أدبي جزائري تراثي قديم، والحفر فيه بواسطة التداولية، التي تعد فرعاً من اللسانيات يدرس مختلف المحددات التي تتعلق بالتداول اللغوي بالنسبة إلى السياق والمقام. ولبلّوغ هذه الغاية بنيت خطة الدراسة على خمسة فصول وخاتمة وملحقين.

أخذ الفصل الأول بُعد الطّابع التعريفي، حيث حددت من خلاله المفاهيم النظرية المرتبطة بالتداولية والخطاب والاستراتيجيات وآلياتها. أما الفصول الأربعة الباقية فجاءت مرتبة كما يلي:

1- الاستراتيجية التضامنية، 2- الاستراتيجية التوجيهية، 3- الاستراتيجية التلميحية، 4- الاستراتيجية الإقناعية؛ وطابعا تطبيقا، مهدت له بتعريف كل استراتيجية، وبيان دواعي استخدامها، والعوامل المتحركة فيها، والوسائل والآليات اللغوية التي توخاها المؤلف فيها، وقد دعمت كل ذلك بنماذج وشواهد من المدونة.

ثم ختمنا بحثنا بعرض أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال عملية البحث والقراءة والتحليل؛ ولم نغفل تذييل بحثنا بلمحقين، تعلق الأول بترجمة المؤلف السلطان أبي حمو موسى الزياتي الثاني، أما الثاني فتناول التعريف بالمدونة: كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك. وتأتي بعد ذلك فهرسة المصادر والمراجع، وفهرسة المحتويات.

Abstract:

This study, entitled: (Discourse Strategies in the Book: Wasitat al-Suluk fi Siyasat al-Muluk by Abu Hammu Musa Al-Zayani II), aims to uncover the discourse strategies present in this text, exploring the mechanisms involved and approaching it with a modern perspective that bridges an old Algerian literary text and delves into it through pragmatics. Pragmatics, as a branch of linguistics, studies various determinants related to language use in context. To achieve this goal, the study plan was structured into five chapters, a conclusion, and two appendices.

The first chapter is theoretical and defines the key concepts related to pragmatics, discourse, strategies, and their mechanisms. The remaining four chapters are arranged as follows: (1- The Solidarity Strategy, 2- The Directive Strategy, 3- The Allusive Strategy, 4- The Persuasive Strategy). These chapters have a practical focus, beginning with a definition of each strategy, an explanation of its use, controlling factors, and the linguistic means and tools employed by the author, all supported by examples and evidence from the text.

The study concludes by presenting the main findings derived from research, reading, and analysis. It also includes two appendices: the first contains a biography of the author Sultan Abu Hammu Musa Al-Zayani II, and the second introduces the text "Wasitat al-Suluk fi Siyasat al-Muluk." Finally, a list of sources, references, and a table of contents are provided.

Résumé:

Cette étude, intitulée (Les stratégies discursives dans le livre: Wasitat al-Suluk fi Siyasat al-Muluk d'Abu Hammu Musa Al-Zayani II), vise à révéler les stratégies discursives présentes dans ce texte, en explorant les mécanismes impliqués et en l'abordant avec une perspective moderne qui relie un ancien texte littéraire algérien et l'examine à travers la pragmatique. La pragmatique, en tant que branche de la linguistique, étudie divers déterminants liés à l'usage du langage en contexte. Pour atteindre cet objectif, la structure de l'étude est divisée en cinq chapitres, une conclusion et deux annexes.

Le premier chapitre est théorique et définit les concepts clés liés à la pragmatique, au discours, aux stratégies et à leurs mécanismes. Les quatre chapitres suivants sont organisés comme suit : (1- La stratégie de solidarité, 2- La stratégie directive, 3- La stratégie allusive, 4- La stratégie persuasive). Ces chapitres ont une orientation pratique, commençant par une définition de chaque stratégie, une explication de son utilisation, les facteurs qui la contrôlent et les moyens et outils linguistiques employés par l'auteur, le tout étayé par des exemples et des preuves tirés du texte.

L'étude se termine par la présentation des principaux résultats obtenus grâce à la recherche, à la lecture et à l'analyse. Elle comprend également deux annexes : la première contient une biographie de l'auteur, le Sultan Abu Hammu Musa Al-Zayani II, et la seconde présente le texte "Wasitat al-Suluk fi Siyasat al-Muluk". Enfin, une liste des sources, des références et une table des matières sont fournies.